نظام الإدارة الدينية عند أهل البيت (ع)

الشيخ فوزي آل سيف

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي القارئ

في وقت ينتشر فيه الوكلاء والقياديون في أنحاء العالم الإسلامي الواسعة حاملين رسالة الله سبحانه، وهدى القرآن، ساعين إلى تغيير المجتمع باتجاه الدين تبرز الحاجة إلى معرفة طريقة القيادة والإدارة التي قام بها أهل البيت عليهم السلام ، لكي تصبح موضع اقتداء، وتمثل، وتأسٍ، وحاولت في هذا الكتاب أن أبـــين- قدر ما استطعت- تلك الطريقة عبر تسعة فصول، تحدث الأول عن أن أهل البيت عليهم السلام في مراحل تالية من انتصار الرسول صلى الله عليه وآله وتأسيس الدولة، واتساع رقعة الأتباع، كان من الطبيعي أن يستخدموا اللامركزية كطريقة إدارة، ولذلك استعانوا بشكل واسع بالوكلاء في مختلف المناطق، وناقش الفصل الثاني الميزات التي يجب أن تتوفر في الوكيل باعتبار موقعه الاستثنائي، كما تكفل الفصل الثالث ببيان مسؤوليات وواجبات الوكلاء القيادية في كل منطقة مبينا تلك المسؤوليات من خلال سيرة وكلاء أهل البيت عليهم السلام . ونظرا لكون الوكلاء بشراً، لذلك فان من الضروري التوجه إلى الأمراض و الاشكالات التي تنمو في شخصياتهم وتعترض مسيرتهم الرسالية لذلك كان الفصل الرابع عن الأمراض والمشاكل تلك.

والجمهور هنا ليس غائباً إذ أن له دوراً مهما في إنجاح برامج الوكيل عبر الاستجابة لتوجيهاته وفي الحفاظ على سلامة مسيرة الوكيل بالمراقبة والمحاسبة، والضغط لتصحيح مساره، وقد تحدث الفصل الخامس عن واجبات القواعد والجمهور تجاه القيادات الفرعية، ولكي يكون القارئ أمام النموذج الطيب، ومعاكسه كان الفصلان السادس والسابع حول بعض الوكلاء الصادقين، ومخالفيهم من الوكلاء الذين ائتمنوا على الوكلاء (فما رعوها حق رعايتها) فانحرفوا، وطردُوا، وذلك لأنه لا شيء يؤثر في الإنسان تأثير القدوة.

ولأنه لا بد من الاعتماد على الوثائق التي عالجت طرق التوجيه الرسالي من القيادة ا المركزية إلى الوكيل، ومن القيادة إلى الجمهور، ومن الوكيل إلى الجمهور لذلك ناقش الفصل الثامن تلك الرسائل، باعتبارها تمثل لنا الأثر الحي من هذا التوجيه، وأخيرا انتهى الفصل التاسع إلى استنتاج نقاط هامة من مجمل الروايات و الأحداث التي مرت، نقاط للقيادة التي تتصدى لأمور المسلمين، وأخرى للوكيل الذي يباشر أمور المجتمع الإدارية والقيادية.

يبقى أن ننبه على أن الحديث عن الشخصيات هذه ليس بحثا رجالياً بالمعنى الدقيق للكلمة، وإن كان يتحرى البحث من رجال اتفق على صلاحهم في مورد الاستشهاد بهم، أو العكس، أو على الأغلب ذلك.

فوزي آل سيف

القطيف

٢٥/ ذو القعدة/ ١٤٠٩

العاملون بين مركزية الإدارة واللامركزية

هل ينبغي أن تكون إدارة العمل الإسلامي ضمن إطار المركزية ؟! حيث ترد الأمور وتصدر عن المركز ؟! وحيث رأس العمل يشكل البوابة الرئيسية التي لا بد لكل داخل أو خارج أن يمر منها ؟! أم من الأفضل أن تكون إدارة العمل لامركزية بحيث يسمح للقيادات الفرعية أن تقرر أيضاً ؟! ويسمح للوكلاء أن يعملوا- في حدود معقولة- حسب رأيهم ؟!

أجاب عن هذا السؤال نظريتان، لكل أنصارها، ودعاهما :

الأولى : مركزية الإدارة :

* يرى أصحاب هذه النظرية أن القاعدة الطبيعية للأعمال كونها تنتهي إلى رأس مدبر، يقرر في الأمور، ويفصل في الاختلافات، وما لم يكن هذا الرأس في جو كل المسائل فإن من الصعب عليه حينها أن يتخذ القرار المناسب. ولإدارة مثالية، فلابد أن تضييق مساحة الاختلاف في التوجهات و(لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)، لذلك ينبغي أن تنتهي الأمور إلى هذا الرأس أو القائد.

* إضافة إلى ذلك فإن فئة العاملين هي الأقل في المجتمع، وغالبا ما تكون في فئة الشباب، مما يعني أن القوة قليلة والخبرة كذلك.. ووجود حالة مركزية (في المعلومات- والتوجهات- والقرارات) يحول هذه القلة والضعف إلى قوة حيث تسمح هذه الحالة بإيجاد نوع من التبادل في الخبرات، والتجارب بينما في غير هذه الحالة تبقى كل جماعة لديها خبراتها وتجاربها الخاصة دون الاستفادة من سائر خبرات العمل والعاملين وفي هذا من ضعف التجمع ما لا يخفى.

* ثم ما الذي يضمن أن يبقى العاملون في وحدة واحدة سواء من الناحية الفكرية أو من الناحية العملية، ذلك أننا نجد أن الانشقاقات التي تؤدي عادة بالتجمعات العاملة، إنما هي الثمرة الطبيعية المرة التي تنتهي إليها اللامركزية. بينما وحدة الثقافة والتوجهات العملية يضمنها وجود حالة مركزية تتمثل في القائد المهيمن الذي يبسط رداء توجيهه على مختلف المؤسسات و الأعمال.

كما أن حالة الضعف الناتجة عن ضغوط المجتمع والعمل، والتي يتعرض لها العاملون والقياديون عادة، عندما تؤوب إلى القائد يستطيع أن يوقف الانهيار والتداعي، بينما في حالات اللامركزية تؤثر هذه الضغوط وما يتبعها من ضغط على طبيعة العمل وأحياناً على اتجاه المسيرة.

لهذه الأسباب يرى أصحاب هذه النظرية ضرورة المركزية، وأن لا غنى عنها لصحة العمل ووحدته والأمن عليه من الانحراف.

الثانية : اللامركزية في العمل :

يرى أصحاب هذه النظرية أن القاعدة هي المركزية، إلا أن التغيرات التي تطرأ على جهاز العمل، أو تلك التي تتم في الساحة، تجعل أنه لا مفر من اعتماد اللامركزية كطريقة عمل.

* فالتطور الطبيعي الذي يمر به العاملون يكسبهم خبرة ومعرفة تتيح لهم وتمكنهم من اتخاذ قرارات مناسبة، بل

أن تحملهم لأعمال ومسؤوليات يجعل هذا الدور طبيعياً، تماما كما هو الحال في المؤسسات الأخرى، ففي الجيش يبدأ المنتسب إليه في صورة جندي (صفر) كما يقال، غير أنه يترقى في سلم الدرجات العسكرية حسب كفاءته والزمن الذي يمر عليه فإذا به بعد مدة من الزمن (جنرال)، يتحمل مسؤولية مهمة في إحدى قطع الجيش، فلو ألغيت هذا القانون، لانتهى الجيش إلى (دار للعجزة).

وكذلك بالنسبة للشركات، يترقى الموظف حسب كفاءته وفترة وجوده في هذه الشركة.

والعمل الإسلامي ليس إلا مؤسسة كسائر المؤسسات، إلا أنها تختلف عنها في محتوى العمل ووسائله. فكيف يستطيع الجندي بعد عشر سنوات من كونه في الجيش أن يقود فريقا منه، بينما لا يستطيع العامل الإسلامي أن يقود جماعة ؟!

* كما أن اتساع رقعة العمل الجغرافية تجعل من العسير على رجل إن ضم تحت ذراعيه كل تفاصيل العمل في كل المناطق، ويديرها بشكل سليم. لذلك لابد من اعتماد نظام اللامركزية أو ما سميناه في بحثنا (نظام الوكالة)، يتم من خلاله تفويض شخص أو أشخاص في كل منطقة ضمن دائرة صلاحيات معينة، ويقوم (أو يقومون) بإدارة هذا العمل.

* كما أن تعدد مجالات العمل وتنوعها أصبح من التعقيد بحيث يكون حتى التخصص قاصرا عن ملاحقة تطوراتها، وهذا يقتضي وجود أفراد يتخصصون في هذه المجالات، ليتمكنوا بما يحصل لديهم من خبرة أن ينفعوا العمل، ويقيموه على أسس علمية متقدمة وهذا يقضي بأن تتاح الفرصة لهذه الكفاءات أن تخطط وأن تنفذ أحياناً ما تراه صالحا.

* بعد ذلك فإن آراء القيادات الفرعية (الوكلاء) ستكون أكثر واقعية في النواحي التفصيلية للعمل. بينما تقصر القيادة المركزية عن معرفة كامل الواقع الذي يعيش فيه هؤلاء. لنفترض قيادة تعيش في بغداد [1].. هل يمكن أن تكون خبيرة بتفاصيل المجتمع وقضاياه في خراسان ؟! فقد تستطيع هذه القيادة أن تقوم بإعطاء الرؤى العامة والاقتراحات، إلا أن الوكيل الذي يعيش في خراسان أكثر معرفة- من دون شك- ولا يعتبر هذا قبحاً وذماً للقيادة المركزية، إذ أن قدرات الإنسان تبقى محدودة، و" لا يكلف الله نفسا إلا وسعها".

* وأخيراً فإن القضية ليست فقط في كون هذا افضل أو ذاك، المسألة , هي أن جهاز العمل كلما كبر يحتاج إلى أعصاب قوية متعددة تشده وإلا فإنه ينهار.

إلا أن هذا لا يعني أن اللامركزية هي (الترياق) الذي ما بعده داء ، إذ أنها تنطوي على إشكاليات- سيتم التحدث عنها في باب أمراض الوكلاء ومشاكلهم- إن لم يتم الانتباه إليها فإنها تنتهي إلى فساد كبير في العمل.

أهل البيت عليهم السلام ونظام الوكالة :

بالرغم من اعتقادنا في أن أهل البيت المعصومين عليه السلام قد اصطفاهم الله واجتباهم ولإعزاز دينه قد زودهم بقدرات استثائية، وكرامات غير اعتيادية إلا أن مجال استخدام هذه الكرامات والقدرات لا يكون هو القاعدة الدائمة وإنما يقدر ضمن دائرة الاستثناء والضرورة. وإلا فالقاعدة الاعتيادية هي أنهم يعملون ويتحركون ضمن الإطار

---

[1] / بالطبع هذا يصدق في غير مثال : أهل البيت المعصومين عليه السلام .

البشري ويخططون ضمن العلم الظاهري وكما يتجلى هذا المعنى في حياة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله في العديد من مواقفه يظهر في حياة الأئمة المعصومين.

وفي هذا المعنى استخدم أهل البيت عليهم السلام طريقة الوكلاء والقيادات الوسيطة كطريقة ناجحة لإدارة القواعد المؤمنة المرتبطة بهم.

وإذا ألقينا نظرة على تاريخهم عليه السلام نجد أنه ينقسم في هذه القضية إلى الفترات التالية :

الأولى : تشمل تاريخ رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وشيئاً من أيام الإمام الحسن عليه السلام حيث كانت الصورة الأبرز للوكلاء ، صورة العمال والولاة تبعا لكون هؤلاء المعصومين في واجهة السلطة والحكم، فنجد الرسول صلى الله عليه وآله يجعل على كل بلد يفتح، أو يسلم أهله، عاملا من قبله، وهكذا كان أمير المؤمنين عليه السلام حيث أقر بعض العمال والولاة الصالحين من الذين عينوا على يد الخلفاء الذين سبقوه بينما حاول جادا إزاحة الولاة الخونة وغير الصالحين ، واستشهد عليه السلام في هذا السعي بعد أن أقال عددا منهم وبقي آخرون، وهكذا واصل الإمام الحسن عليه السلام طريقة والده إلا أن الأمور لم تجر كما ينبغي، واضطر الإمام عليه السلام للصلح.

وقد لا نستطيع الاعتماد على نصوص هذه الفترة بالشكل الكافي، لسببين :

أحدهما : إن محور دراستنا للوكيل في صورة كونه محكوما، وليس صاحب سلطة، ومجال عمله إدارة القواعد والاتباع، دون إدارة شؤون الحكومة، بينما في فترة ولاة الرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام نلاحظ أن الولاة كانوا يديرون منطقة وهم أصحاب الحل والعقد فيها.. ولا شك أن هناك اختلافاً بين قائد يدير قواعده، وهو في موقع المعارضة أو محسوب عليها، وحاكم يدير شؤون رعيته وهو صاحب الأمر والنهي.

والثاني : أن الولاة الذين كانوا يعينون أيام الرسول صلى الله عليه وآله كان يتم تعينهم لأسباب مختلفة منها مراعاة وضع الإسلام حيث كان في بدايات انطلاقته، وفي وقت التأسيس تراعى هذه الحالة بشكل كبير. بينما أيام أمير المؤمنين عليه السلام لم تمتد بالمقدار الذي يستطيع فيه الإمام أن يعزل من يشاء ذلك أنه قد ورث تركة ثقيلة وكانت تحتاج إلى الكثير من التصفية والتنقية وكان لدى الإمام العزم على ذلك، إلا أن فرصة خمس سنوات لم تكن كافية لإنجاز هذا الأمر إلا أننا على كل حال سوف نستفيد من الرسائل التي كان يرسلها الإمام إلى ولاته في استجلاء صورة الوكيل في صفاته العامة.

أما في عهدي الإمام الحسين عليه السلام وابنه زين العابدين عليه السلام فإن الظروف السياسية وما قاما به من أعمال كان يقتضي مباشرتهما لتلك الأعمال، فالثورة العظيمة التي قام بها سيد الشهداء عليه السلام والوضع السياسي الذي تبعها والذي يطلق عليه زين العابدين عليه السلام (ردة الناس) تعبيرا عن حالة اليأس والخوف التي فرضت نفسها على الساحة ولم يبدد سحابتها القاتمة إلا تواصل الثورات والانتفاضات كثورة التوابين والمختار وزيد بن علي وأبنائه لذلك نجد أن هذا الدور لم يكن واضحا بالشكل الذي كان عليه في العهود التالية ، ولعل أصحاب الإمام السجاد عليه السلام الذين تربوا على يديه وسمعوا منه الحديث، تبلور دورهم وظهر أيام الإمام الباقر والصادق عليه السلام .

الفترة الثانية : أيام الإمامين الباقر والصادق عليه السلام :

وتتميز بطول الفترة من الناحية الزمنية فقد امتدت هذه الفترة طيلة خمسة وخمسين عاماً وهذه تعتبر فترة من الطول بحيث تبلور فيها نظام الوكالة وظهر لهما عليه السلام عدد من الوكلاء قاموا بمسؤولياتهم، كما أنها شهدت حالة من (الانفجار العلمي) إذ كثرت الفرق الكلامية، والمذاهب الفكرية، وكانت كل فئة تدافع عن معتقداتها الأمر الذي سلب البريق من الساحة السياسية لصالح الميدان الفكري.

يضاف إلى ذلك التوسع الذي حصل في عدد المنتمين إلى أهل البيت عليهم السلام وتعدد مناطقهم الجغرافية..كل تلك الميزات جعلت هذه الفترة، تشهد التأسيس الحقيقي لنظام الوكالة والوكلاء.

نذكر بأن غالب الوكلاء كانوا في دائرة قريبة من الإمام عليه السلام بينما سنشهد في الفترات القادمة أن غالب هؤلاء الوكلاء كانوا في دوائر جغرافية بعيدة عن مركز الإمام. وأن الدور الأساسي الذي كانوا يمارسونه في هذه الفترة كان دورا ثقافياً تبعاً لما تقدم من أن الساحة الإسلامية كانت مليئة بالأفكار الصالحة منها والفاسدة. وقد لا يستطيع الإمام أن يباشر جميع المجالات الفكرية نظرا لكثرتها وتعددها، وعدم قابلية الطرف الآخر ليكون ندا للإمام، ولأسباب أخرى لذلك كان يقوم، بهذا الدور على خير وجه وكلاؤهم، ولهذا أصبحت الصورة العامة الغالبة على الوكلاء، صورة (الفقهاء) حتى أن تسميتهم في كتب الرجال تأتي تحت هذا العنوان. ولننقل بعض النصوص المشيرة إلى تحمل هؤلاء الرجال مسؤولية الوكالة والقيادة :

* المفضل بن عمر يعينه الإمام عليه السلام بعد وفاة عبدالله بن أبي يعفور :

(عن علي بن الحسين العبيدي قال : كتب أبو عبدالله إلى المفضل بن عمر الجعفي حين مضى عبدالله بن أبي يعفور، يا مفضل عهدت إليك، عهدي كان إلى عبدالله بن أبي يعفور صلوات الله عليه فمضى صلوات الله عليه موفياً لله عز وجل ولرسوله ولإمامه بالعهد المعهود لله وقبض صلوات الله على روحه حمود الأثر مشكور السعي مغفوراً له مرحوماً برضا الله ورسوله وإمامه عنه، فبولادتي من رسول الله صلى الله عليه وآله ما كان في عصرنا أحد أطوع لله ولرسوله ولإمامه منه، فما زال كذلك حتى قبضه الله إليه برحمته وصيره إلى جنته [٢] "

* ويكلف إبان بن تغلب بالافتاء والتدريس في المسجد ويرجع الناس إليه في قضاياهم :

" جالس أهل المدينة فإني أحب أن يرى في شيعتنا مثلك " [٣].

ويروى هذا الحديث أيضاً عن الإمام الباقر عليه السلام .

" ويقول مسلم بن أبي حية كنت عند أبي عبدالله عليه السلام في خدمته فلما أردت أن أفارقه ودعته وقلت له أحب أن تزودني ، قال : ائت إبان بن تغلب فإنه قد سمع مني حديثا كثيرا فما روى لك عني فأروي عني " [٤].

---

[2] / اختيار معرفة الرجال/ ص ٢٤٩.

[3] / اختيار معرفة الرجال/ ص ٣٣١.

[4] / المصدر السابق.

والجدير بالذكر أن إبان كان من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام أيضاً.

* وقد كان (الفقهاء) من أصحاب الصادقين عليه السلام ، يمارسون أدوار التبليغ والتثقيف والرد على الشبهات الكلامية والعقيدية والإفتاء في المسائل الفقهية، وقد اجتمعت الطائفة على تصديق هؤلاء باعتبارهم أصحاب الإجماع [5]. وهم زرارة بن أعين ومعروف بن خربوذ، وبريد بن معاوية، وأبو بصير الأسدي والفضيل بن يسار ومحمد بن مسلم الطائفي.

وحيث كانت المدينة المنورة العاصمة الفكرية أيام الباقر والصادق عليه السلام لذلك فإن مركز تواجد وكلاء الإمام الذين كانوا أشبه بممثلين لأفكاره في المناظرات والمناقشات الدائرة كان في المدينة . وإن كانت الكوفة نظرا لأكثرية سكانها التابعين لأهل البيت سوف تبقى تحتل مركزا مهما. ففيها الوكلاء المهمون الذين كانوا ينافحون عن فكر أهل البيت. فبالرغم من موقع ابن أبي يعفور كوكيل معتمد من قبل الإمام الصادق إلا أنه أيضاً يرجع في قضاياه إلى وكيل (أرفع) درجة هو محمد بن مسلم الثقفي (الطائفي) فقد سأل ابن أبي يعفور الإمام أنه ليس كل ساعة ألقاك ولا يمكن القدوم إليك ويجيء الرجل من أصحابنا فيسألني وليس عندي كل ما يسألني عنه ؟! فقال له الإمام : فما يمنعك عن محمد بن مسلم الثقفي فإنه قد سمع من أبي وكان عنده وجيها.

الفترة الثالثة : فترة الأئمة موسى الكاظم وعلي الرضا ومحمد الجواد عليه السلام :

ويلحظ فيها ممارسة الوكلاء بشكل واضح لأدوارهم القيادية بعيدا عن دائرة القيادة المركزية فالفترة الطويلة التي قضاها الإمام الكاظم عليه السلام في السجن وما يقتضيه من ظروف البعد من مباشرة أمور القواعد. وتوجيههم جعلت الاعتماد على الوكلاء كبيرا، إضافة إلى أن وجوده عليه السلام خارج السجن كان يجعله دائما تحت المراقبة، والاتصال به لعموم القواعد غير ميسور وغير آمن. أما عن الإمام الرضا عليه السلام فبالرغم من كونه في موقع متميز (ولاية العهد)، إلا أن هذا الموقع بذاته كان سجناً ذهبياً اضطر الإمام عليه السلام لدخوله، بينما كان المأمون قد فرض على الإمام لوجوده في هذا الموقع رقابة مباشرة ودائمة ووكل به أفراداً يراقبون الداخلين عليه ويحجبون عنه من لم يكونوا مرضيين عند السلطة العباسية، أحد هؤلاء الرقباء، كان هشام الهمداني العباسي الذي سوف يأتي ذكره فيما بعد، ولذلك كان من الضروري الاعتماد على الوكلاء وقيادات الفروع.

ولقد كان للانتشار والتوسع الذي شهدته قواعد أهل البيت واتباعهم دور كبير في تأكيد الاعتماد على الوكلاء، كما كان الحال أيام الإمام الجواد عليه السلام . لكل ذلك نجد أن الإمام الكاظم عليه السلام لا يقبل من أحد شيئاً بشكل مباشر، مصراً على أن يكون الاستسلام والتسليم في القضايا المالية، وفي المسائل الفكرية والدينية عبر القناة المعينة، والوكيل المحدد وهو المفضل ابن عمر الجعفي، الذي كان وكيل والده الصادق عليه السلام .

* روى هشام بن أحمر قال حملت إلى أبي إبراهيم (الكاظم) عليه السلام إلى المدينة أموالا فقال ردها فادفعها

---

[5] / يراجع فصل حواري الباقر والصادق عليه السلام ، من كتاب بناء القادة للمؤلف.

إلى المفضل بن عمر فرددها إلى جعفى فحططتها على باب المفضل [6].

* ويوصي الإمام الرضا عليه السلام من سأله أن يراجع زكريا بن آدم القمي ليأخذ عنه معالم دينه، والتوجيهات اللازمة، لأنه مأمون على الدين والدنيا.

فعن علي بن المسيب قال : قلت للرضا عليه السلام : شقتي بعيدة ولست أصل إليك في كل وقت فممن آخذ معالم ديني ؟! فقال : من زكريا بن آدم القمي المأمون على الدين والدنيا.

ونستطيع أن نستنتج في هذه الفترة أن الوكلاء كانوا يتوزعون على الشكل التالي :

الكوفة : يتولى إدارتها المفضل بن عمر الجعفي استمرارا لوكالته عن الإمام الصادق عليه السلام الذي عينه بعد وفاة عبدالله بن أبي يعفور، وبعد المفضل نلتقي بأسماء عدد من الوكلاء كعبدالله بن جندب الذي توكل للكاظم والرضا عليه السلام ، ثم بعد أن توفي قام مقامه علي بن مهزيار الأهوازي الذي رأى الرضا عليه السلام واختص بالجواد عليه السلام ، وكذلك صفوان بن يحيى البجلي الذي توكل للإمام الرضا عليه السلام وتوفي سنة (٢١٠) للهجرة.. ولعل وجود هذا العدد من الوكلاء المتميزين نظرا لما تتميز به الكوفة من كثافة سكانية تسير على منهج الأئمة عليهم السلام .

قم : اكتسبت قم أهمية خاصة بالنسبة إلى تجمع أهل البيت عليهم السلام ربما لتمحض سكانها في أتباع أهل البيت عليهم السلام وكونها بعيدة عن نظر السلطة الحاكمة، ولعل هذا معنى الأحاديث التي توجه إلى قم ونواحيها عندما تتصاعد فتن بني العباس [7] ويزيد ظلمهم. ويبدو أن أول من توكل للأئمة في قم كان عيسى بن عبدالله القمي الذي قال عنه الإمام الصادق عليه السلام إنه (منا أهل البيت) [8]. أعقبه في إدارتها عبد العزيز بن المهتدي القمي الذي توكل للرضا عليه السلام والجواد عليه السلام ، وكذلك كان زكريا بن آدم القمي الذي توفي أيام الجواد عليه السلام .

همدان : تولى إدارة شؤون أهلها إبراهيم بن محمد الهمداني، وقد عد من أصحاب الرضا والجواد والهادي عليه السلام ، كتب إليه الإمام الجواد عليه السلام رسالة جوابية على ما كان قد أوصله إليه من حساب وتأييداً له (.. قد وصل الحساب، تقبل الله منك ورضي عنهم وجعلهم معنا في الدنيا والآخرة وقد بعثت إليك من الدنانير (بكذا) ومن الكسوة (بكذا! فبارك الله لك فيه وفي جميع نعم الله عليك، وقد كتبت إلى النضر أمرته أن ينتهي عنك وعن التعرض لك ولخلافك وأعلمه موضعك عندي وكتبت إلى أيوب أمرته بذلك أيضاً وكتبت إلى موالي بهمدان كتابا أمرتهم

---

[6] / الغيبة/ ص ٢١٠.

[7] / سفينة البحار/ ج ٢- ص ٤٤٦.

[8] / اختيار معرفة الرجال/ ص ٣٣٢.

بطاعتك والمصير إلى أمرك وأن لا وكيل لي سواك)[9].

الفترة الرابعة : وتشمل فترة الإمام الهادي، والإمام العسكري عليه السلام وفيها يتم الاعتماد الأكبر على الوكلاء باعتبار أنهما عليه السلام كان يمهدان في حياتهما لغيبة الإمام الحجة عجل الله فرجه ولذلك كان الإمام الهادي حينا والعسكرى أحياناً يحتجبان عن أتباعهما لفترات متقطعة، معتمدين في ذلك على الوكلاء الظاهرين، ومحاولين تعويد القواعد التابعة لهما على هذا النظام لأنه سيكون هو القاعدة الدائمة في الفترة القادمة وهي فترة الإمام الحجة عجل الله فرجه . وغيبة الإمام بشكل مفاجئ ستشكل (صدمة) قوية قد لا يستوعبها الكثير من الأتباع، لذلك كان من الضروري التمهيد المتدرج لتلك الغيبة على يد الإمامين عليه السلام ثم في الغيبة الصغرى للإمام عجل الله فرجه بشكل متقدم تمهيداً للغيبة الكبرى.

يضاف إلى ذلك الوضع السياسي الذي ازداد توتراً وشدة مع مجيء المتوكل العباسي إلى سدة الحكم، وأشخاصه الإمامين الهادي والعسكري عليه السلام إلى سامراء ليكونا تحت المراقبة الدائمة.

ومن هذا الدور نلتقي مع عدد كبير من الوكلاء الرساليين الذين انتشروا في غالب المناطق التي وجد فيها أتباع الأئمة عليهم السلام ، ونلتقي أيضاً بأسماء عدد من الأصحاب الانتهازيين الذين عرفوا كيف يستفيدون من صحبتهم للإمام في سبيل مصالحهم الذاتية، فادعوا الوكالة كذباً، وبعد الوكالة ادعوا ما هو أكبر وصل بهم الأمر إلى الخروج عن دائرة الإسلام إلى دائرة الغلو والشرك، مما استوجب لعنهم والبراءة منهم من قبل الأئمة عليهم السلام . كما نلحظ في هذا الدور الوسائل المفصلة والتوجيهات التي كان يرسلها الأئمة عليهم السلام لهؤلاء الوكلاء. ويبدو أن المناطق المهمة حسب توزيع الوكلاء كانت كالتالي :

بغداد (ونواحيها) : بعد أن انتقلت الخلافة العباسية من بغداد إلى خراسان ومنها إلى سامراء، احتفظت بغداد بموقعها المتميز، باستثناء شدة لمراقبة المباشرة التي تترافق عادة مع وجود المركز السياسي الرسمي للحكومة.

لذلك اعتمد الأئمة عليهم السلام في هذا الدور على الوكلاء الجدد في إدارتها، ودعموا وجودهم كما نرى وصاياهم ورسائلهم، ثم تحولت إلى منطقة تواجد الوكيل المركزي في وقت لاحق. فقد تولى إدارتها في البداية علي بن الحسين بن عبد ربه ثم أبوعلي بن راشد، وكان علي بن جعفر الهماني يمارس دوراً قياديا في نواحي بغداد ولا يعلم تاريخ ذلك، هل كان قبل علي بن الحسين أم بعد أبي علي بن راشد، إلا أن المعلوم أن علي بن جعفر قد سجن على يد جهاز المتوكل العباسي بتهمة الوكالة للإمام الهادي عليه السلام ، ولما أطلق سراحه أمره الإمام بترك بغداد والاستقرار في مكة.

وبعد هؤلاء أصبحت بغداد قاعدة عمل السفير الأول للإمام الحجة (عثمان بن سعيد) الذي بدأت مسؤولياته منذ أيام الإمام الهادي عليه السلام كما سيأتي.

نيسابور : بين أيدينا عدة نصوص على وكالة إبراهيم بن عبده النيسابوري، ويبدو أنه كان هناك تساؤل عن

---

[9] / تنقيح المقال/ ج ١- ص ٣٢.

وكالة إبراهيم بن عبده، وذلك راجع لأنه في عهد العسكريين (الهادي والعسكري) كثرت ادعاءات الوكالة خصوصا في المناطق البعيدة عن مركز الإمام، لذلك وجدنا أن الإمام العسكري يكتب عدة رسائل لكبار شيعته في نيسابور منهم الوكلاء السابقين، والشخصيات ذات التأثير على القواعد يأمرهم بطاعة إبراهيم والتسليم له فقد كتب إلى عبدالله بن حمدويه البيهقي : (.. وبعد فقد بعثت لكم إبراهيم بن عبده ليدفع النواحي وأهل ناحيتك حقوقي الواجبة عليكم، إليه وجعلته ثقتي وأميني عند موالي هناك ٠٠)[١٠] .

ويظهر أن في نيسابور وأطرافها كان عدد من الوكلاء (المحليين) ولذلك فإن الإمام عندما يرسل كتاباً فيه توجيهات يأمر حامله أن يمر به على كل أولئك الوكلاء، منهم إسحاق بن اسماعيل النيسابوري، والبلالي والمحمودي. وأولئك كلهم يرجعون إلى إبراهيم بن عبده النيسابوري، الذي يرجع بدوره إلى العمري الوكيل المركزي ببغداد [١١] .

الري : يبدو أن منطقة الري كانت تابعة في إدارتها قيادياً للقيادة منطقة نيسابور إلا أنه بعد وصول السيد عبد العظيم الحسني إلى منطقة الري بدأت القواعد الموالية للأئمة تجتمع و" كان يقع خبره إلى الواحد بعد الواحد من الشيعة حتى عرفه أكثرهم "[١٢] وبدأ الإمام الهادي عليه السلام يوجه أتباعه في الري إلى التعامل مع السيد عبد العظيم، فقد روى أبوحماد الرازي (نسبة إلى الري) : دخلت على علي بن محمد عليه السلام بسر من رأى فسألته عن أشياء من الحلال والحرام فأجابني فيها فلما ودعته قال لي : يا حماد إذا أشكل عليك شيء من أمر دينك بناحيتك فسل عنه عبد العظيم بن عبدالله الحسني وأقرأه مني السلام [١٣] .

الكوفة : بقيت الكوفة محتفظة بأهميتها السابقة بالرغم من كون مقر الأئمة قد انتقل إلى سامراء، وبالرغم من تحول مركز الثقل إلى بغداد كمنطقة وسطى بالنسبة لعموم المناطق. وذلك عائد إلى الكثافة السكانية الموالية لأهل البيت بحيث جعلت هذه المنطقة خزانا لأتباعهم. وفي أيام الهادي والعسكري عليها السلام كان الوكيل في الكوفة أيوب بن نوح بن دراج النخعي، ويبدو أنه لهذه الصفة كان يلقى المضايقة من قضاة العباسيين ورجالهم. فقد كتب للإمام الحسن العسكري عليه السلام : من تعرض جعفر بن عبد الواحد القاضي، وأذيته له بالكوفة،وأنه يناله بالأذى، فكتب الإمام له : تكفى أمره إلى شهرين : فعزل ذلك القاضي من الكوفة [١٤] .

---

[10] / تنقيح المقال ١/٢٤.

[11] / سوف يأتي في الفصول القادمة شرح رسالة الإمام لإسحاق بن اسماعيل التي تحتوي على هذه التعاليم.

[12] / سفينة البحار ٢/ ١٢١.

[13] / نفس المصدر

[14] / كشف الغمة /٢ / ٣٨٦

الفترة الخامسة : أيام الغيبة الصغرى للإمام المنتظر عجل الله فرجه .

التمهيدات التي سبقت هذه الفترة آتت أكلها حين غاب الإمام الحجة عجل الله فرجه ذلك أنه قد اتضح للقواعد والأتباع معنى هذا النظام، ودور الوكيل، والمواصفات التي ينبغي أن تكون فيه، ولذلك كان من غير العسير على قواعد أهل البيت عليهم السلام أن يرجعوا إلى وكلاء الإمام الحجة عجل الله فرجه ، وأن يأخذوا منهم ما يحتاجون إليه من تعاليم وتوجيهات. ولذلك أيضاً كان من غير العسير عليهم أن يحددوا الوكلاء المزيفين وأن ينبذوهم ويتجنبوهم وإلا يسمعوا لهم توجيهاً أو رأياً. مما كان يعني أن هذا النظام بلغ من التبلور والوضوح لدى أتباع أهل البيت حداً جعل الخارج عن مقوماته مطروداً ومنبوذاً.

ونستطيع أن نتبين بوضوح هذا التبلور ووضوح الرؤية عندما نعقد مقارنة بين الوضع بعد شهادة الإمام الكاظم عليه السلام والوضع في أيام الغيبة الصغرى، ذلك أنه ما إن استشهد الإمام الكاظم عليه السلام حتى قام عدد من الأصحاب والوكلاء الانتهازيين ببث فكرة حياة الإمام وأنه لم يمت وإنما غاب وذلك تبريراً لاحتفاظهم بالأموال والحقوق الشرعية التي كانت لديهم وصرفها في أمورهم الشخصية. ومع وضوح خطأ الفكرة إلا أنها أحدثت (رجة) في وسط الأتباع، وكونت مذهباً جديداً باسم (الواقفية) جهد الأئمة فيما بعد على محو آثاره وأعلنوا الحرب على زعمائه. هكذا كان الوضع بعد شهادة الإمام الكاظم عليه السلام وتلك آثاره : مذهب جديد وبلبلة فكرية امتدت حتى للقادة!! بينما لو نظرنا إلى الوضع في أيام ما بعد شهادة الإمام العسكري عليه السلام لوجدنا أن التحديات كانت أخطر ولكن النتائج لم تكن كتلك النتائج.

فما أن أغمض الإمام الحسن العسكري عليه السلام عينيه راحلا إلى الله حتى حاول جعفر (الكذاب) أخ الإمام العسكري أن (يسيطر) على منصب الإمام مستعينا بالسلطة العباسية، ثم أعلن عدد من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام أنهم وكلاء للإمام الحجة الغائب.. ونظرا لغيبة الإمام فقد رآها البعض مناسبة للتلبيس على قواعد أهل البيت وأتباعهم.. وقد ساعدتهم الظروف الخارجية في ذلك كون السلطة العباسية عازمة على تصفية الإمام المهدي عجل الله فرجه ، واختفاء الإمام نظراً لذلك إلا أن الوضع بقي على حاله وقد عرفت الوفود القادمة– على عادتها– لتسليم ما لديها من أموال وأخذ إجابات أسئلتها والعودة بتعاليم جديدة، عرفت بسرعة سقم ادعاء جعفر للإمامة، وكذب أولئك الأصحاب في وكالاتهم.. وهكذا. مما يدل على أن تلك القواعد قد تشبعت– خلال تلك الفترة الزمنية الطويلة– برؤى أهل البيت عليهم السلام حول منصب الإمامة وصفات الوكيل وشخصيته.

ومن هنا كان مجيء الوكيل والسفير بعد سابقه، يأتي كولادة اعتيادية متوقعه لا تخلق أزمة ولا تواجه بتمرد، وإنما كانت القواعد وفي طليعتهم أهل الحل والعقد يتوقعون نوعية الوكيل إن لم يكن اسمه.

وفي هذه الفترة كانت كل شؤون الاتباع تدار عبر الوكلاء، وكيل مركزي في كل منطقة يساعده في ادارته أشخاص يختارهم. ثم تنتهي كل الخيوط إلى شخص هو الوكيل الاول او السفير وهو (باب) الإمام، الذي يلتقي معه عادة، فيحدد له خطوط العمل والمواقف المطلوبة، ويعطيه اجوبة المسائل، واليه ترد التوقيعات[15] .

---

[15] / الغيبة للشيخ الطوسي.

ويلحظ ان بعض هؤلاء الوكلاء والسفراء كانت سفارتهم ووكالتهم للإمام الحجة عجل الله فرجه امتدادا لوكالتهم عن الامامين الهادي والعسكري عليه السلام ، و لم تكن وكالة مستأنفة.

فعثمان بن سعيد العمري السفير الاول للإمام الحجة عجل الله فرجه كان وكيلا للإمام الهادي عليه السلام وكان اتباع أهل البيت اذا ارادوا حمل شيء للإمام انفذوه إلى أبي عمرو عثمان بن سعيد فيجعله في جراب السمن وزقاقه لاخفائه ويحمله للإمام.

واستمر هكذا وكيلا للإمام الهادي عليه السلام فلما استشهد الإمام اصبح وكيلا للإمام العسكري والرواية التي ينقلها احمد بن اسحاق بن سعد القمي، وهو بدوره وكيل القميين وقناة اتصالهم، تبين لنا موقع عثمان بن سعيد يقول : دخلت على أبي الحسن علي بن محمد (الهادي) عليه السلام فقلت له : يا سيدي انا اغيب واشهد ولا يتهيأ لي الوصول اليك اذا شهدت في كل وقت، فقول من نقبل وامر من نمتثل ؟! فقال لي : هذا ابوعمرو[١٦] الثقة الامين ما قاله لكم فعني يقوله وما أداه اليكم فعني يؤديه . فلما مضى أبو الحسن عليه السلام وصلت إلى أبي محمد (ابنه) الحسن العسكري فقلت له مثل قولي لابيه، فقال لي : هذا أبو عمرو الثقة الامين ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات، فما قاله لكم فعني يقوله. وما ادى اليكم فعني يؤديه[١٧] .

وعندما يتوفى عثمان بن سعيد يقوم مقامه ابنه محمد، دون ان تحدث هناك مشاكل كبيرة تؤثر على التجمع التابع للإمام بالرغم من وجود عدد من ادعياء الوكالة والسفارة، وذلك كما تقدم لبلوغ هذا التجمع درجة من الوعي بشؤون هذا النظام وصفات الوكلاء، وأيضاً لترتيب الأئمة عليهم السلام المسائل بالشكل الذي يمنع حدوث مشاكل من هذا النوع فقد نص الإمام الحسن العسكري عليه السلام على وكالة عثمان بن سعيد وعلى وكالة ابنه فقد قال في جواب من سأله عمن يأخذ وبرأي من يلتزم من اصحابه ؟! قال له : (العمري وابنه ثقتان فما اديا اليك فعني يؤديان وما قالا لك فعني يقولان فاسمع لهما واطع فانهما الثقتان المأمونان) [١٨] وكذلك نص الإمام الحجة عجل الله فرجه على وكالة محمد بن عثمان في تابينه لوالده– عثمان بن سعيد– ونصبه وكيلا رسميا بعده (... وكان من سعادته– الوالد– ان رزقه الله تعالى ولدا مثلك يخلفه من بعده ويقوم مقامه بأمره ويترحم عليه واقول الحمد لله فان الانفس طيبة بمكانك وما جعله الله عز وجل فيك وعندك , اعانك الله وقواك وعضدك ووفقك ٠٠) [١٩] .

ومحمد بن عثمان بدوره كان يهيء الارضية لتولي السفير الثالث أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي. فكان يحيل عليه

---

16 / كنية عثمان بن سعيد العمري.

17 / الغيبة ص ٥ ٢١.

18 / الغيبة ص ٢١٩.

19 / الغيبة ص .٢٣.

الاتباع ويأمرهم بتسليم ما لديهم إليه، وهو حي موجود، وهكذا ظل مدة من الزمن حتى قربت منه الوفاة جمع وجوه الشيعة وشيوخهم واوصى في حضورهم إلى الحسين بن روح قائلا : ان حدث علي حدث الموت فالامر إلى أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي فقد امرت ان اجعله في موضعي بعدي فارجعوا إليه وعولوا في اموركم عليه[٢٠] .

وهكذا كان حال السفير الرابع علي بن محمد السمري.

فهؤلاء كانوا السفراء المباشرين للاتصال بالامام الحجة عجل الله فرجه وقد كان غيرهم وكلاء أيضاً، لكن يبدو ان دائرة عملهم ومسؤوليتهم كانت اخص واضيق من دائرة عمل هؤلاء السفراء الذين كانوا مسؤولين عامين عن كل المناطق واليهم ينتهي كل الوكلاء، فهارون بن عمران الهمداني كان الوكيل العام للإمام الحجة في منطقة همدان، واليه يرجع وكلاء ثلاثة في نفس المنطقة يعملون حسب رايه وتوجيهه، وهم القاسم بن محمد، وابو علي بسطام بن علي، والعزيز بن زهير [٢١].

ونستطيع ان نتبين ان اكثر المناطق ذات الوجود الشيعي كان يوجد فيها وكيل او عدة وكلاء ليقومون بمهمة تنسيق الاتصال بين الإمام وبين الاتباع ويديرون شؤون الاتباع فيما يحتاجون إليه كما سيأتي في فصل مهمات الوكلاء وينقل العلامة المامقاني عن شيخ الطائفة الطوسي عددا من الوكلاء الذين رأوا الإمام الحجة عجل الله فرجه الامر الذي نستفيد منه في تبين بعض ملامح خريطة الوكلاء وفي ذلك الوقت. على انها غير كاملة باعتبار ان الراوي يتحدث عمن رآه من الوكلاء دون سائر الوكلاء الذين لم يروه :

في بغداد : عثمان بن سعيد العمري وابنه (الوكالة المركزية)- حاجز- البلالي- العطار في الكوفة : العاصمي.

في الاهواز : محمد بن إبراهيم بن مهزيار.

في قم : احمد بن اسحاق.

في همدان : محمد بن صالح الهمداني.

في الري : الشامي- والاسدي (محمد بن جعفر).

في اذربيجان : القاسم بن العلاء.

في نيسابور : محمد بن شاذان النعيمي [٢٢].

وبالطبع فان هذا العرض انما يلحظ من رأى الإمام الحجة عجل الله فرجه ولا يستقصي كل الوكلاء، ولا كل الفترة الزمنية للغيبة الصغرى، فقد رأى الشيخ المفيد اضافة إلى من ذكر عدداً اخراً من الوكلاء الذين كانت ترد عليهم توقيعات تتضمن توجيهات من المنصوبين للسفارة (الوكلاء الاربعة)، من هؤلاء الوكلاء إبراهيم بن محمد الهمداني،

---

[20] / الغيبة ص ٢٢٦.

[21] / تنقيح المقال ٣/ ٢٨٥

[22] / تنقح المقال ١/ ٢٠٠

واحمد بن حمزة بن اليسع، وداود بن القاسم الجعفري وعمر الاهوازي وابا محمد الوجاناتي، ويبدو ان من الصعب الاحصاء الدقيق لعدد الوكلاء في كامل فترة الغيبة وبالنسبة لكل المناطق.

مواصفات الوكلاء والقيادات الفرعية

من الطبيعي ان مقام الوكالة للإمام المعصوم، بل للقيادة الشرعية في زمن الغيبة، يفترض الوصول إلى مستوى يوفر في صاحبه عددا من الصفات الأساسية ليصبح مؤهلا للقيام بهذا الدور.

ولضرورة هذه الصفات، وقلة توافرها، وجدنا ان بعض أصحاب الأئمة عليهم السلام - بالرغم من وجود صفات اخرى لديهم- لم يكونوا مؤهلين لان يتبؤوا هذا المقام، ووجدنا اخرين كانت تتوفر فيهم في حدود دنيا، لذلك ما لبثوا ان (هدموا اخرا ما اصلحوا اولا)، وانحرف قسم منهم، وتنكر لمقتضيات هذا المقام الرفيع.

من هنا استدل علماؤنا على ان ثبوت كون الشخص وكيلا عن الإمام يثبت وثاقته وصدقه وامانته، ضرورة ان الإمام الذي ائتمنه على الاموال والاحكام وقيادة العمل، يعرف عنه اهليته، وقابليته لهذا الدور. ولا يخدش هذه القاعدة وجود بعض الوكلاء الذين انحرفوا فيما بعد، لانه قد خرج منهم عليه السلام ذم المنحرفين ولعنهم وامر شيعتهم بمجانبتهم مما يدل على ان الوكالة تستلزم الامانة والاستقامة وصحة العقيدة، ومن غير ما كان عليه كان خليقا بلعنهم

وبانعزاله عن مقام الوكالة [٢٣].

فالوصول إلى مقام ممثل الإمام او القيادة الشرعية يقتضي توفير هذه الصفات اولاً، ثم يبحث في امكانية ذلك من الناحية الواقعية او عدمها، الامر الذي يفيدنا بان من غير الصحيح الانسياق وراء طموح الطامحين من العاملين في الصعود إلى الدرجات القيادية، قبل توفر الصفات اللازمة.

وبالطبع فان الوكالة عن الإمام المعصوم تحتاج إلى توفير صفات اكثر في الشخص واعمق ضرورة كونه امين (امين الله) حقيقة، بينما يشترك الوكيل عن القيادة الشرعية (القائد الشرعي غير المعصوم) مع الاول في الصفات العامة.

فلنكن مع هذه الصفات، ملقين نظرة سريعة عليها، نستفيد خلالها من التاريخ وسيرة أهل البيت عليهم السلام مع اصحابهم، دواء لأدواء واقعنا الرسالي والعملي.

ا/ المعرفة الكافية بالإسلام :

من الواضح ان هناك ضرورات تقتضي وجود معرفة كافية لدى الوكيل او ممثل القيادة بالإسلام ذلك :

---

23 / يراجع تنقيح المقال للعلامة المامقاني/ ج ا- المقدمة.

* ان وكيل الإمام المعصوم (او القائد الشرعي)، ينبغي ان يكون لديه نوع من المشاكلة مع موكله حسب قدرته، فإذا كانت صفة الإمام عليه السلام الرئيسية انه بحر علوم الإسلام، ومستنطق آيات القرآن الكريم- على حقيقة معانيها- فعلى الاقل يجب ان يكون الوكيل في حد المستفيد والمتعلم من هذا الإمام او القائد، بالمقدار الذي يؤهله لكي يلبي الحاجات الأساسية للجمهور الذي يعمل في وسطه.. بالطبع سيكون هناك تفاوت كبير بين معرفة القائد والوكيل، الا ان هناك مسائل تعتبر ضمن الحاجات العامة التي يبتلى بها جمهور الانصار او العاملين، فيما يرتبط بالمسائل الإسلامية.

* كذلك المهمة الأساسية المناطة بالقيادة الفرعية، إدارة العمل وتوجيه الجمهور ضمن الاطر الإسلامية سواء في الاهداف او في وسائل الوصول اليها، وما لم يتميز الوكيل بمعرفة كافية للإسلام فمن الممكن ان تكون اعماله سواء في التوجيه الثقافي او طرق الوصول إلى الهدف على غير الطريق المستقيم.

وفي هذا المجال فان المطلوب هو تلك المعرفة العميقة والمتكاملة، فقد تكون المعرفة السطحية او الناقصة مضرة بمقدار الجهل الكامل أحياناً، لقد رأى مجتمعنا الكثير من المشاكل الناتجة عن هذه المعرفة السطحية او الناقصة، فمن الامثلة على المعرفة الناقصة على صعيد الهدف توجه بعض الوكلاء للقيادات الدينية او الحركات إلى اهداف ترتبط بتحصيل مناطق نفوذ اضافية على حساب بعضها البعض فتستبدل الهدف الاساسي وهو تغيير المجتمع وازالة الجهل والظلم باهداف طفولية حين (تحقق) تغييراً في اتجاه شخص فتنقله من مؤيد إلى جهة إلى اخر معاد لها وشاتم!! او من مقلد لفلان إلى مقلد لغيره!! وأحياناً تسير جماعات في هذا الاتجاه فترة طويلة وتتصور انها تحقق (انجازات) عندما تسيطر على أفراد هذه الجهة او تلك، او عندما تفسد اتباع هذا القائد عليه.

من هنا فان المعرفة الكافية بالإسلام وترتيب الاهداف والوسائل على ضوء تعاليمه يعتبر من المواصفات الرئيسية للقيادات الفرعية.

هذا اضافة إلى ان الوكلاء والقيادات الفرعية باعتبارهم بعيدين عن القيادة المركزية التي تعتبر السور الحامي لهم، ينبغي ان يمتلكوا معرفة كافية نظراً إلى كونهم يتعرضون إلى الضغوط الثقافية والحملات الفكرية اكثر من غيرهم.

سبب ذلك ان العدو انما يبدأ بالضغط على الاطراف والثغور والنقاط البعيدة والضعيفة فيوجه سمومه وافكاره إلى تلك النقاط. لذلك فالقيادات هذه مكلفة ان تكون خط الدفاع المتقدم ضد الأفكار الباطلة، ولا تقتصر مهمتها على الدفاع بل ان مسؤوليتها تتعدى ذلك إلى نشر الفكر الرسالي والاسلامي في مناطق جديدة، وهذا ما سنبحثه في الصفحات القادمة في مهمات القيادات الفرعية والوكلاء.

اننا نجد ان الإمام الصادق عليه السلام يأمر بعض اصحابه ووكلائه بان يظهروا ما لديهم من وعي بالدين، وينشروه بين الناس، سواء لاجل هداية الناس إلى الفكر الصحيح، او لأجل عرض قوة الأفكار التي يحملها اتباع أهل البيت، لذلك تكررت اوامره لبعض اصحابه الواعين بان يتكلموا ويظهروا علمهم للناس لانه يجب ان يرى في اصحابه هذه النماذج.

فقد امر عليه السلام عبد الرحمن بن الحجاج البجلي قائلاً (كلم أهل المدينة فاني احب ان يرى في رجال

الشيعة مثلك) [٢٤] . وعبد الرحمن هذا هو استاذ صفوان بن يحيى [٢٥] الذي ألف ثلاثين كتاباً وكان وكيلاً للامامين الكاظم والرضا عليه السلام .

وينقل ان محمد بن أبي عمير قد صنف تسعين كتاباً في العقائد والفقه الإسلامي بينما ينقل ان يونس بن عبد الرحمن قد صنف ألف كتاب ناقش فيها مختلف المسائل خصوصاً في الرد على اعداء أهل البيت ومخالفيهم، بحيث قال عنه أحد أصحاب الأئمة مقيما وعيه بالإسلام واحكامه : ما نشأ في الإسلام رجل من ساير الناس كان افقه من سلمان الفارسي، ولا نشأ بعده رجل افقه من يونس بن عبد الرحمن، وهذا الكلام هو أحد معاني كلام الإمام الرضا عليه السلام حيث يقول (يونس في زمانه كسلمان الفارسي في زمانه) [٢٦].

وعلي بن مهزيار وقد كان وكيلا للإمام الجواد عليه السلام ، صنف خمسة وثلاثين كتاباً من بينها (كتاب في الرد على علي بن اسباط) الذي كان يرى رأي الواقفية [٢٧].

ووجود هذه المجموعة الخيرة التي استقت من معين الأئمة عليهم السلام واغترفت من بحر علمهم شكل سداً منيعا امام تغلغل الأفكار المنحرفة خصوصاً تلك التي دخلت إلى بلاد المسلمين مع توسع الفتوحات، وانفتاح البلاد على الثقافات الوافدة بفعل حركة الترجمة التي قام بها الحكام آنئذ فقد برزت مسائل جديدة خصوصاً في علم الكلام والفلسفة وبينما كانت المذاهب الأخرى تقف عاجزة امامها انبرى أهل البيت عليهم السلام للقيام بهذا الدور، وعلموا اصحابهم- ووكلاءهم بشكل أخص- ثغرات هذه الأفكار بحيث لو اردنا استقصاء المناظرات التي كانت بين أصحاب الأئمة ووكلائهم من جهة وبين مخالفيهم لطال بنا البحث. الا اننا نورد مثالا واحدا، حوار هشام بن الحكم مع النظام :

فقد قال النظام لهشام ان أهل الجنة لا يبقون في الجنة بقاء الابد فيكون بقاؤهم كبقاء الله، ومحال ان يبقوا كذلك!! (ومن الواضح ان هذا النوع من الشبهات والافكار كان غريبا على وسط المجتمع العربي، ويعتمد انه قد تسرب مع ما ترجم من الثقافة اليونانية او الفارسية او بسبب الاتصال الحاصل على اثر فتح تلك البلاد. ومن غير شك ان حركات الزندقة كانت تنشط في هذه الاجواء نظرا لعدم وجود اجابات على الاسئلة العقيدية).

فقال له هشام : ان أهل الجنة يبقون بمبق لهم وهو الله، والله يبقى بلا مبق.

فقال النظام : محال ان يبقوا للأبد.

فقال هشام : إلى ما يصيرون ؟!

فقال النظام : يدركهم الخمود.

---

[24] / تنقيح المقال- ٢/ ١٤١.

[25] / بحار الانوار- ٤٨

[26] / اختيار معرفة الرجال/ ٤٨٦.

[27] / تنقيح المقال ٢/ ٣١١.

فسأله هشام : أفبلغك ان في الجنة ما تشتهي الانفس ؟!

قال : نعم.. فسأله مرة اخرى : فان اشتهوا وسألوا ربهم بقاء الابد ؟!

فقال النظام : ان الله لا يلهمهم ذلك..

فسأله ثالثة : فلو ان رجلا من اهل الجنة نظر إلى ثمرة على شجرة فمد يده ليأخذها فتدلت إليه الشجرة والثمار، ثم كانت منه لفتة فنظر إلى اخرى احسن منها فمد يده ليأخذها فادركه الخمود ويداه متعلقة بشجرتين، فارتفعت الاشجار وبقي هو مصلوبا، أفبلغك ان في الجنة مصلوبين ؟!

قال النظام : هذا محال فأجابه هشام : فالذي اتيت به امحل منه، ان يكون قوم قد خلقوا وعاشوا فادخلوا الجنان، يموتهم فيها يا جاهل ؟![٢٨] .

وسيأتي بيان حال الوكلاء الاخرين وادوارهم الثقافية التي تكشف عن وعي كاف بالإسلام وقدرة على التصدي للموجات الفكرية الخاطئة سواء الوافدة او الداخلية كالغلاة وغيرهم.

٢ / الامانة والصدق :

تتمتع بعض الصفات باهمية استثنائية بالنسبة لبعض الادوار والشخصيات المرتبطة بها. فالنظافة– مثلاً– صفة من المهم توفيرها في عموم الناس، غير ان توفيرها في الطباخ العام اهم من توفيرها في عامل البناء، تبعاً للدور الذي يؤديه كل منهما.. وهكذا بالنسبة لسائر الصفات.

فالصدق والامانة من المهم اتصاف جميع المؤمنين بها الا ان كونهما في الوكيل وممثل القيادة اكثر ضرورة، بحيث تدور هذه الصفة (الوكالة– والقيادة) مدارهما وجوداً وعدماً. ذلك ان الوكيل او ممثل القيادة يؤتمن على اهم المسائل يؤتمن على دين الناس وعقيدتهم إذ يتوجهون إليه في قضاياهم الدينية باعتباره وكيلا عن القيادة، ويؤتمن على اموال الناس وحقوقهم الشرعية باعتباره الطريق إلى القائد.

ومن الممكن ان يغير هذا الوكيل قلوب الناس على القيادة، والعكس ان لم يكن يمتلك الامانة والصدق.. ان حادثة الوليد بن عقبة بن أبي معيط تكشف عن اهمية توفر هاتين الصفتين في الوكيل. وبالرغم من ان الوليد لم يكن وكيلا بالمعنى الذي نحن فيه بمقدار ما كان عاملا لجمع الصدقات من بني المصطلق، وقد ارسل من قبل الرسول صلى الله عليه وآله لهذا الغرض الا انه عاد مدعياً انهم خرجوا لقتاله، وهنا كان من الطبيعي ان يفكر المسلمون في قتالهم، الا ان الآية نزلت مبينة كذب الوليد وفسقه : (يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) [٢٩].

لهذا السبب فان الصدق والامانة ان لم يتوفرا في الوكيل فان ذلك يعني ان اموال الناس تتعرض للخطر.

والناس في هذه المسألة ثلاثة اقسام :

---

28 / اختيار معرفة الرجال/ ٢٧٤.

29 / ا لحجرات/ آية ٥.

أ– قسم خائن في كل الاحوال وهذا لا يصح توليته على الاعمال الا اضطرارا او لدفع خطر اكبر فقد ارسل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى المنذر بن جارود العبدي وقد خان في بعض ما ولاه، رسالة جاء فيها :

(اما بعد فان صلاح ابيك غرني منك وظننت انك تتبع هديه وتسلك سبيله فإذا أنت فيما رمي الي عنك لا تدع لهواك انقياداً ولا تبقي لآخرتك عتاداً، تعمر دنياك بخراب آخرتك وتصل عشيرتك بقطيعة دينك، ولئن كان ما بلغني عنك حقا لجمل أهلك وشسع نعلك خير منك ومن كان بصفتك فليس بأهل ان يسد به ثغر او ينفذ به امر او يعلى له قدر او يشرك في امانة او يؤتمن على جباية، فاقبل الي حين يصل اليك كتابي هذا) [٣٠].

ب– والقسم الاخر : امين لانه لا يجد فرصة الخيانة، للمراقبة الجيدة عليه. او لقربه من القيادة، او عدم توفر الفرصة، فإذا تمكن منها او بعد عن القائد، او خفت المراقبة عليه خاس بعهده وقدم امام أمانته خيانته، فتراه بينما كان سابقاً يظهر الامانة ويعرف بالصلاح، ويلازم الصدق والتورع، حتى اذا وصل إلى مطلبه واصبح موكلا بالاعمال والاموال، ظهرت حقيقته الخافية، وازينت له الدنيا، فاغرقته في بحر زخارفها.. اليك نموذجا ممن كان ظاهره الصلاح فلما استولى على ولاية اخذ يرتع في مال المسلمين مدعياً ان حقه في بيت المال اكثر مما اخذ فكتب إليه الإمام عليه السلام رسالة يفضح فيها عمله ويهدده : (اما بعد فاني كنت اشركتك في امانتي وجعلتك شعاري وبطانتي و لم يكن رجل من اهلي اوثق منك في نفسي لمواساتي ومؤازرتي واداء الامانة الي).

كانت هذه– كما تلاحظ عزيزي القارئ– المرحلة السابقة له وهـــذا الوالي كان موثوقاً مواسياً مؤازراً واميناً.. غير ان المرحلة تغيرت فظهر الرجل على حقيقته :

(.. فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب والعدو قد حرب وامانة الناس قد خزيت وهذه الامة قد فنكت وشغرت قلبت لابن عمك ظهر المجن ففارقته مع المفارقين وخذلته مع الخاذلين وخنته مع الخائنين، فلا ابن عمك آسيت ولا الامانة اديت وكأنك لم تكن الله تريد بجهادك وكانك لم تكن على بينة من ربك وكأنك انما كنت تكيد هذه الامة عن دنياهم وتنوي غرتهم عن فيئهم فلما امكنتك الشدة في خيانة الامة اسرعت الكرة وعاجلت الوثبة واختطفت ما قدرت عليه من اموالهم المصونة لاراملهم وايتامهم اختطاف الذئب الازل دامية المعزى الكسيرة.

فاتق الله واردد إلى هؤلاء القوم اموالهم فانك ان لم تفعل ثم امكنني الله منك لأعذرن إلى الله فيك ولاضربنك بسيفي الذي ما ضربت به احدا الا دخل النار) [٣١].

ج– القسم الثالث الامين على كل حال الذي لا تغره كثرة الاموال التي بين يديه، وهذا القسم هو الذي يصلح للوكالة والقيادة، وليكن واضحا ان هذا القسم من القليل النادر الذي يتورع عن ثمانية دراهم تكون بين يديه ولا يرى له حقا في ان يتصرف فيها، او تكون بين يديه الاموال الطائلة بعنوان بيت المال ولكنه يتحرج ان يقترض منها إلى يوم

---

[30] / نهج البلاغة/ كتاب رقم ٧١.

[31] / نهج البلاغة/ كتاب رقم ٤١.

اخر بينما زوجته الحامل تحتاج إلى قليل من التمر الذي لا يجد ثمنه من ماله الشخصي كما ينقل عن الشيخ الانصاري رحمة الله عليه.

ذلك ان هناك ضغوطاً كبيرة تتوجه إلى هذا الوكيل حتى تزل قدمه مرة بعد مرة اولها ضغوط الذات. حيث يرى الإنسان لنفسه حقوقاً أكبر مما يأخذ فعلاً أو كما قال الوالي الذي تقدمت رسالة الإمام إليه ان حقه في بيت المال اكثر بكثير مما يأخذ وهذه الفكرة هي بداية الانزلاق، اضافة إلى انه يرى تحت يديه الاموال الطائلة فيبيح لنفسه التصرف فيها، وعلى مذبح شهواته تحدث الخيانة وأحياناً الارتداد، وتغيير المسار، إذ انه لكي يبرر خيانته امام نفسه وامام الاخرين يقوم بالانفصال عن قيادته وتكذيبها والتشكيك فيها وأحياناً اتباع مذهب أخر أو إبتداع مذهب جديد.

فقد كان عثمان بن عيسى الرواسي أحد وكلاء الإمام الكاظم عليه السلام وكان يسكن الكوفة وأحياناً يكون في مصر، وكان لديه مال كثير وست جوار، فلما استشهد الإمام الكاظم عليه السلام وقام الإمام الرضا عليه السلام مقامه، بعث إلى عثمان الرواسى يأمره بارسال ما لديه من اموال وحقوق شرعيه اعطيت له من قبل اتباع الأئمة باعتباره وكيلا، فرفض ذلك ولكي يبرر ذلك امام نفسه وامام الناس ادعى ان الإمام الكاظم لم يمت وانه لا يزاد حيا، وارسل للإمام الرضا قائلا : ان كان لم يمت (الكاظم) فلست في شيء، والا كان قد مات فلم يأمرني بدفع شيء لك [32].

وثانيها ضغوط الاهل والاقارب والاصدقاء الذين يتصورون ان ما وصل إلى يد هذا الوكيل هو ماله وهم احق الناس بالتنعم به، ويرون ان صلة الرحم تقتضي توزيع اموال المسلمين وحقوق الله على هؤلاء الارحام، تماما كما قال عثمان بن عفان لمن اعترض عليه في تولية اقاربه، واقطاعهم الاراضي، وهبتهم الاموال الطائلة، قال انه يتعبد الله بصلته لارحامه بهذه الطريقة!!

ويشير أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا الامر في رسالته إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني الذي خان في ولايته علي (اردشيرخرة) ثم ما لبث ان اكمل حشف عمله بسوء كيل فراره إلى معاوية : (بلغني انك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم واريقت عليه دماؤهم فيمن اعتامك من اعراب قومك ..) [33].

وثالث تلك الضغوط، الضغوط الخارجية التي تأتي من المنافسين او الاعداء، ترغيباً وترهيباً وتحاول استقطاب هذا الوكيل.

ولا تقتصر اهمية الصدق والامانة على الناحية المالية فقط، بل تتداخل مع كل الاعمال التي يقوم بها الوكيل، فالصادق والامين على المال يجب أيضاً ان يكون صادقاً واميناً في نقله للاخبار، والتقارير التي يكتبها إلى قيادته فلا يتحكم فيه الحب لهذا والبغض لذاك حين يقيم الاشخاص. ولا يحاول ان ينقل من الاخبار ما هو غير صحيح او غير دقيق لكي

---

[32] / اختيار معرفة الرجال/ ٥٩٨

[33] / نهج البلاغة/ كتاب رقم ٤٣.

يدعم فكرته او ليؤكد خطا معيناً لدى القيادة . لقد ابتلي الأئمة عليهم السلام ببعض الافراد هكذا ينقلون اخبارا غير صحيحة ضد هذا الشخص او ذاك ويحاولون من خلالها استحصال كلام مضاد او مؤيد تبعاً للاخبار التي يلفقونها.
وهنا تبرز خطورة الصدق في الخبر، والامانة في نقل الحدث، والورع إذ ان خبراً كاذباً يترتب عليه هتك شخصية مؤمن او ابعاده او اثارة فتنة. والخلاصة ان الوكيل دوره ان يكون مأموناً من قبل الإمام المعصوم، ومن بعده القيادة الشرعية على دين الناس، واموالهم ، فلا بد ان يتحلى باعلى درجات الامانة والصدق. تماما كما كان زكريا بن آدم القمي رضوان الله عليه. يقول علي بن المسيب : قلت لابي الحسن الرضا عليه السلام : شقتي (مسافتي) بعيدة ولست اصل اليك في كل وقت فممن اخذ معالم ديني ؟! فقال : (من زكريا بن آدم القمي المأمون على الدنيا والدين) [٣٤].

٣/ القدرة الادارية المتميزة :

بمقدار ما تكون الامانة والصدق مهمة في ضمان الحالة المعنوية للوكيل وبالتالي للعمل فان القدرة الادارية بنفس الاهمية في ضمان التقدم الخارجي للعمل، وفي تسيير شؤون التحرك. وبهذا فكما لا ينبغي وجود مدير غير امين، كذلك لا يكفي وجود امين لا يستطيع (حل رجل دجاجة)، ولا يقوم بتصريف الاعمال.
ذلك ان إدارة المجتمع ميدان صراع عنيف والذي ينتصر فيه، لا ينتصر لانه من أهل الورع والتقوى فقط، وانما يجب أيضاً ان يكون على درجة كافية من الخبرة الادارية، فالوكيل او ممثل القيادة (سواء في عصر الامامة او عصر الغيبة) من المفروض انه يقوم بتشكيل جهاز بديل لجهاز الدولة الفاسدة، ويدير عبر هذا الجهاز الشؤون الدينية والدنيوية للاتباع والانصار، وحين يكون هذا الوكيل ضعيفاً فانه سيعجز ليس عن إدارة العمل فحسب بل قد يخسر اتباعه أيضاً.
ان ما نجد من تقدم للوجودات الإسلامية في بعض المناطق واخفاق في بعضها الاخر راجع إلى اسباب من اهمها قوة وضعف القدرة الادارية والقيادية في كل من هذه المناطق.
ومع الاسف فان ما يحز في النفس ان كثيراً من الوكلاء للقيادات الدينية المعاصرة لا تراعى فيهم هذه النقطة الهامة، لذلك فان هؤلاء قصارى ما يصنعون ان يتحولوا إلى كتب فقهية ناطقة وجباة اخماس وحقوق شرعية. ولا يمتلكون غيرها من خطة تغييرية، او فكرة اختراق لمجاميع جديدة من غير المؤمنين، او تحريك المجتمع في اتجاه خاص.
في المقابل لو نظرنا إلى اخبار وكلاء أهل البيت عليهم السلام لوجدنا انهم يتمايزون في هذه النقطة، ولكنهم على العموم كانوا يمتلكون الحد الادنى- على الاقل- الذي يستطيعون بواسطته اداء مهماتهم، وحين يرى الإمام شخصاً غير قادر على قيادة المنطقة المنوطة به نجده يسارع إلى تغييره ولا يحجزه عن ذلك امكانية تأثر الوالي او الوكيل من الناحية النفسية. او احتمال تغيره عليه، فالمهم ان العمل لا يتأثر ولا يتأخر.
فترى أمير المؤمنين عليه السلام يكلف مالك الاشتر بقيادة جيش، ويبين ان سبب ذلك لما يتمتع به مالك من صفات قيادية عالية كالحزم، والشجاعة، وحسن التخطيط، فقد بعث إلى اميرين من امراء جيشه بكتاب جاء فيه :

---

34 / اختيار معرفة الرجال/ ٥٩٥.

(وقد امرت عليكما وعلى من في حيزكما مالك بن الحارث الاشتر فاسمعا له واطيعا واجعلاه درعا ومجنا فانه ممن لا يخاف وهنه ولا سقطته ولا بطؤه عما الاسراع إليه احزم ولا اسراعه إلى ما البطء عنه امثل)[٣٥] .

وحين وجد الإمام عليه السلام ان محمد بن أبي بكر رضوان الله عليه لا يستطيع قيادة مصر خصوصاً في مواجهة دهاء عمرو بن العاص وجيوش معاوية الشامية قرر ارسال مالك الاشتر النخعي لما عهده فيه من قيادة كفوءة وقدرات ادارية متميزة، وبالرغم من عدم ارتياح محمد بن أبي بكر للأمر، وبالرغم من كونه عزيزاً على الإمام حتى قال فيه : محمد ابني من صلب أبي بكر، وكان من المقربين إليه. الا ان كل هذه الاعتبارات تسقط حين يتعلق الامر بمصلحة الإسلام.. فارسل مالك الاشتر إلى مصر ليستلم قيادتها من محمد الا انه توفي في الطريق قبل وصوله اليها.. فكتب الإمام إلى محمد كتابا جاء فيه :

(.. اما بعد فقد بلغني موجدتك (تكدرك) من تسريح الاشتر إلى عملك، واني لم ا فعل استبطاء لك في الجهد ولا ازدياداً لك في الجد ولو نزعت ما تحت يدك محن سلطانك لوليتك ما هو ايسر عليك مؤنة واعجب اليك ولاية. ان الرجل الذب كنت وليته أمر مصر (الاشتر) كان رجلاً لنا مناصحاً وعلى عدونا شديداً ناقماً، فرحمه الله ..)[٣٦] .

ويبدو من كتب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام انه كان واثقاً من قدرات مالك الاشتر القيادية والادارية وكان يراه كفوءاً لتحمل مسؤوليات كبيرة، لذلك اختاره لادارة مصر التي كانت تواجه تهديداً خطيراً، ونراه في كتاب اخر إلى أهل مصر، يصف الاشتر بصفات القائد المثالي : (اما بعد فقد بعثت اليكم عبدا من عباد الله لا ينام أيام الخوف ولا ينكل على الاعداء ساعات الروع، اشد على الفجار من حريق النار وهو مالك بن الحارث اخو مذحج فاسمعوا له واطيعوا امره فيما طابق الحق فانه سيف من سيوف الله لا كليل الظبة ولا نابي الضريبة فان امركم ان تنفروا فانفروا وان امركم ان تقيموا فأقيموا فانه لا يقدم ولا يحجم ولا يؤخر ولا يقدم الا عن امري وقد اثرتكم به على نفسي لنصيحته لكم، وشدة شكيمته على عدوكم)[٣٧] .

وحسب مساحة المهمة التي يتولاها الشخص وحساسية الوضع العام، تكون الحاجة إلى المميزات القيادية، فليس سواء قائد يتحمل مسؤولية قرية صغيرة ذات تجمع قليل، وقائد تنتهي إليه امور الوكلاء من مراكز مختلفة، او بين قائد يتحمل المسؤولية في ظروف الانفراج الاعتيادية واخر يتحملها في ظروف القمع السياسي والمطاردة الشرسة.

اننا نجد ان الإمام الكاظم عليه السلام كان له العديد من الوكلاء والاصحاب، الا ان القناة الرئيسية بينه وبين انصاره كان المفضل بن عمر الجعفي رضوان الله عليه، وكانت الأمور تمر عبره سواء الاموال او الرسائل او غيرها. فعن هشام ابن احمر قال : حملت لابي إبراهيم عليه السلام (الكاظم) في المدينة اموالاً فقال : ردها، فادفعها إلى المفضل بن

---

[35] / نهج البلاغة/ كتاب رقم ١٣.

[36] / نهج البلاغة/ كتاب رقم ٣٤.

[37] / نهج البلاغة/ كتاب رقم ٣٨.

عمر [٣٨].

ويقول موسى بن بكر : كنت في خدمة أبي الحسن عليه السلام (أحد القاب الكاظم عليه السلام) و لم اكن ارى شيئاً يصل إليه الا من ناحية المفضل بن عمر ولربما رأيت الرجل يجيء بالشيء فلا يقبله منه ويقول اوصله إلى المفضل [٣٩].

وليس عبثا- دون شك- ان تنتهي الأمور بهذه الطريقة إلى المفضل خصوصاً اذا عرفنا ان الظرف الذى عاش فيه الإمام الكاظم عليه السلام كان في غاية الحرج والتضييق عليه من قبل السلطة العباسية مما لا يخفى على المتتبع.

ان من الصفات القيادية المطلوبة في شخص الوكيل قدرته على فهم التوجهات العامة لخطة العمل والتفكير في تهيئة وسائلها بامكاناته الموجودة. فلا يحتاج إلى مراجعات دائمة في المسائل التكتيكية والتفصيلية، الامر الذي يتعسر او يتعذر تبعاً للمسافة الفاصلة بين القيادة المركزية والوكلاء. في هذه الحالة نجد أهل البيت يعطون لبعض وكلائهم صلاحيات واسعة، لانهم يثقون بمعرفتهم لتوجهات الخطة، ويثقون أيضاً بقدرتهم على تهيئة مستلزماتها، لذلك يزينوهم بوسام (امره امري)، (ما ادى، فعني يؤدي).. وما شابه ذلك من كلماتهم.

ومن الصفات القيادية الحزم والشجاعة في مواجهة المشاكل الحادثة، ذلك ان بعض الناس لا يعيرون للمشاكل اهتماماً في بداية حدوثها حتى اذا كبرت اتسع الخرق فلا يستطيعون على شيء آنئذ حتى لو اعاروها اكبر اهتمام. ان هؤلاء تشبه قصتهم قصة ذلك الملك الذي اخبر ان العدو قد داهم احدى المناطق الحدودية، فقال : يكفيني كل المملكة باستثناء تلك النقطة المأخوذة، ثم اخبر فيما بعد انه اخذ مناطق اخرى، فاجابهم بالجواب السابق باستثناء المناطق المأخوذة، ثم قيل له انه يتقدم، قال : عاصمة ملكي تكفيني، وهكذا حتى فقد عاصمة ملكه تبعاً لتركه الحزم في معالجة المشلكة في بداية نشوئها. بينما يقتضي المنطق الصحيح مواجهة المشكلة من البداية.

٤/ التصلب في المواقف الأساسية :

الحديد نوعان معروفان : فولاذ، وحديد مطاوع، وشخصيات الناس كذلك. فبينما تجد بعضهم فولاذي الارادة والعقيدة، لا تغيره الحالات الخارجية (الضغوط او الترغيبات)، فهو لا يتبدل او يتغير في حالات الشدة او الرخاء، والفقر او الغنى أؤلئك النوع الذين يوضعون في الاحاديث بانهم (اشد من الجبل) لا ينتقص من ايمانهم ولا تلوى ارادتهم.

وهناك نوع اخر هو الحديد المطاوع في ارادته وعقيدته، تثنيه يميناً فيتثنى معك وتلويه شمالاً فيأتي اليك، يتحدث معه شخص مهدداً فيستجيب لمطارق التهديد، ويتحدث معه ثالث محسنا له فكرة فاسدة فيصدقها، ويقبح له رابع. فكرة من افكاره الأساسية فإذا به يتركها، وهكذا.

هذه الحالة هي (ايدز) القيادات والوكلاء، ومن يبتلى بهذا المرض فلا يصح تكليفه بمهمة شريفة وعظيمة هي قيادة

---

[38] / بحار الانوار- ٤٧/ ٣٤٢.

[39] / اختيار معرفة الرجال/ ص ٣٢٨.

العمل الإسلامي في منطقة ما.

المشكلة تتعاظم وتزداد خطورة حين نعلم ان العدو لا يركز على استقطاب الافراد الصغار من العاملين بمقدار ما يحرص على استقطاب القيادات بالكامل او على الاقل تغيير بعض قناعاتهم، وما تغير السياسات، وتبدل الاستراتيجيات في كثير من البلاد الإسلامية الا ناتج هذا السعي، وما كثرة السفرات والزيارات التي يقوم بها مندوبو وسفراء الاجانب إلى بلادنا الا لأجل تغيير القناعات حول السياسة العامة او (تقريب وجهات النظر) كما يقولون حول المسائل التفصيلية.

ان القيادات الفرعية خصوصاً وهي تدير العمل بعيداً عن المركز، تستهدف من قبل الاعداء بطرق متعددة، لأجل تغيير مسيرها بالكامل او التخلي عن بعض مواقفها.

فمن الوسائل الايحاء بانه لا يمكن الاتفاق مع الاطراف الاخرى الا بوجود نوع من المرونة وهي كلمة حق في التكتيك يراد بها باطل في الاستراتيجية. ومنها تشكيل (جماعة ضغط) من المقربين إلى الوكيل، تظل تسرب إليه الاخبار والافكار على طريقة (نقطة نقطة) حتى تتحول- اذا استمع اليها- إلى سيل فكري يغير اتجاهه في يوم من الايام.. وهكذا اشاعة جؤ اعلامي يضخم قضية ما، فيسوق هذا الشخص إلى التبري منها كما صنع الاعلام الغربي جواً اعلامياً هائلا حول المجاهدين المسلمين تحت عنوان (الارهاب) وصرح بعض قيادات المسلمين ضد (الارهاب)!!

بل من الوسائل محاصرة الاطراف الاصيلة، تحت عنوان انها متطرفة او عنيدة، وانها غير قابلة للتفاهم وبالتالي فهي اما ان تخضع (لقواعد اللعبة) او تحرم من المكاسب. فتخان ثم تدان. تماماً كما صنع عبد الرحمن بن عوف في مجلس شورى الستة عندما عرض على اميرالمؤمنين عليه السلام شرطاً لا يقبله الإمام عليه السلام ورتب عبد الرحمن الامر كما اراده هو، وخلافاً للحق، ثم القى باللوم على الإمام عليه السلام باعتباره لم يقبل (بسيرة الشيخين)!! هكذا أيضاً يعملون بالنسبة للقيادات الفرعية، اما ان تقبل على خلاف مبادئها، او ترفض فتحرم ويلقى اللوم عليها.

لذلك تحتاج الوكالة إلى أشخاص قادرين على الانفتاح والتعامل على مستوى التكتيك والاعمال المرحلية، ولكنهم في نفس الوقت ذوو ارادة صلبة وعزيمة راسخة وقبل عقيدة واضحة وثابتة تعرف (موقع البئر والطريق).

اننا نجد ان الذين كانوا يتمتعون بهذه الميزة من أصحاب ووكلاء أهل البيت عليهم السلام استطاعوا ان يتعالوا على محاولات الاستدراج والاستقطاب من قبل العدو، بينما وقع اخرون في هذا الفخ.

فمن النماذج الصلبة التي لم تلن ولم تهن ولم تضعف لا في الحرب ولا بالاغراء في أيام السلم قيس بن سعد بن عبادة الذي كتب إليه معاوية بن أبي سفيان، محاولاً استقطابه إلى جانبه ممنيا اياه بالعطاء والولاية ان جاء إليه وترك معسكر الإمام الحسن عليه السلام فكتب إليه قيس : لا والله لا تلقاني ابدا الا وبيني وبينك الرمح.. وبالرغم من كتاب التهديد الذي كتبه إليه معاوية (فانك يهودي ابن يهودي تشقي نفسك وتقتلها فيما ليس لك فان ظهر احب الفريقين لك نبذك وغدرك وان ظهر أبغضهم اليك نكل بك وقتلك ..) الا ان قيساً اجابه بكتاب اعنف واشد (.. اما بعد فانما انت وثن ابن وثن دخلت في الإسلام كرهاً واقمت فيه فرقاً وخرجت منه طوعاً، ولم يجعل الله لك فيه نصيباً. لم يقدم اسلامك ولم يحدث نفاقك ولم تزل حرباً لله ولرسوله وحزباً من احزاب المشركين وعدو لله ولنبيه

وللمؤمنين من عباده ..) [40]. وهكذا لم تزده تهديدات معاوية- كما اغراؤه وترغيبه- الا زيادة في البصيرة وشدة على العدو.

وكذلك يونس بن عبد الرحمن الذي حاول زعماء الواقفية استقطابه إلى صفهم، وتليين موقفه فيما يرتبط بقضية الامامة، وامامة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ، وضمنوا له عشرة الاف دينار في مقابل ان يكف عن الحديث عنهم، وقد كان يونس قد حل محل هشام بن الحكم في دوره الثقافي والفكري بعد وفاته، فرفض هشام ذلك مبرراً رفضه بالمسؤولية الشرعية الملقاة على عاتق العالم في محاربة البدع [41] .

اما النموذج الاخر فهو ذلك الذي يلوح له من البعد (بطعم) المال او الزعامة او غير ذلك فإذا به يجري وراء ذلك السراب، فيفقد واحته الأساسية، ويجري في صحراء الطمع حتى يهلكه، ويوبقه. مثال ذلك زياد بن ابيه والي أمير المؤمنين عليه السلام على البصرة، والذي كان في صف الحق في بداية امره، وكان يتمتع بقدرة ادارية جيدة، لكنه كان يعاني من نقطة ضعف كبيرة في شخصيته، تلك هي شعور الابن غير الشرعي الذي لا يعرف له اب، شعور الضياع في النسب، خصوصاً في الوسط الإسلامي، واخص منه في الوسط العربي الذي كان يجعل القبيلة والنسب محوراً للمفاخرة، فاستغل معاوية هذه الثغرة في جدار شخصيته واقتحمها عندما ادعى ان زياداً هو ابن أبي سفيان وبالتالي فهو اخوه.. وكان ذلك كل ما ينتظره زياد، فاسرع عاطشاً إلى هذا السراب، وتحالف مع معاوية منقلباً ضد الدين، منكلاً باصحابه السابقين بشكل لم يصنعه معهم اعدى اعدائهم.

والمثال الاخر هشام بن إبراهيم الراشدي (العباسي)، فلقد كان هذا الرجل من اخص الناس بالامام الرضا عليه السلام في المدينة، وكانت امور الإمام عليه السلام تجري على يده، وتصدر من عنده، ومن خلاله كانت تصل اموال النواحي المختلفة للإمام، فلما انتقل الإمام الرضا عن المدينة اتصل ذو الرياستين بهشام هذا، واستقطبه، مقرباً اياه، واغدق عليه الاموال، فغير بذلك موقفه، وانقلب على الإمام عليه السلام بالكامل فكان يتجسس عليه ويضيق عليه وينقل اخباره ولا يسمح بالدخول عليه الا لمن اراد [42].

وهكذا نجد ان ميوعة الشخصية والعقيدة لدى هذا الشخص او سابقه، يجعل جدار صموده هشاً ضعيفاً تطيح به رياح الترغيب والتهديد.

٥/ الطاعة التامة للقرار القيادي :

في التعامل مع القرار هناك ثلاثة مواقف : الأول : موقف الرفض الكامل. والثاني موقف الطاعة الايمانية. والثالث الطاعة العليلة.

ومن الطبيعي ان يكون رافض القرار القيادي- كما في الصورة الاولى- غير مؤهل لدور الوكالة والقيادة، باعتبار ان

---

40 / شرح نهج البلاغة- ١٦/٤٣.

41 / اختيار معرفة الرجال/ ص ٤٩٣.

42 / تنقيح المقال- ٣/٢٩٢.

الوكالة تقتضي وجود علاقة بين الوكيل والاصيل، والعلاقة الطبيعية هي التشاور من الثاني والطاعة من الاول.. ومع هذا النوع لا توجد مشكلة لانه لا يوكل وحتى لو وكل وعين فإنه يعزل مع بروز حالة الرفض هذه لديه.

الموقف الآخر هو الطاعة العليلة، اي ذلك الانقياد الذي يأتي متأخراً بعد سلسلة من المراجعات والتساؤلات، ومحاولات تغيير القرار، والتردد، واخيراً وحين يجد المرء نفسه قد استنفذ حججه وذرائعه (يضطر) إلى الطاعة، ولعل قصة بني اسرائيل المبينة في سورة البقرة تكشف لنا عن هذا النموذج، الذي لا يطيع الامر بالرغم من معرفته بمصدره، وانما يتساءل، ويتردد، ويراجع وهكذا، يقول ربنا سبحانه وتعالى :

(واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة).

النبي موسى يبلغ قومه بالامر الالهي القاضي بذبح بقرة ما.

المراجعة الاولى : (قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين).

فبالرغم من معرفتهم بشخصية النبي موسى ونبوته، وبالرغم من انه بلغهم بان هذا الامر هو امر الله سبحانه، الا انهم يعترضون عليه، بانه يستهزء بهم.

المراجعة الثانية : (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون).

كرر عليهم هنا الامر بعد ان بين لهم المطلوب بشكل ادق.. وكان عليهم ان يفعلوا ما امروا، الا ان طبيعة التثاقل عن الطاعة والاداء العاجل للطلب لدى بني اسرائيل منعهم عن ذلك فعادوا مرة ثالثه يتساءلون :

(قالوا اع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين) .

وهنا أيضاً كان يجب على بني اسرائيل المسارعة إلى تنفيذ الامر بعد ان تبين لهم اصل الامر وتفصيلاته، الا انهم عادوا مرة رابعة متثاقلين عن التنفيذ ومتسائلين :

(قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون * قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها، قالوا الان جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون)[٤٣] .

والكلمات الاخيرة في الآية المباركة تبين لنا معنى الطاعة العليلة او المنتزعة فبعد كل تلك المراجعات والتساؤلات، اخيراً فذبحوها وما كادوا يفعلون.

هذا النوع من الطاعة هو الذي يتذمر منه أمير المؤمنين عليه السلام حين يتحدث مع جنده، الذين كانوا لا يريدون القتال فكانوا يتعللون تارة بالحر واخرى بالقر (فإذا امرتكم بالسير اليهم في أيام الحر قلتم : هذه حمارة القيظ امهلنا يسبخ عنا الحر، واذا امرتكم بالسير اليهم في الشتاء قلتم : هذه صبارة القر امهلنا ينسلخ عنا البرد.. كل هذا فراراً من الحر والقر فإذا كنتم من الحر والقر تفرون فانتم والله من السيف أفر) [٤٤].

وحين يضطر هؤلاء إلى طاعة الإمام يخرجون إلى الحرب (تدور اعينهم– من الخوف– كالذي يغشى عليه من

---

43 / البقرة/ ٦٧- ٧١.

44 / نهج البلاغة.

الموت).

والنوع الثالث هو الطاعة ا التامة التي ينطلق فيها المرء المطيع من قاعدة ان قيادته قيادة صالحة وانها موضع للثقة فلا تأمر– عادة– الا بالمعروف، وما لم يتبين المنكر بوضوح لديه فانه على استعداد دائم للطاعة والمسارعة.

ويختلف الموقع هنا بين طاعة النبي والامام عليهما السلام، وبين طاعة العالم او القائد الرسالي، ذلك ان الاولين لا يمكن ان يتصور فيهما وجود الخطأ فضلاً عن الامر بعمل منكر. بينما يمكن تصوره في الاخرين لعدم العصمة، لكن عندما تلاحظ المسيرة العامة لهذا القائد، وتحظى بالثقة آنئذ ينبغي طاعته على اساس انه لا يتعمد المنكر.

اننا نلتقي مع نماذج من أولئك الوكلاء الذين يعتقدون بصوابية قرارات قيادتهم لذلك يتعاملون معها– في حال الأئمة عليهم السلام – بمنطق الواجب الشرعي تماما. فعبد الله بن أبي يعفور يصفه الإمام الصادق عليه السلام بعد وفاته في رسالته إلى المفضل بن عمر قائلا (وقبض صلوات الله على روحه محمود الاثر مشكور السعي مغفوراً له مرحوماً برضى الله ورسوله وامامه عنه، فبولادتي من رسول الله ما كان في عصرنا أحد اطوع لله ولرسوله ولامامه منه فما زال كذلك حتى قبضه الله إليه برحمته وصيره إلى جنته ..) [٤٥].

هذا الرجل العظيم يقول : قلت لابي عبدالله (الصادق) عليه السلام : والله لو فلقت رمانة بنصفين فقلت هذا حرام وهذا حلال، لشهدت ان الذي قلت حلال، حلال. وان الذي قلت حرام، حرام، فقل عليه السلام : رحمك الله، رحمك الله[٤٦] .

ولذلك يعتمد عليه الإمام عليه السلام في اداء المهمات ويثق بطاعه التامة لما يقرره كقائد عليه، فقد اراد رجل الخروج إلى مكة، فأتى عبدالله بن يعفور أيام كان وكيلاً للإمام عليه السلام ، وقال له : ألك حاجة ؟! قال ابن أبي يعفور : نعم

تقرىء ابا عبدالله السلام فقدم الرجل المدينة ودخل على الإمام فسأله : فإذا فعل ابن أبي يعفور ؟! فاخبرته عن حاله، انه يقرأه السلام، فقال الإمام عليه السلام : اقرأه السلام وقل له : كن على ما عهدتك عليه [٤٧].

وهذا نموذج واحد، وهناك نماذج اخرى عديدة منها علي بن مهزيار الذي يقول في حقه الإمام الجواد عليه السلام ، وكان علي وكيلاً له، ما ينبينا عن مدى الطاعة التي كان يمتلكها هذا الوكيل، فقد كتب له الإمام ما يلي :

(احسن الله جزاك واسكنك جنته ومنعك من الخزي في الدنيا والآخرة وحشرك الله معنا يا علي قد بلوتك وخبرتك في النصيحة والطاعة والخدمة والتوقير والقيام بما يجب عليك، فلو قلت اني لم أر مثلك لرجوت ان اكون صادقاً فجزاك الله جنات الفردوس نزلاً فما خفي على مقامك ولاخدمتك في الحر والبرد والليل والنهار فاسأل الله اذا

---

[45] / منتهى الامال ٢/ ٧٤٧

[46] / سفينة البحار ٢/ ١٢٤.

[47] / بحار الانوار ٤٧/ ٣٧٤.

جمع الخلائق للقيامة ان يحبوك برحمة تغتبط بها انه سميع الدعاء)[٤٨] .

مسؤليات الوكلاء القيادية

بكلمة.. نستطيع ان نقول ان الدور المطلوب من الوكيل اداؤه هو النسخة الاخرى لدور القيادة المركزية، في الخطوط العامة والرئيسية، وتخف او تزيد بعض هذه العناوين تبعاً للظروف الموضوعية التي ترتبط بشخص الوكيل او قدراته، او للواقع الخارجي وامكاناته.

وعلى اساس سعة المسؤولية تعطى الصلاحية، فبينما يفكر البعض انه من الضروري اولاً اطلاق يد الوكيل، واعطاؤه صلاحيات واسعة، قد يستخدمها في اطار (التشريف) و(الترؤس)، الا ان الصحيح هو ان الصلاحيات تزداد تبعاً لتحمل (التكليف)، والقيام بالمهمات. وحين تكون هذه القاعدة هي الحاكمة فان الخلافات تقل، إذ ان منشأ الخلافات ومصدرها البحث عن الزعامة والرئاسة بما هي صور احترام، واعتبارات شرف، وسؤدد اجتماعي، بينما اذا صار طريق الزعامة يمر عبر القيام بالمسؤوليات، والتعب لانجاز الاعمال، فان الكثير لا يرغب في سلوكه.

وان هذا ليفسر لنا سر (هرب) بعض الوكلاء وانحراف بعضهم الاخر، فنحن نجد انه كان في عمال أمير المؤمنين عليه السلام ووكلائه من هرب إلى جبهة معاوية، مع انه كان والياً وحاكماً على منطقة والمفروض انه في مثل هذه الحالة ان يتمتع بما توفره له الزعامة من فرص.. ان هؤلاء رآوان ولايتهم وزعامتهم على تلك المنطقة قد تحولت إلى مسؤولية، والى بذل جهد، والى كونهم تحت المراقبة السلوكية الدائمة من قبل الإمام، وبالتالي فانهم عندما يجردون حسابهم يجدون انفسهم (خاسرين)، فباعتبار كونهم وكلاء للإمام عليهم ان يتورعوا اكثر من سائر الناس، وعليهم ان يزهدوا، وعليهم وهكذا.

لقد كانوا يريدون من الولاية شرفها وها هم يطالبون بمسؤوليتها، وكانوا يريدون من القيادة سؤددها فها هم يطالبون ببذل الجهد فيها، وكانوا يطمحون إلى الغنى فها هم يضطروت إلى الزهد!! لذلك وجدوا طريقهم الطبيعي الهرب إلى حيث يطلقون لآمالهم العنان حيث لا من رقيب ولا حسيب.

وبناء على ذلك فان الطريقة الامثل هي في ان تكون (الولايات مضامير الرجال) والقيام بالمسؤليات واداؤها هو الذي يحدد موقع الوكيل، ومقدار الصلاحيات التي تعطى له. ولا يعني هذا (استلزام الدور) فلسفياً كما يقولون، إذ ان الرسالة تقرأ من عنوانها وان امتحان هذا الشخص في بعض المسؤوليات التمهيدية يكشف عن شخصيته ومدى قدرته على حمل هذه الامانة.

---

48 / بحار الانوار– ٥٠/ ١٠٥.

بعد هذه المقدمة نستطيع ان نتحدث عن مسؤوليات قيادة الفروع من خلال العناوين التالية :

١/ التعبئة السياسية والتوجيه الفكري :

التعبئة : تعني صنع منظومة فكرية دينية وسياسية تقوم على اساس التولي والتبري، وتجمع بين الفكرة والمصداق، تهدف إلى ربط الفرد والجمهور بافكار التجمع، وتأمين حصانة مضادة للافكار والاتجاهات الاخرى، والتوجيه إلى نمط سلوكي خاص.

اننا حين نقرأ آيات القرآن الكريم، ونتصفح احاديث الرسول صلى الله عليه وآله نجد نمطاً متقدماً من التعبئة الايجابية، لصناعة الايمان في نفوس المسلمين عبر بيان الاحكام والبصائر الدينية، داعية المسلمين إلى الايمان بكامل مفرداتها، مفندة اوهام الكافرين والمشركين، قارعة اياها بالحجج، وبعد ان تصنع التعبئة الايجابية فيما يرتبط بثقافة المسلم تقوم بحملة عنيفة ضد رموز الفساد والكفر سواء في التاريخ القديم أو من المتأخرين وتهاجمهم بالاسم لكيلا يتأثر المسلمون بهم ولكي يتحصنوا ضد مكرهم. فالقرآن تارة يبين صفات فرعون وهامان ونمرود، واخرى يلعن ابا لهب، وثالثة يتحدث عن وقائع ينعى على اصحابها من دون تسمية مباشرة، حيث تكون الكناية ابلغ من التصريح. وهكذا الحال في احاديث الرسول والائمة الطاهرين، فهم يقومون بالتعبئة الايجابية (التولي) على صعيد الرمز [٤٩] وبالتعبئة السلبية (التبري) بالنسبة للاعداء والظالمين.

وبالنسبة للوكلاء فان مسؤولية التعبئة تزداد اهمية نظراً لكون التجمع الذي يكون هؤلاء الوكلاء بعيداً عن القيادة وما تمثله من زخم روحي وعطاء ثقافي. تعبئة التجمع بالثقافة السليمة التي تستطيع ان تشكل سداً منيعاً امام الثقافة الوافدة، وقد بينا فيما سبق كيف كان وكلاء أهل البيت عليهم السلام يتصدون للثقافات السقيمة، بالمناظرات والوصايا وغير ذلك.. وبالرغم من ان الكتب التاريخية لم تستقص كل تلك المناظرات بين وكلاء الأئمة ومنافسيهم الا اننا نستطيع ان نعرف كثرتها من خلال استقصاء بعض مناظرات واحد منهم وهو هشام بن الحكم رضوان الله عليه فقد كان له اثنان وثلاثون كتاباً اكثرها في اطار المناظرات والرد على الفرق الاخرى.

و لم تكن هذه المناظرات لتبقى محصورة بين الطرفين المتناظرين انما كانت تتموج في وسط التجمع لتشكل جزءاً من عملية التعبئة في الجانب الثقافي لدى أفراد هذا التجمع.. ونستطيع ان نعرف اهمية هذا الجانب عندما نجد ان بلدة قم- وكانت آنئذ تدار بواسطة وكلاء الأئمة عليهم السلام خصوصا من الاشعريين- كان قد وجد فيها جو ثقافي، بواسطة الوكلاء، مضاد للغلو واوهام الغلاة وكانوا يطردون من يثبت عليه انه من الغلاة إلى خارج قم. ان ذلك ليدل على ان الجمهور كان قد تشبع بالفكر العقيدي السليم، بحيث شكل له هذا درعاً حصيناً ضد تسرب فكر الغلاة.

كما ان من التعبئة، التوجيه إلى تبني مواقف سياسية خاصة كان يبينها الأئمة عليهم السلام لوكلائهم، الذين كانوا يوجهون التجمع اليها، ذلك ان أحد تجليات الصراع العقيدي والفكري، الساحة السياسية، والموقف مما يجري فيها. وما هذه الاجهزة الاعلامية (من مجلات وصحف واذاعة وتلفزيون وغيرها..) والتي تصرف عليها الجهات المختلفة مبالغ خيالية، الا لتعبئة جو الجمهور بمواقفها السياسية، ولهذا السبب نجد مدى حرص الدول الغربية على ايصال رأيها

---

[49] / يراجع فصل التربية السياسية للقادة من كتاب بناء القادة في منهج أهل البيت للمؤلف.

السياسي، وموقفها عبر اذاعاتها القوية إلى بلادنا الإسلامية.

من هنا فان مهمة الوكلاء وقيادات الفروع ان تقوم بتشخيص الموقف السياسي السليم الذي يراد اتخاذه ثم تعبىء الجمهور في اتجاهه، خصوصاً ان السلطات تسعى لالباس موقفها السياسي الخاطىء ثوباً جميلاً وانيقاً.

اننا نجد في أيام الإمام الرضا عليه السلام وحيث كان البعض قد اخذ بخدعة المأمون في تولية الرضا عليه السلام العهد من بعده الا ان الموقف كان واضحاً لدى الاصحاب والوكلاء المقربين من الإمام. يقول احمد بن علي الانصاري سألت ابا الصلت الهروي– وكان من المقربين للإمام الرضا عليه السلام – فقلت : كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضا عليه السلام مع اكرامه ومحبته له ؟! وما جعل له من ولاية العهد بعده ؟! فقال لي : ان المأمون انما كان يكرمه ويحبه لمعرفته بفضله وجعل له ولاية العهد من بعده، ليري الناس انه راغب في الدنيا فيسقط محله من نفوسهم فلما لم يظهر منه في ذلك للناس الا ما ازداد به فضلاً عندهم ومحلاً في نفوسهم جلب عليه المتكلمين من البلدان طمعاً من ان يقطعه واحد منهم فيسقط محله عند العلماء وبسببهم يشتهر نقصه عند العامة. فكان لا يكلمه خصم من اليهود والنصارى والمجوس والصابئة والبراهمة والملحدين والدهرية ولا خصم من فرق المسلمين المخالفين له الا قطعه والزمه الحجة، وكان الناس يقولون : والله انه اولى بالخلافة من المأمون فكان أصحاب الاخبار يرفعون إليه ذلك فيغتاظ منه ويشتد حسده، وكان الرضا عليه السلام لا يحابي المأمون من حق ويجيبه بما يكره فلما اعيته الحيلة في امره اغتاله فقتله بالسم .

اضافة إلى هذا فان قرارات القيادة المركزية، وتوجهاتها يجب ان تكون جزءاً من التعبئة التي يقوم بها الوكلاء، شرحاً وتبييناً، ويجب ان يتناسى هنا الوكيل رأيه الشخصي، وان يدعو إلى تبني قرارات واستراتيجيات القيادة والالتزام بها بقوة وحزم . وان الطريقة التي يقوم بها البعض حين يرى معارضة او مخالفة للتوجه القيادي، يقول ماذا نفعل ؟ هذا رأيهم ؟! او يقول ان رأي الشخصي مخالف، ولكن ماذا نفعل ؟! ان هذه الطريقة ليست سليمة، وتحدث صدعاً خطيراً في جدار الجمهور.

احلاق التعبئة :

هناك طريقتان في التعبئة، الاولى : التعبئة المنفتحة وتنطلق من فكرة قوية، ورؤية للواقع صادقة وهي بالتالي تثق في قدرتها على مصارعة الأفكار والاراء الاخرى والتغلب عليها، واصحاب هذه الطريقة لا توجد عندهم قوائم ممنوعة باسماء الكتب خوفاً من تأثيرها، ولا اسماء مؤلفين اسلاميين محظورة، وانما تقوم بتعبئة افرادها بشكل متوازن يستفيد من فكر الجميع ويكون شاهداً عليهم. اننا نجد ان عددا كبيراً من أصحاب أهل البيت عليهم السلام كانوا يختلطون بالاتجاهات المخالفة إلى الذي كان يتوهم البعض ان هؤلاء الاصحاب ليسوا من اتباع الأئمة عليهم السلام ويعرفون مسائلهم وافكارهم حتى ليفتي الواحد منهم بفتاوى الاطراف الاخرى لكثرة اطلاعه.

والطريقة الاخرى هي التي تصنع (غيتو) لاصحابها واتباعها، فتربيهم

ضمن اطار (قوائم الممنوعات) في الكتب، والمحرمات من الاشرطة حتى الصادرة من التجمعات الإسلامية الاخرى.. كل ذلك خوفا على هؤلاء الاتباع من التأثر بافكار الاخرين، وهذا النوع من التعبئة يشير إلى ان افكار هذا التجمع غير قادرة على الصمود في ميدان الصراع والتنافس مع الاخرين.

والانغلاق هو اول مشاكل التعبئة الثقافية والسياسية، ذلك انه بالاضافة إلى هزيمة الشخص امام التيارات الاخرى التي يصطدم بها في الساحة تبعاً لكونه لم يكون ثقافته في اتون الصراع اضافة إلى ذلك فان هذا الشخص يكون افكارا غير سليمة عن الواقع، تماماً كالخوارج وحركات العنف التي انسحبت من جو التجمع الاعتيادي وبنت لها جوًا اجتماعياً بعيدا عن الناس، وكونت لها ثقافة غريبة متطرفة، الامر الذي جعلها تتبنى مواقف حدية تجاه تلك المجتمعات.

بينما تحصين التجمع بثقافة خاصة، في نفس الوقت الذي يكون فيه منفتحاً على المجتمع، يجعله اوضح معرفة واصلب موقفاً واسرع إلى تحمل ا لمسؤولية.

تبقى هناك مسألة في قضية التعبئة، انها لكي تكون مؤثرة ومستمرة، يجب ان تكون صادقة، وان تبتعد عن الكذب، والا فانها تنتهي ذات يوم إلى ردة فعل عكسيا عنيفة من قبل الناس، الذين كانوا تبعا لهذا الكذب يتعاملون مع الاحداث ويتخذون مواقف من الاشخاص من خلال ذلك الكلام الكاذب، بينما هم يجدون انفسهم امام حقائق اخرى معاكسة، انهم هنا يتحولون سريعاً إلى الموقف المقابل ويرفضون انتماءهم السابق الذي كان يعبئهم بشكل غير صحيح.

لقد نقل التاريخ مشاهد عديدة عن أشخاص كثر مع الأئمة عليهم السلام ، وانهم كانوا يأتون اليهم شاتمين ومعادين ضمن خلفية معينة ولكنهم لا يلبثون تحت تأثير اخلاق الأئمة عليهم السلام وتحت تأثير الواقع الذي يرونه باعينهم ان يتحولوا إلى صف الأئمة ويقروا بامامتهم قائلين : الله اعلم حيث يجعل رسالته.

وسوف نتناول في الصفحات القادمة الدور الذي كانت تمثله الرسائل الوصايا في مجال التعبئة الثقافية والسياسية، ذلك اننا نلتقي مع نوع من التعميمات والافكار التي كان الأئمة عليهم السلام يكلفون بها وكلاءهم، لايصالها إلى الجمهور، تلك الوصايا التي كانت تبدأ على شكل بيان المطلوب تعميمه على أفراد التجمع التابع للائمة.

(بلغ معاشرشعيتنا وقل لهم...).

٢/ تقنين الاتصال بالقيادة :

كلما تقدمت المتجمعات زاد اعتمادها على المؤسسات في إدارة شؤونها، بينما التجمعات المتخلفة لا تعير اهتماماً للمؤسسة، انما تريد ان تكون كل امورها بمباشرة شخص القائد.

ونظراً لكون القائد- كشخص- غير قادر على تلبية كل الاحتياجات بشكل مباشر، لذلك تلجأ التجمعات المتقدمة إلى ان تصنع مؤسسة مرتبطة بالقائد تقوم بالاعمال بناء على توجيهه، وتحل المشكلات القائمة دون ان تشغل فكر القائد ووقته بمعالجة تفاصيلها، وما صورة الحكومات القائمة في الوقت الحاضر، باجهزتها المختلفة من وزراء ومؤسسات- الا تطبيق لهذه الفكرة. وبالرغم من اننا لسنا في محل نقاش مدى فاعليتها وصحتها او خلاف ذلك، الا انها من ناحية النظرية تهدف إلى تفريغ القائد عن متابعة التفاصيل الصغيرة للمسائل والمشاكل لصالح التخطيط الاستراتيجي والتفكير الشامل.

بينما ترهق التجمعات المتخلفة كاهل القيادة- وشخص القائد بالتحديد- بالمشاكل الشخصية والمسائل الصغيرة، الامر الذي لا يمكنه من ممارسة دوره القيادي الطبيعي. بل نظرا لثقافتها غير الصحيحة لا تقبل بتحويل امورها إلى شخص يمثل القائد، ففي المسألة الشرعية واضحة الحكم لا يتقبل الكثير من الناس ان يجيب عليها وكيل

المرجع او القائد، بل لا بد من ان يكون الجواب بخط المرجع شخصيا، ولو اردنا بعملية حسابية بسيطة معرفة كم ستستغرق اسئلة ملايين المقلدين والاتباع في كل الاماكن من وقت المرجع، لعرفنا مقدار الخسارة التي تسببها هذه الثقافة الخاطئة.

ونظام الوكالة الذي نحن بصدد الحديث عن واجبات الوكلاء فيه، والذي ارساه أهل البيت عليهم السلام كعلاقة طبيعية بينهم وبين اتباعهم، هو عبارة عن تحويل القيادة إلى مؤسسة تحت اشراف القائد، وتوجيه الاتباع إلى الاتصال بهذه المؤسسة لمعرفة توجهات القيادة، وهو يحقق.

اولا : توفير وقت القائد وتفريغه للمهم من الأمور وقد تقدم ذلك.

وثانيا توفير وقت الاتباع، ذلك ان مراجعة انسان يعيش مثلا في اليمن لقائده الساكن في العراق مثلا في قضية من القضايا سوف يكلف هذا الشخص من الاموال والاوقات الشيء الكثير.

وثالثا : سلامة الاتصال ومنع الدخلاء، ذلك ان القائد- من غير الأئمة عليهم السلام - يستطيع ان يحيط علما بمن هو في منطقته ومن يتعامل معه، لكنه لا يستطيع ان يعرف دوافع وخلفيات هذا الشخص القادم من مكان اخر، ولقد حدث ان استحصل (فلان) من الناس فتوى من هذا المرجع او ذاك بعد ان (صاغ) السؤال بطريقة يحصل فيها من الجواب على ما يريد. بينما عندما يقنن الاتصال عبر جهة عارفة بالمنطقة وبالاتباع هناك، فان هذا يمنع الدخلاء من استغلال الفرصة، ويؤمن سلامة الاتصال.

ورابعا واخيرا : ان هناك توجيهات ابتدائية لا ترتبط بالاجابة عن مسألة او بحل معضلة او انما تهدف إلى توجيه الجمهور والاتباع إلى قضية معينة في المجال الثقافي او السياسي، وهذه تتصور حين وجود الوكيل.

وينبغي ان يكون واضحا ان هناك ثلاثة اطراف، يجب ان تمارس عملها بطريقة خاصة ليتم تقنين الاتصال بالقيادة وليكون مثمرا :

الاول : الاتباع، إذ لا بد من تثقيفهم بهذه الثقافة بالشكل الذي لا يجد في نفسه حرجا من الاتصال بالوكيل واخذ امره ونهيه على انه من القائد او الإمام، وفي هذا من الوضع النفسي الخاص ما لا يخفى.

والطرف الثاني : القائد، الذي ينبغي ان يركز (طريقية) هذا الوكيل ويجعل الأمور من خلاله- تسليماً واستلاماً- بالرغم من ان ذلك يسبب أحياناً تأخير العمل ومشاكل اخرى.

والثالث : الوكيل : الذي يجب ان يكون مرآة مصغرة لشخصية القيادة في العلم والعمل- كما بينا في فصل صفات الوكلاء- أضافة إلى ادارته للاعمال بشكل بعيد عن البيروقراطية وتأخير القضايا.

اننا نجد ان أهل البيت عليهم السلام وهم يريدون تركيز نظام الوكالة في الامة كانوا يقومون بتوجيه اتباعهم إلى كون الوكلاء ممثلين لهم، وان رأي الوكلاء هو رأيهم، وان مخالفة الاتباع للوكلاء تعني مخالفة الإمام. اضافة إلى ذلك كانوا يرجعون اتباع كل منطقة إلى الوكيل المكلف بتلك المنطقة ولم يكونوا يقبلون- في العادة- منهم الا عن طريق ذلك الوكيل ؟ وسنستعرض عددا من النصوص على سبيل الاستشهاد لا الحصر :

- فعن موسى بن بكر قال : كنت في خدمة أبي الحسن (الكاظم) عليه السلام فلم اكن ارى شيئا يصل إليه

الا من ناحية المفضل، ولربما رأيت الرجل يجيء بالشيء فلا يقبله منه ويقول : اوصله إلى المفضل [50].

– وعن هشام بن احمر قال : حملت إلى أبي إبراهيم (الكاظم) عليه السلام إلى المدينة اموالاً فقال : ردها فادفعها إلى المفضل بن عمر، فرددتها إلى جعفى فحططتها على باب المفضل [51].

ويؤكد الإمام الهادي عليه السلام على ضرورة طاعة الوكيل الذي ينصبه، وان طاعته طاعة الإمام عليه السلام نفسه فقد كتب إلى اتباعه المقيمين في بغداد والمدائن كتاباً جاء فيه (.. واني اقمت ابا علي بن راشد مقام علي بن الحسين بن عبد ربه، ومن كان قبله من وكلائي وصار في مترلته عندي ووليته ما كان يتولاه غيره من وكلائي قبلكم ليقبض حقي وارتضيته لكم وقدمته على غيره في ذلك وهو اهله وموضعه، فصيروا رحمكم الله إلى الدفع إليه ذلك والي..) ويقول في موضع اخر (.. فقد اوجبت في طاعته طاعتي والخروج إلى عصيانه الخروج إلى عصياني ..) [52].

بينما يؤكد على ضرورة الالتزام بقنوات الوكلاء المعينة، وان لا يستأذن أحد الوكلاء الا لأهل ناحيته فقط، لانه لا يعرف أهل النواحي الاخرى، ولكيلا يحصل التداخل : (.. وانا امرك يا ايوب بن نوح ان تقطع الاكثار بينك وبين أبي علي وان يلزم كل واحد منكما ما وكل به وأمر بالقيام فيه بأمر ناحيته فانكم اذا انتهيتهم إلى كل ما امرتم به استغنيتم بذلك عن معاودتي، وامرك يا ابا علي في ذلك بمثل ما آمرك يا ايوب ان لا تقبل من أحد من أهل بغداد والمدائن شيئا يحملونه ولا تلي لهم استيذاناً علي ومر من اتاك بشيء من غير أهل ناحيتك ان يصيره إلى الموكل بناحيته وامرك يا ابا علي بمثل ما امرت به ايوب ..) [53].

وحين يسأل احمد بن اسحاق القمي الإمام علياً الهادي عليه السلام وابنه الحسن العسكري عليه السلام عن طريقة تحصيل آرائهما ؟ يوجهانه إلى أبي عمرو عثمان بن سعيد العمري، يقول احمد بن اسحاق : دخلت على أبي الحسن علي بن محمد (الهادي) صلوات الله عليه في يوم من الايام فقلت له : يا سيدي انا اغيب واشهد ولا يتهيأ لي الوصول اليك اذا شهدت في كل وقت، فقول من نقبل وامر من نمتثل ؟! فقال لي : (هذا ابوعمرو الثقة الامين ما قاله لكم فعني يقوله، وما اداه اليكم فعني يؤديه ؟ فلما مضى أبو الحسن عليه السلام وصلت إلى أبي محمد ابنه الحسن العسكري عليه السلام ذات يوم فقلت له عليه السلام مثل قولي لابيه فقال لي : (هذا أبو عمرو الثقة الامين، ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات، فما قاله لكم فعني يقوله وما اداه اليكم فعني يؤديه) [54].

---

50 / الغيبة للشيخ الطوسي/ ص. ٢١.

51 / نفس المصدر

52 / اختيار معرفة الرجال/ ص ٥١٤.

53 / نفس المصدر

54 / الغيبة/ ٢١٥.

وهنا لا بد من الاشارة إلى نقطة هي تسلسل الوكلاء، فهناك وكيل خاص بمنطقة واخر وكيل عام، ويأخذ الوكيل الخاص تعاليمه وتوجيهاته من الوكيل العام للمنطة، ويرجع إليه في اموره وشؤونه، فأحمد بن اسحاق القمي المتقدم الذكر هو نفسه وافد القميين ووكيل للعسكري عليه السلام [٥٥]، الا انه يرجع في شؤونه إلى عثمان بن سعيد العمري (الوكيل العام)، ويبدو ان عثمان بن سعيد رضوات الله عليه والذي توكل لثلاثة من الأئمة : الهادي– العسكري – الحجة عجل الله فرجه كان على مستوى عال جدا من الوثاقة والادارة الامر الذي كان يجعل اكثر الأمور تعود إليه، فهذا احمد بن اسحاق شيخ القميين يعود إليه واليه يسلم أهل اليمن اموالهم ومسائلهم [٥٦].

وهذا الامر ليس مقصورا على عثمان بن سعيد فقد كان قاعدة عامة فيما بين الوكلاء السابقين ذلك ان عبدالله بن أبي يعفور وقد كان من وكلاء الإمام الصادق عليه السلام ومن خاصته وقد ورد مدحته والثناء عليه كثيراً في احاديث الإمام الصادق عليه السلام لكنه يرجع إلى محمد بن مسلم الثقفي في مسائله وقضاياه فقد قال : قلت لابي عبدالله عليه السلام انه ليس كل ساعة القاك ولا يمكن القدوم ويجيء الرجل من اصحابنا فيسألني وليس عندي كلما يسألني عنه ؟ فقال عليه السلام : فما يمنعك من محمد بن مسلم الثقفي فانه سمع من أبي وكان عنده وجيها [٥٧].

وعبد العزيز بن المهتدي وقد كان وكيل الإمام الرضا عليه السلام ، قال : سألت الرضا عليه السلام فقلت : اني لا ألقاك في كل وقت فعمن آخذ معالم ديني ؟! قال عليه السلام : خذ من يونس بن عبد الرحمن [٥٨].

وابراهيم بن عبده وهو وكيل العسكري عليه السلام يؤمر بان يؤدي الحقوق إلى الرازي او من يسميه له الرازي [٥٩].

وينبغي التأكيد على هذه الطريقة ان لم تمارس بالشكل المناسب فانها تتحول إلى جسر مقطوع بين القيادة والاتباع، القيادة تنقطع عن المعرفة الصحيحة بواقع الاتباع، والاتباع يحملون ثقافة ويمارسون اعمالاً بعيدة عن توجهات وخطط القيادة، ولذلك يجب ايجاد طرق سريعة ومؤدية توصل بين الوكيل وبين القائد، سواء كان عبر مراجعة الوكلاء العامين، كما تقدم او عبر الاسفار المتعددة او عبر رفع الاخبار والتقارير الدائمة إلى القيادة. ونستطيع ان نعرف من اجوبة الإمام الجواد عليه السلام لعلي بن مهزيار وكيله عدد الكتب التي كان يرسلها هو إلى الإمام عليه السلام والقضايا المطروحة فيها.

---

55 / رجال الطوسي/ ٣٩٨.

56 / الغيبة/٢١٦.

57 / اختيار معرفة الرجال/ ص ١٦١.

58 / اختيار معرفة الرجال/ ٤٨٣.

59 / اختيار معرفة الرجال/ ص ٥٧٩.

ففي كتاب الإمام عليه السلام له ببغداد : قد وصل الي كتابك وقد فهمت ما ذكرت فيه وملأتني سروراً فسرك الله وأنا ارجو من الكافي الدافع ان يكفيك كيد كل كايد ان شاء الله تعالى.

وفي كتاب اخر : وقد فهمت ما ذكرت من امر القميين خلصهم الله وفرج عنهم وسررتني بما ذكرت من ذلك و لم تزل تفعل، سرك الله بالجنة ورضى عنك برضائي عنك.

وفي كتاب ثالث بالمدينة :- فاشخص إلى مترلك صيرك الله إلى خير مترل في دنياك وآخرتك.

وفي رابع : (واسأل الله ان يحفظك من بين يديك ومن خلفك وفي كل حالاتك فابشر فاني ارجو ان يدفع الله عنك، واسأل الله ان يجعل لك الخيرة فيما عزم لك عليه من الشخوص في يوم الاحد فأخر ذلك إلى يوم الاثنين ان شاء الله صحبك الله في سفرك وخلفك في اهلك وادى غيبتك وسلمك بقدرته)[٦٠] .

٣/ حماية التجمع من الدخلاء :

التجمع الاصيل مستهدف بالتسلل من قبل العدو، ولذلك فالوكلاء مطالبون بايجاد حالة خاصة فيه تجعله عصيا على التسلل سواء التسلل للقواعد او التسلل للمراكز القيادية وهو الاخطر . اننا نلتقي ببعض الاحاديث والاوامر الصادرة من قبل أهل البيت عليهم السلام إلى وكلائهم واصحابهم تنهاهم عن (دعوة الناس لهذا الامر) وتنعى عليهم التفريط بالقواعد المهمة في انتخاب الانصار ودعوتهم إلى التعاون مع هذا التجمع.

فنجد الإمام الصادق عليه السلام يوصي مؤمن الطاق وهو من كبار الوكلاء والدعاء إلى خط أهل البيت بترك الاتصال بالناس اذا كان ذلك يشكل تهديداً لأمن التجمع فيقول له :

- (يا ابا جعفر : مالكم وللناس ؟! كفوا عن الناس ولا تدعوا احداً لهذا الامر فوالله لو ان أهل السماوات والارض اجتمعوا على ان يضلوا عبداً يريد الله هداه ما استطاعوا ان يضلوه كفوا عن الناس ولا يقل احدكم اخي وعمي وجاري فان الله عز وجل اذا اراد بعبد خيراً طيب روحه فلا يسمع معروفا الا عرفه ولا منكراً الا انكره ثم قذف في قلبه كلمة يجمع بها امره)[٦١] .

- (يا ابن النعمان : انا أهل بيت لا يزال الشيطان يدخل فينا من ليس منا ولا من أهل ديننا فإذا رفعه ونظر إليه الناس امره الشيطان فيكذب علينا وكلما ذهب واحد جاء اخر) .

ذلك ان العدو يخطط على مستويين- كما تقدم- : التسلل على مستوى القواعد لاغراض كشف خريطة العمل، واسماء العاملين، ومعرفة العناصر الأساسية في هذا التجمع. ففي أيام الغيبة الصغرى للإمام الحجة عجل الله فرجه حاول عبدالله بن سليمان الوزير ان يلقي القبض على وكلاء الإمام الحجة بعد ان سمع بوجودهم فنصحه اتباعه ان يرسل لكل وكيل شخصاً يدعي وجود مال عنده للإمام، فمن قبض من الوكلاء شيئاً قبض عليه. فقام الوزير بهذه المحاولة الا ان توصيات من الإمام كانت قد وصلت إلى الوكلاء بعدم قبض اي مبلغ وان ينكروا امر وكالتهم،

---

60 / اختيار معرفة الرجال/ ٥٥٠.

61 / تحف العقول/ ٢٢٨.

ففشلت المحاولة، واستطاع الوكلاء النجاة من هذه الخديعة [٦٢].

وقد استخدم الحكام طريقة دس الرجال على انهم من الموالين لكي يوقعوا بالعاملين، وما ذلك إلا لأن مجيء هؤلاء الرجال كان عن غير الطريق الطبيعي اي الوكيل الموثوق، إذ ينقل أبو الفرج الاصفهاني في كتابه مقاتل الطالبيين، كيفية الايقاع بعبدالله بن الحسن بن الحسن ومعرفة موقع ابنه محمد ذي النفس الزكية فقد روى شخص المتسلل الخبر كالتالي، عن عقبة بن سلم : انه دعاه أبو جعفر (المنصور العباسي) فسأله عن اسمه ؟ فقال : عقبة ابن سلم بن نافع من الازد من بني هناءة.

فقال : اني لأرى لك همة وموضعاً واني اريدك لامر انا معني به.

قال (عقبة) : ارجو ان اصدق ظن أمير المؤمنين!!

قال : فاخف شخصك وائتني في يوم كذا، فأتيته. فقال : ان بني عمنا هؤلاء قد ابوا الا كيداً لملكنا ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم ويرسلون اليهم بصدقات وألطاف فاخرج بكسى وألطاف حتى تاتيهم متنكراً بكتاب تكتبه عن أهل القرية ثم تسير ناحيتهم فان كانوا نزعوا عن رأيهم فاحبب والله بهم واقرب وان كانوا على رأيهم علمت ذلك وكنت على حذر منهم، فاشخص حتى تلقى عبدالله بن الحسن متخشعاً فان جبهك- وهو فاعل- فاصبر وعاوده ابدا حتى يأنس بك فإذا ظهر لك ما قبله فاعجل علي.

ففعل ذلك فعل به حتى آنس عبدالله بناحيته، فقال له عقبة : الجواب!

فقال : اما الكتاب فاني لا اكتب إلى أحد ولكن انت كتابي اليهم فاقرأهم السلام واخبرهم ان ابني خارج لوقت كذا وكذا.

فشخص عقبة حين قدم على أبي جعفر فاخبره الخبر[٦٣] .

وكان على اثر ذلك أن اعتقل المنصور عبدالله بن الحسن بن الحسن وعددا من أهل بيته وقتلهم.

الا ان القضية الاخطر هي التسلل على مستوى القيادة والمراكز الأساسية واذا حصل ذلك فانه نذير بان تتغير مسيرة هذا التجمع وثقافته، ومصيره، ان التاريخ ينقل لنا ان لحظة واحدة قد غيرت مسيرة حركة إلى الابد، تلك اللحظة هي التي قضيت بان يتوفى أبو هاشم بن محمد بن الحنفية في قرية الحميمة ويكون في تلك المنطقة محمد بن علي العباسي. فلكي يحافظ أبو هاشم على استمرار حركته حول اسرارها إلى محمد بن علي واذا بتلك الثقافة والمسيرة تنقلب رأساً على عقب، واذا بتلك الحركة التي بدأت على اساس (الرضا من آل محمد) تتحول على يد الخلفاء العباسيين إلى كلب عقور على العلويين، فتشبعهم قتلاً وتشريداً وتبني عليهم اسطوانات البناء واعمدته، وتهدم عليهم السجون تحت الارض حتى تأسف الجميع على زمان بني امية وبطش الحجاج، وحتى قال قائلهم :

تالله مافعلت امية فيهم   معشار مافعلت بنو العباس

---

62 / اعلام الورى بأعلام الهدى/ ٤٢١.

63 / مقاتل الطالبين ص١٤٤.

وقال اخر :

تالله ان كانت امية قد أتت	قتل ابن بنت نبيها مظلوماً
فلقد اتته بني أبيه بمثله	فغدا لعمري قبره مهدوماً
اسفوا على ان يكونوا	شاركوا في قتله فتتبعوه رميماً

ان تلك اللحظة التي جعلت رأس القيادة يتغير، جعل المسيرة تنعكس بهذه الصورة.

وتكتسب المسألة خطورة استثنائية لاننا نجد ان هناك نوعين من الناس يحاولون التسلل :

النوع الاول : شخصيات مدعومة من قبل السلطة الحاكمة، تدفع من قبلها، وتوجه للسيطرة على هذه المواقع الأساسية كما في حادثة جعفر الكذاب الذي حاول ان يأخذ موقع قيادة التجمع الموالي لاهل البيت بعد الإمام العسكري عليه السلام وحاول ان يستعين بالمعتمد العباسى في بلوغ هذا الامر وجلس مجلس الإمام مستفيدا من ظرف اختفاء الإمام المهدي عجل الله فرجه الذي كان مطلوباً من قبل السلطة العباسية، الا ان ذكاء الوكلاء ومعرفتهم بموصفات الإمام منعاً من ذلك، ولنقرأ ما يسجله التاريخ :

لما قبض الإمام الحسن العسكري عليه السلام وفد من قم والجبال رفود بالاموال التي كانت تحمل على الرسم والعادة و لم يكن عندهم خبر وفاة الحسن عليه السلام فلما وصلوا إلى سامراء سألوا عنه عليه السلام فقيل لهم : قد قبض، فسألوا عن وارثه فقيل : اخوه جعفر بن علي، فسألوا عنه فقيل لهم : خرج متنزهاً وركب زورقاً في الدجلة يشرب و معه المغنون، فتشاور القوم وقالوا : هذه ليست من صفة الإمام، فأرادوا ارجاع الاموال لاصحابها فقالى لهم محمد بن جعفر الحميري : قفوا بنا حتى يأتي هذا الرجل ونختبر امره بالصحة.

فلما دخلوا عليه قالوا : يا سيدنا نحن من أهل قم ومعنا جماعة من الشيعة وكنا نحمل إلى سيدنا أبي محمد الحسن بن علي الاموال، فقال جعفر : وأين هي ؟! قال : احملوها الي! فقالوا : لا.. ان لهذه الاموال خبراً طريفاً، فقال وما هو ؟! قالوا : ان هذه الاموال تجمع ويكون فيها من عامة الشيعة الدينار والديناران ثم يجعلونها في كيس ويختمون عليه وكنا اذا وردنا بالمال على سيدنا أبي محمد عليه السلام يقول : جملة المال كذا وكذا دينارا، من عند فلان كذا، ومن فلان كذا حتى يأتي على اسماء الناس كلهم ويقول ما على الخواتيم من نقش فقال جعفر : كذبتم تقولون على اخي ما لا يفعله! هذا علم الغيب ولا يعلمه الا الله.

فلما سمع القوم كلام جعفر جعل بعضهم ينظر إلى بعض، فقال لهم : احملوا المال الي.

قالوا : انا قوم مستأجرون ووكلاء لأرباب المال ولا نسلم المال الا بالعلامات التي كنا نعرفها من سيدنا الحسن بن علي، فان كنت الإمام فبرهن لنا والا رددناها إلى اصحابها يرون فيها رأيهم.

فدخل جعفر على الخليفة، فاستعداه عليهم فلما حضروا قالى الخليفة : احملوا هذا المال إلى جعفر، فقالوا : اصلح الذ- أمير المؤمنين- انا قوم مستأجرون وكلاء لارباب المال وهي وداعة لجماعة وأمرونا ان لا نسلمها الا بعلامة ودلالة، وقد جرت بهذه العادة مع أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام [٦٤] .

---

64 / كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق/ ص ٤٧٣.

والنوع الثاني : شخصيات منحرفة تملك الطموح وتستفيد من وجود الثقة فيها نظراً لكونها في داخل التجمع لمدة من الزمن، فتحاول القفز على المواقع القيادية فيه.

هؤلاء بالرغم من كونهم داخل التجمع وربما سماعهم التوجيه من أهل البيت عليهم السلام الا انه (من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) هؤلاء يحاولون اضعاف الوكيل الحقيقي ويطعنون فيه، ويبثون في المجتمع اراجف حوله، وربما توسلوا بالسلطات لمعاقبته او اعتقاله، ويسعون في شق صفوف التجمع واثارة مسألة تقسم هذا التجمع.

وفي كل هذه الاحوال فان من واجب الوكيل ان يمارس دوره القيادي بحزم، ولا يأخذه الضعف او يتهاون بشأن هؤلاء الدخلاء، لان حبة باطلهم من الممكن أن تصبح قبة فتنة اجتماعية، فتلهي هذا التجمع عن أداء مسؤوليته، هذا ان لم تؤثر على بعض الاتباع. ممارسة هذا الدور بفضح هؤلاء الدخلاء وتعبئة الجؤ ضدهم، وبسد الثغرات الادارية والعملية التي من الممكن ان ينفذوا منها.

اننا نجد ان وكلاء أهل البيت الصادقين كانوا لا يستهينون بهذه الانحرافات التي كانت تصدر من الدخلاء ومحاولتهم الاستفادة من تاريخ وجودهم في هذا التجمع لأغراض الرئاسة الشخصية، بل كانوا يدخلون معهم معركة شعواء محركين الجؤ الرسالي ضدهم. فعلي بن جعفر الهماني وهو وكيل الإمام الهادي عليه السلام تصدى لفارس بن حاتم القزويني الذي حاول التصدي لقيادة اتباع الإمام الهادي عليه السلام بدون اهلية او كفاءة. وحشد الجو الاجتماعي ضده، الامر الذي يصفه أحد اتباع الإمام عليه السلام قال : كتبت إليه عليه السلام ، جعلت فداك، قبلنا اشياء تحكى عن فارس والخلاف بينه وبين علي بن جعفر حتى صار يبرأ بعضهم من بعض فان رأيت ان تمن علي بما عندك فيها وايهما يتولىحوائجي قبلك حتى لا اعدوه إلى غيره فقد احتجت إلى ذلك، فعلت ان شاء الله ؟!
فكتب الي : ليس عن مثل هذا يسأل ولا في مثله يشك فقد عظم الله قدر علي بن جعفر، منعنا الله عن ان يقاس إليه، فاقصد علي بن جعفر بحوائجك واجتنبوا فارساً، وامتنعوا من ادخاله في شيء من اموركم او حوائجكم تفعل ذلك انت ومن اطاعك من أهل بلدك فانه قد بلغني ما يموه به على الناس فلا تلتفتوا إليه ان شاء الله [٦٥](١).
وكما سبق ان قلنا ينبغي دخول الصراع مع هؤلاء المنحرفين بقوة الحد الذي يتبين للمؤمنين انحرافهم والا فان بعضهم يستطيع التزوير على الناس بما يملك، فقد يكون قد سمع احاديث كثيرة من الأئمة فيستفيد منها في تدعيم موقعه، وقد يمارس طقوساً عبادية يستطيع ان يسخرها لمآربه الشخصية.

فأحمد بن هلال العبرتائي كان من أصحاب الإمام الهادي والعسكري عليه السلام ، وقد حج اربعاً وخمسين حجة عشرين منها على قدميه، ولا شك ان خلفيات كهذه تساعده على اغواء بعض الناس لذلك ادعى السفارة والوكالة عن الإمام المهدي عجل الله فرجه كذباً، فخاض معه محمد بن عثمان العمري النائب الثاني للإمام الحجة صراعاً عنيفاً، الا ان بعض السطحيين من الشيعة لم يصدقوا اللعن الصادر بحقه- نظراً لما هو مشهور عنه من كونه من

[65] / (١) اختيار معرفة ا لرجال/ ص ٥٢٣.

.

أصحاب الامين وتصوفه وزهده الظاهري- لذلك خرج توقيع الإمام الحجة عليه السلام بلعنه والبراءة منه.

(قد كان امرنا نفذ اليك في المتصنع بن هلال (لا رحمه الله) بما قد علمت ولم يزل. لا غفر الله له ذنبه ولا اقاله عثرته- يداخل في امرنا بلا اذن منا ولا رضى، يستبد برأيه لا يمضي من امرنا اياه الا بما يهواه ويريده، اداه الله بذلك في نار جهنم. فصبرنا عليه حتى بتر الله- بدعوتنا- عمره وكنا قد عرفنا خبره قوما من موالينا في ايامه (لا رحمه الله) وامرناهم بالقاء ذلك إلى الخاص من موالينا ونحن نبرأ إلى الله من ابن هلال (لا رحمه الله) وممن لا يبرء منه.

واعلم الاسحاقي- سلمه الله- واهل بيته بما اعلمناك من حال هذا الفاجر وجميع من كان سألك ويسألك عنه من أهل بلده والخارجين ومن كان يستحق ان يطلع على ذلك فانه لا عذر لأحد من موالينا في التشكيك فيما روى منا ثقاتنا، قد عرفوا بأنا نفاوضهم بسرنا ونحمله اياه اليهم ٠٠) (١).

وهكذا الحال بالنسبة للشلمغاني (محمد بن علي) الذي يعرف بابن العزاقر الذي ادعى الوكالة عن الإمام الحجة كسابقه كذباً، بالرغم من ان لديه مصنفات كثيرة من احاديث الأئمة عليهم السلام ، لكن (من يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حربياً،، وبالرغم من ان النائب الثالث للحجة الحسين بن روح النوبختي كان قد وثقه وعرفه في ناحية بني بسطام وظل يمارس دوره كوكيل

للنائب الثالث في تلك الناحية، الا ان الطمع وحب الرئاسة حدا به إلى الادعاء انه باب الإمام، ثم (ترقى) إلى القول بان روح أمير المؤمنين قد حلت فيه!! ولعنه الحسين بن روح وامر بني بسطام بالامتناع عن مجالسته وعدم الاخذ منه، حتى خرج لجنه من الإمام الحجة عجل الله فرجه بواسطة الحسين بن روح :

(عرف- اطال الله بقاءك. وعرفك الخير كله، وختم به عملك- من تثق بدينه وتسكن إلى نيته من اخواننا- ادام الله سعادتهم- بان محمد بن علي المعروف بالشلمغاني- عجل الله له النقمة ولا امهله- قد ارتد عن الإسلام وفارقه وألحد في دين الله، وادعى ما كفر معه بالخالق- جل وتعالى- وافترى كذباً وزوراً، وقال بهتاناً واثماً عظيما، كذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيدا وخسروا خسراناً مبينا..

.. واعلمهم- تولاك الله- اننا في التوقي والمحاذرة منه، على مثل ما كنا عليه فيمن تقدمه من نظرائه من الشريعي والنميري، والهلالي، والبلالي وغيرهم ٠٠) (١).

٤/ ننظيم المسألة الاقتصادية :

ينطوي دور الوكلاء في هذا الجانب على امور مهمة تندرج كالتالي :

* توفير المال اللازم لخدمة التجمع، والسعي وراءه : وبالرغم من ان هذا الواجب هو واجب القواعد وعموم الجمهور، نظراً لايمانهم بوجوب الخمس الشرعي في اموالهم ومواردهم الاقتصادية الا ان من مسؤولية الوكيل تعبئة الجؤ بهذا الاتجاه، لكي يتحول إلى (واقع) ولا يبقى في اطار (الواجب) النظري فقط.

(١) بحار الانوار/ ج ٧٥- ص ٢١٨.

وبالفعل فقد كان وكلاء الأئمة عليهم السلام وقياديوهم يمارسون هذا الدور على خير ما يرام، لذلك نجد ان حمل

الخمس إلى الإمام او وكيله يسبق بكلمة (يحمله على رسم له) او (على الرسم والعادة). ولعل للجدية التي دخل بها الأئمة ووكلاؤهم هذا الموضوع باعتباره (حق الله) الذي لا يمكن التنازل عنه، وان مانع الخمس ظالم، كان لها الاثر الفعال في ان يكون هذا الجانب محترماً- ليس تلك الايام فقط- بل حتى يومنا هذا.

فقد جاء في وصية الإمام الصادق عليه السلام لجماعة الشيعة في ضرورة تعجيل اداء الحقوق ما يلي :

(.. واياكم ايتها العصابة المرحومة المفضلة على من سواها وحبس حقوق الله قبلكم يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة، فانه من عجل حقوق الله قبله، كان اقدر على التعجيل له إلى مضاعفة الخير في العاجل والآجل وانه من اخر حقوق الله قبله كان الله اقدر على تأخير رزقه، ومن حبس الله رزقه لم يقدر ان يرزق نفسه فأدوا إلى الله حق ما رزقكم يطيب الله لكم بقيته، وينجز لكم ما وعدكم من مضاعفته لكم الاضعاف الكثرة التي لا يعلم عددها ولا كنه فضلها الا الله رب العالمين) (١).

ويخرج توقيع محمد بن عثمان العمري ابتداءاً لقواعده دون سؤال منهم، متبرئاً من استحل من اموالهم درهماً (بسم الله الرحمن الرحيم.. لعنة الله والملائكة والناس اجمعين على من استحل من اموالنا درهماً) (١).

* ثانيا : الصرف على القواعد المنتمية المحتاجة ومساعدتهم.. ذلك ان في القواعد من يملك فيدفع الخمس، وهناك من لا يملك ويحتاج إلى المساعدة. وفي هذه الحالة فقد يكون الوكيل تام الصلاحية في التصرف المالي وقد يكون محدود

(١) بحار الانوار/ ج ٩٣- ص ١٨٥.

الصلاحية - كما سيأتي- وعليه فالثاني يجب ان يستأذن في اعطاء هذا الشخص او ذاك اذا كان مقدار العطاء خارجا عن حدود صلاحيته. فقد كتب محمد بن احمد بن الصلت القمي إلى الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام كتاباً ذكر فيه قصة احمد بن اسحاق القمي وصحبته وانه يريد الحج واحتاج إلى الف دينار فان رأى سيدي ان يأمر باقراضه اياه- ويسترجعه منه في البلد اذا انصرفنا- فأفعل!!

فوقع الإمام عليه السلام : هي منا له صلة واذا رجع فله عندنا سواها [٦٦].

والملفت للنظر ان هذا المال المعطى للإمام او الوكيل يأخذ دورته الاقتصادية في داخل التجمع، مما يجعل هذا التجمع اكثر قوة من الناحية الاقتصادية، فهو يخرج من الغني ليذهب إلى جيب فقير محتاج، حتى يغنيه، ومتى استغنى هذا الفقير يكون دوره قد انتقل إلى العطاء فيقوم هو باخراج خمسه ليذهب إلى اخر وهكذا..

فعن سليمان الفراء قال كان اصحابنا يدفعون إلى عبدالله بن أبي يعفور الزكاة يقسمها في اصحابه فكان يقسمها فيهم وهو يبكي، فأقول له : ما يبكيك ؟! فيقول : اخاف ان يروا انها من قبلي [٦٧].

---

66 / اختيار معرفة الرجال/ ص ٥٥٧.

67 / بحار الانوار/ ج ٤٧- ص ٣٧٤.

كما ان من واجبات الوكيل الصرف المتعادل على برامج العمل ومشاريعه، وحل المسائل المالية العالقة بين القواعد، تماماً كما كان يفعل المفضل بن عمر الجعفي، فقد خوله الإمام الصادق عليه السلام التصرف في مبالغ مـــن المال بهدف الاصلاح بين اتباع الإمام فيما يرتبط بالمسائل المالية [٦٨].

وثالثاً : الاستفادة من المال في المشاريع الاجتماعية بما يخدم خطة التوسع والانتشار، وتبني او مساعدة الاعمال الاجتماعية العامة. فهذا علي بن جعفر الهماني من وكلاء الإمام الهادي عليه السلام ، كان ينفق النفقات العظيمة والاموال الطائلة على الحجاج في الحج، فرآه أبو طاهر بن بلبل وكتب للإمام الهادي عليه السلام بخبره. الا ان الإمام الهادي عليه السلام اثنى على علي بن جعفر وعلى الدور الذي يقوم به، ونهى ابا طاهر وامثاله عن التدخل في الأمور التي لا يعرفون حكمتها. وهدف القيام بها، فقد وقع (كتب) الإمام في رقعة أبي طاهر (قد امرنا له– للهماني– بمائة الف فأبى قبولها ثم امرنا له بمثلها فأبى قبولها، ابقاءاً علينا. ما للناس والدخول في امرنا مالم ندخلهم فيه ؟) [٦٩]. ولما عاد علي بن جعفر من الحج دخل على الإمام عليه السلام فاعطاه ثلاثين الف دينار [٧٠].

وهكذا يتحول المال إلى قوة حين يصار إلى تدويره في داخل التجمع، وحين يخدم مشاريع العمل الخاصة به، وحين يستفاد منه في التوسع والاستقطاب عبر المساعدات الاجتماعية العامة ومشاركة المجتمع.

بالطبع ليس كل الوكلاء مجازين ومخولين في ان يتصرفوا في المال الذي بين ايديهم من (مال الإمام) إذ يختلف درجة الوثاقة والامانة وحسن التقدير من شخص لاخر، فبينما يوجد شخص كعلي بن جعفر ينفق (النفقات العظيمة) ويعطيه الإمام الهادي اضافة إلى ما انفق ثلاثين الف دينار تجد ان شخصاً

كالهمداني لا يبيحه الإمام الجواد في انه تصرف في عشرة الاف درهم.

ولذلك كان الأئمة عليهم السلام يعينون حدود التصرف المالي الممنوحة للوكيل ويعلم اتباعه بذلك لكي يشكل ذلك نوعاً من الرقابة على الوكلاء غير المخولين وتزكية لتصرفات الوكلاء ذوي الصلاحية.

٥/ التوسع والاستقطاب :

اضافة إلى وجوب المحافظة على ما هو موجود من ايجابيات في التجمع الذي يقوده الوكيل، وتركيز تلك الايجابيات في صورة ولاء اكبر للقيادة من قبل أفراد التجمع وشعور أشد بالانتماء اليها دون بقية القيادات الباطلة. وفي صورة التزام متقدم ببرنامج التجمع الفكري والسياسي، بحيث تصاغ شخصيات الفراد فيه طبقاً لهذا البرنامج.. اضافة إلى كل ذلك فان مهمة القيادات الفرعية ان تقوم بالتوسع الجماهيري، والانتشار في ساحات جديدة، واستقطاب شخصيات

---

[68] / تنقيح المقال/ ج ٣– ص ٢٣٨.

[69] / تنقيح المقال/ ج ٢– ص ٢٧٤.

[70] / بحار الانوار/ خ ٥٠– ص ٢٢٠.

جديدة إلى هذا التجمع.

ومن الضروري التأكيد على هذه المسألة لان بعض الجهات العاملة تقع في اخطاء قاتلة في تعاملها مع الجمهور دون ان تنتبه الا (بعد خراب البصرة). فهي لشعورها بانها صاحبة فكر حضاري ورسالة تغييرية في المجتمع، تشعر بالتميز، وبدلاً من ان يحملها هذا التميز مسؤولية الانسجام مع المجتمع بهدف تغييره كما هو المفروض، تسلك الاتجاه الخاطىء فتتخصص (كنخبة) وتتعالى (كجماعة)، وتخلق لنفسها معسكراً فكرياً خاصاً لا أحد يستطيع الدخول إليه من المجتمع او الخروج منه إلى المجتمع، وتبتلى هذه الجماعة بمرض التعالي على الجمهور و(استخراطه)، فالجمهور تلك القوة التي تستطيع عند تحركها ان تقتلع جذور الظالمين يصبح في نظر هؤلاء مجموعة (عوام) و(غوغاء)، و (لا يمكن الاعتماد عليهم).. إلى اخر ما في القائمة من مفردات التعالي والتكبر.

وقد تبتلى بمشكلة تفصيل الناس حسب الاحجام التي تريدها، فهذا سيء لانه تاجر، وذاك شخصية مضادة لانه وجيه تتعامل السلطه معه، وهذا لا ينبغي تأييده لانه غير ثوري بالمقدار الكافي..وهكذا، يصبح شأن هذه الجهات ان تفصل ثوباً واحداً وتجبر جميع الناس على اختلاف مقاساتهم ان يلبسوه، ومن كان اطول او اقصر، اعرض او ادق، فانه مخالف للإسلام وينبغي محاربته.. ومع الاسف فان هذه الطريقة من التعامل مع المجتمع في ظل غياب التعقل والخبرة الاجتماعية تجد لها الانصار والمتحمسين.

ان عقلية (هل من مبارز) في الوضع الاجتماعي تنتهي إلى الفشل، تماما كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : (لا تدعون إلى مبارزة فإن الداعي باغ والباغي مصروع)[٧١] .

بينما تبقى عقلية البحث عن المشتركات، والقواسم بين التجمع الرسالي وبين كل فرد من أفراد المجتمع، عاديا كان او صاحب اعتبار خاص، الطريقة الامثل التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وآله عندما جمع كل من استطاع جمعه، واعطى للمؤلفة قلوبهم سهما، واعطى لأصحاب الاعتبارات والشخصيات، اعتبارات اكثر اهمية في ظل الإسلام.

الا ان ذلك لا يعني (شيكاً) مفتوحاً، وان كل فرد في التجمع يستطيع ان يوسع دائرة عمله، وهدايته، ودوره التبليغي، كيفما يشاء ومتى يشاء!! ذلك ان هذا الامر ينتهى إلى مصيبة التسلل التي تحدثنا عنها سابقا. او ان هذا الشخص بذاته غير صالح للقيام بهذا الدور وان كان مطلوباً.

ان الدعوة المخططة، والعمل المنظم في سبيل استقطاب جماعات جديدة للرسالة سواء كانوا من ابناء الجمهور (العاديين) او كانوا من (أصحاب الاعتبار الاجتماعي) هو البديل المطلوب في قبال الدعوة العشوائية من جهة، والانكفاء على الذات من جهة اخرى، والتفتيش عن لغة تفاهم مشتركة مع هذه الفئة وتلك هو الكفيل باستقطاب تلك الفئات.

ليكن هذا الشعار سياسة عمل : اجعل العدو محايداً قدر الامكان، والمحايد صديقاً قدر الامكان، والصديق جزءاً اساسياً في العمل.

وبهذه الصورة نستطيع الجمع بين الروايات الناهية عن دعوة الناس للانتماء إلى التجمع والتي تقدم قسم منها

---

71 / نهج البلاغة حكمة رقم ٢٣٢.

تحت عنوان (حماية الكيان من التسلل) وبين الروايات الاخرى والتوجيهات التي تحث على هداية الناس، وتجعل الاحياء الحقيقي في آية (ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعاً) بمعنى هدايتها إلى الصراط المستقيم، والى التجمع الذي يسير على هدى أهل البيت، فعن سماعة قال : سألت ابا عبدالله : قول الله عز وجل : (ومن قتل نفساً بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعا ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعاً) ؟.

قال : (من اخرجها من ضلال إلى هدى فكأنما احياها ومن اخرجها من هدى إلى ضلال فقد قتلها) [٧٢]، وقول رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام عندما بعثه إلى اليمن :

(.. وأيم الله لان يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت) [٧٣].

اننا نجد ان أصحاب الأئمة عليهم السلام ووكلاءهم كانوا يسعون في سبيل استقطاب العناصر ذات الكفاءات إلى طريق أهل البيت، وما حادثة هشام بن الحكم الذي لم يكن من اتباع أهل البيت عليهم السلام في بداية امره الا نموذجاً واحداً من سعيهم ذلك ان عمر بن يزيد (عم هشام بن الحكم) لما رأى تفوق هشام ابن الحكم في الجدال والمناظرة حسب اصول فكرته، وكان يذهب إلى رأي الجهمية، فكر في استقطابه، وتحدث له عن علم الإمام الصادق عليه السلام ومعرفته فطلب منه هشام ان يدخله عليه ليناظره، وبعد ان هيأ الاجواء في نفس هشام، قال له : انا لا أفعل ما لم استأذنه (الإمام)، ولنترك عمر بن يزيد ينقل الرواية محدثاً :

فدخلت على أبي عبدالله عليه السلام فاستأذنته في ادخال هشام عليه فأذن لي، فقمت من عنده وخطوت خطوات فذكرت رداءته وخبثه، فانصرفت إلى أبي عبدالله عليه السلام فحدثته عن رداءته وخبثه فقال لي أبو عبدالله : يا عمر تتخوف علي!! فخجلت من قولي وعلمت أني قد عثرت فخرجت مستحياً إلى هشام، واعلمته انه قد اذن له بالدخول، فبادر هشام، واستأذن ودخل فدخلت معه فلما جلس سأله الإمام مسألة فحار فيها وبقي فسأله ان يؤجله فيها فأجله أبو عبدالله عليه السلام فذهب هشام واضطرب في طلب الجواب اياماً فلم يقف عليه فرجع إلى أبي عبدالله فاخبره بجوابها، ثم سأله مسألة اخرى فيها فساد مذهبه، فخرج كذلك يطلب الجواب فلم يستطع.. وهكذا عدة مرات حتى تيقن اخيراً بفساد مذهبه، وصحة ما يدعو له الإمام الصادق عليه السلام واصبح من المنتمين إلى خط أهل البيت عليهم السلام ، وجرت على يديه الخدمات المعروفة، وصنف الكثير من الكتب في الدفاع عن منهج أهل البيت عليهم السلام ، وكان لا يقوم له أحد في ميدان المناظرة والدفاع عن فكر الأئمة عليهم السلام .

ويلاحظ ان الوكلاء كانوا ينتخبون الافراد ذوي الكفاءات لكي يصبحوا في خط أهل البيت عليهم السلام ، فبالرغم من ان الواجب يقتضي القيام بهداية جميع من يمكن من الناس، الا ان من الطبيعي ان التركيز على ذوي الكفاءات العالية سينفع هذا الخط بشكل نوعي متميز، بالضبط كما نفع استقطاب عمر بن يزيد لهشام بن الحكم وادخله على الإمام حتى وصل إلى ما وصل إليه من المترلة، فكذلك قام هشام نفسه باستقطاب اكبر علماء المسيحيين في وقته إلى

---

72 / ميزان الحكمة/ ج ١٠– ص ٣٢٣.

73 / ميزان الحكمة/ ج ١٠– ص ٥ ٢٢.

منهج أهل البيت وهو بريهة حتى اصبح من ملازمي الإمام الصادق، ثم الكاظم عليه السلام إلى حد ان الإمام غسله بيده وكفنه وقال : هذا حواري من حواري المسيح يعرف الله حق معرفته.

ولنستمع إلى هشام يروي تلك الحادثة :

بينما أنا على دكاني على باب الكرخ جالس وعندي قوم يقرؤون علي القرآن، فإذا أنا بفوج النصارى معه ما بين القسيسين إلى غيرهم، نحوا من مائة رجل عليهم السواد والبرانس، والجاثليق الأكبر فيهم بريهة، حتى نزلوا حول دكاني، وجعل لبريية كرسي يجلس عليه، فقامت الأساقفة والرهابنة على عصيهم، وعلى رؤوسهم برانسهم.

فقال بريهة : ما بقي من المسلمين أحد ممن يذكر بالعلم بالكلام إلا وقد ناظرته في النصرانية، فما عندهم شيء، وقد جئت اناظرك في الإسلام. قال : فضحك هشام فقال : يا بريهة إن كنت تريد مني آيات كآيات المسيح فليس أنا بالمسيح ولا مثله ولا ادانيه، ذاك روح طيبة خميصة مرتفعة، آياته ظاهرة، وعلاماته قائمة.

قالى بريهة : فأعجبني الكلام والوصف. قال هشام : إن أردت الحجاج فههنا

قال بريهة : نعم فإني أسألك ما نسبة نبيكم هذا من المسيح نسبة الأبدان ؟

قال هشام : ابن عم جده لامه ، لأنه من ولد إسحاق، ومحمد من ولد إسماعيل.

قال بريهة : وكيف تنسبه إلى أبيه ؟

قال هشام : إن أردت نسبه عندكم أخبرتك، وإن أردت نسبه عندنا أخبرتك.

قال بريهة : أريد نسبه عندنا ؟ وظننت أنه إذا نسبه نسبتنا أغلبه ؟ قلت : فانسبه بالنسبة التي ننسبه بها.

قال هشام : نعم، تقولون : إنه قديم من قديم، فأيهما الأب وأيهما الابن ؟

قال بريهة : الذي نزل إلى الأرض الإبن.

قال هشام : الذي نزل إلى الأرض الأب.

قال بريهه : الابن رسول الأب.

قال هشام : إن الأب أحكم من الابن، لأن الخلق خلق الأب.

قال بريهة : إن الخلق خلق الأب وخلق الابن.

قال هشام : ما منعهما أن ينزلا جميعاً كما خلقا إذا اشتركا ؟!

قال بريهة : كيف يشتركان وهما شيء واحد ؟! إنما يفترقان بالاسم.

قال هشام : إنما يجتمعان بالاسم.

قال بريهة : جهل هذا الكلام.

قال هشام : عرف هذا الكلام.

قال بريهة : إن الابن متصل بالأب.

قال هشام : إن الإبن منفصل من الأب.

قال بريهة : هذا خلاف ما يعقله الناس.

قالى هشام : إن كان ما يعقله الناس شاهداً لنا وعلينا، فقد غلبتك، لأن الأب كان و لم يكن الابن، فتقول هكذا يا بريهة ؟! قال : ما أقول هكذا.

قال : فلم استشهدت قوماً لا تقبل شهادتهم لنفسك ؟!

قال بريهة : إن الأب الاسم، والابن اسم يقدر به القديم.

قال هشام : الاسمان قديمان كقدم الأب والابن ؟

قال بريهة : لا، ولكن الأسماء محدثة. قال : فقد جعلت الأب إبناً، والابن أباً، إن كان الابن أحدث هذه الأسماء دون الأب فهو الأب، وإن كان الأب احدث هذه الأسماء دون الاب فهو الأب، والابن أب، وليس ههنا ابن.

قال بريهة : إن الابن اسم للروح حين نزلت إلى الأرض.

قال هشام : فحين لم تنزل إلى الأرض فاسمها ما هو ؟

قال بريهة : فسمها ابن، نزلت أو لم تنزل.

قال هشام : فتبل النزول هذه الروح كلها واحدة واسمها اثنان ؟!

قال بريهة : هي كلها واحدة، روح واحدة.

قال : قد رضيت أن تجعل بعضها ابناً وبعضها أباً ؟

قال بريهة : لا، لأن- اسم الأب واسم الابن واحد.

قال هشام : فالابن أبو الأب، والأب أبو الابن، والابن واحد.

قالت الأساقفة بلسانها لبريهة : ما مر بك مثل ذا قط، تقوم ؟

فتحير بريهة وذهب ليقوم فتعلق به هشام، قال : ما يمنعك من الإسلام ؟

أفي قلبك حزازة ؟ فقلها وإلا سألتك عن النصرانية مسألة واحدة تبيت عليها ليلك هذا، فتصبح وليس لك همة غيري.

قالت الأساقفة : لا ترد هذه المسألة لعلها تشككك.

قال بريهة : قلها يا أبا الحكم.

قال هشام : أفرأيتك الابن يعلم ما عند الأب ؟ قال : نعم.

قال : أفرأيتك الأب يعلم كل ما عند الابن ؟ قال : نعم.

قال : أفرأيتك تخبر عن الابن أيقدر على حمل كل ما يقدر عليه الأب ؟

قال : نعم.

قال : أفرأيتك تخبر عن الأب أيقدر على كل ما يقدر عليه الابن ؟ قال : نعم.

قال هشام : فكيف يكون واحد منهما ابن صاحبه وهما متساويان ؟ وكيف يظلم كل واحد منهما صاحبه ؟

قال بريهة : ليس منهما ظلم.

قال هشام : من الحق بينهما أن يكون الابن أب الأب، والأب ابن الابن، بت عليها يا بريهة. وافترق النصارى وهم يتمنون أن لا يكونوا رأوا هشاماً ولا أصحابه.

قال : فرجع بريهة مغتماً مهتماً، حتى صار إلى منزله، فقالت امرأته التي تخدمه : ما لي أراك مهتماً مغتماً ؟ فحكى لها

الكلام الذي كان بينه وبين هشام.

فقالت لبريهة : ويحك أتريد أن تكون على حق أو على باطل ؟!

فقال بريهة : بل على الحق.

فقالت له : أينما وجدت الحق فمل إليه، وإياك واللجاجة، فإن اللجاجة شك، والشك شؤم، وأهله في النار. قال : فصوب قولها وعزم على الغدو على هشام.

قال : فغدا عليه وليس معه أحد من أصحابه، فقال : يا هشام الك من تصدر عن رأيه، وترجع إلى قوله، وتدين بطاعته ؟ قال هشام : نعم يا بريهة. قال : وما صفته ؟ قال هشام : في نسبه أو في دينه ؟

قال : فيهما جميعاً صفة نسبه وصفة دينه.

قال هشام : أما النسب فخير الأنساب : رأس العرب، وصفوة قريش، وفاضل بني هاشم، كل من نازعه في نسبه وجده أفضل منه، لأن قريشا أفضل العرب، وبني هاشم أفضل قريش، وأفضل بني هاشم خاضهم ودنينهم وسيدهم، وكذلك ولد السيد أفضل من ولد غيره، وهذا من ولد السيد. قال : فصف دينه. قال هشام : شرائعه أو صفة بدنه وطهارته ؟

قال : صفة بدنه وطهارته.

قال هشام : معصوم فلا يعصي، وسخي فلا يبخل، شجاع فلا يجبن، وما استودع من العلم فلا يجهل، حافظ للدين قائم بما فرض عليه، من عترة الأنبياء، وجامع علم الأنبياء، يحلم عند الغضب، وينصف عند الظلم ويعين عند الرضا، وينصف من الولي والعدؤ، ولا يسأل شططاً في عدوه، ولا يمنع إفادة وليه، يعمل بالكتاب ويحدث بالاعجوبات، من أهل الطهارات، يحكي قول الأئمة الأصفياء، لم تنقض له حجة، ولم يجهل مسألة، يفتي في كل سنة، ويجلو كل مدلهمة.

قال بريهة : وصفت المسيح في صفاته وأثبته بحججه وآياته، إلأ أن الشخص بائن عن شخصه والوصف قائم بوصفه، فإن يصدق الوصف نؤمن بالشخص.

قال هشام : إن تؤمن ترشد، وإن تتبع الحق لا تؤنب.

ثم قال هشام : يا بريهة ما من حجة أقامها الله على أول خلقه إلا أقامها على وسط خلقه وآخر خلقه، فلا تبطل الحجج، ولا تذهب الملل، ولا تذهب السنن.

قال بريهة : ما أشبه هذا بالحق وأقربه من الصدق، وهذه صفة الحكماء يقيمون من الحجة ما ينفون به الشبهة. قال هشام : نعم.

فارتحلا حتى أتيا المدينة، والمرأة معهما، وهما يريدان أبا عبدالله عليه السلام فلقيا موسى بن جعفر عليه السلام فحكى له هشام الحكاية، فلفا فرغ قال موسى بن جعفر عليه السلام : يا بريهة كيف علمك بكتابك ؟ قال : أنا به عالم.

قال : كيف ثقتك بتأويله ؟ قال : ما أوثقني بعلمي فيه.

قال : فابتدأ موسى بن جعفر عليه السلام بقراءة الإنجيل، قال بريهة : والمسيح لقد كان يقرأ هكذا وما قرأ هذه

القراءة إلأ المسيح.

ثم قال بريهة : إياك كنت أطلب منذ خمسين سنة– أومثلك–.

قال : فآمن وحسن إيمانه، وآمنت المرأه وحسن إيمانها.

قال : فدخل هشام وبريهة والمرأة– على أبي عبدالله عليه السلام وحكى هشام الحكاية والكلام الذي جرى بين موسى عليه السلام وبريهة.

فقال أبو عبدالله عليه السلام (ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم).

فقال بريهة : جعلت فداك أنى لكم التوراة والإنجيل وكتب الأنبياء ؟

قال : هي عندنا وراثة من عندهم نقرأها كما قرؤوها ونقولها كما قالوها، إن الله لا يجعل حجة في أرضه يسأل عن شيء فيقول : لا أدري.

فلزم بريهة أبا عبدالله عليه السلام حتى مات أبو عبدالله عليه السلام ثم لزم موسى بن جعفر عليه السلام حتى مات في زمانه فغسله بيده، وكفنه بيده، ولحده بيده، وقال : هذا حواري من حواري المسيح، يعرف حق الله عليه.

قال : فتمنى أكثر أصحابه أن يكونوا مثله[٧٤] .

ونجد أيضاً الحسن بن سعيد الاهوازي واخاه الحسين وكانا من ثقات أصحاب الإمام الرضا والجواد– والهادي عليه السلام وقد صنف الحسين ثلاثين كتاباً صنف الحسين اكثر من خمسين كتاباً، وكان يمارس دور الاستقطاب للعناصر الخيرة إلى خط أهل البيت عليهم السلام ، فقد استطاع ان يستقطب اسحاق بن إبراهيم الحضيني وعبدالله بن محمد الحضيني وادخلهما على الإمام الرضا عليه السلام ، وقد اصبحا فيما بعد من ثقات أصحاب الامامين الرضا والجواد عليه السلام ، واستمر في عمله هذا في منطقته في الاهواز واستطاع استتقطاب علي بن مهزيار [٧٥] ونقله من كونه نصرانياً إلى مسلم موال واخيراً إلى واحد من افضل وكلاء الإمام الجواد عليه السلام ، ومن قياديه البارزين وسيتبين شيء عن شخصيته في الصفحات القادمة.

ومن الضروري التأكيد على عدم الاصطدام بالناس عبر انتخاب الزوايا الحادة، بل تكليمهم على اساس ما يعرفون وترك ما ينكرون و(كونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، حببونا إلى الناس، ولا تبغضونا، جروا الينا كل مودة وادفعوا عنا كل قبيح) كما قال الإمام الرضا عليه السلام .

واحد موارد التقية هذا المورد، ذلك ان التقية قد تكون من السلطان، وقد تكون من بعض الجمهور الذي لا يتفهم الدور الرسالي والثقافة السليمة، إلى ان يتم تغييره بالشكل الذى يتقبل هذه الثقافة، ولو نظرنا إلى الدور الذي كان يقوم به ا السفير الثالث للإمام الحجة عجل الله فرجه الحسين بن روح النوبختي، وسبب اختياره بالرغم من وجود

---

74 / بحار الأنوار ١٠/ ٣٢٨

75 / تنقيح المقال/ ج ١– ص. ١١.

اخرين اخص بمحمد بن عثمان العمري [٧٦] (السفير الثاني) منه، وذلك للاسلوب الحكيم الذي كان يتبعه في إدارة المجتمع وقدرته على استقطاب الجميع مؤالفين ومخالفين إلى حد ان بعض المخالفين لاهل البيت ينقل : كنت انا واخوتي ندخل إلى أبي القاسم الحسين بن روح ونحن عشرة، تسعة نلعنه وواحد يشكك، فنخرج من عنده بعدما دخلنا إليه، تسعة نتقرب إلى الله بمحبته وواحد واقف لانه كان يجارينا في فضل الصحابة [٧٧].
بالطبع كان بعد ان يحوز على ثقتهم بتغيير افكارهم وهدايتهم إلى الطريق الصحيح .

قيادات الفروع ..مشاكلها و امراضها

هناك امراض مشتركة بين جميع الناس وهناك امراض خاصة تصيب فئات معينة منهم فـــ (داء الملوك) لا يصيب الفلاحين، لا لسبب انه طبقي، وانما لان الفلاح يسعى ويكدح ويحرك جسمه، عكس الملك ومن كان على شاكلته.

وكما في الامراض الجسدية فان الامر يضطرد في المسائل المعنوية، والقضايا النفسية، فهناك امراض في الاخلاق والإيمان عامة لجميع الناس، وامراض اخرى تخص فئة دون فئة، فللعلماء امراضهم الخاصة ولا يشاركهم فيها البناؤون، وللملوك امراضهم ولا يشاركهم فيها الفقراء، وللقيادات امراضهم ولا تصيب القواعد.

والمرض الاخلاقي يكتسب خطورة استثنائية باعتبار المصاب به، فقد يكون (حب المال) مرض خطير لدى عموم الناس ولكنه عندما يصبح متمكنا من القاضي، فانه يصبح اكثر خطورة، لان الحقوق آنئذ تضيع والاحكام تبدل، تبعاً لمقدار (الرشوة) التي يستلمها القاضي هذا من أحد طرفي الدعوى.

والكذب مذموم عند صدوره من كل أحد لكنه عندما يصبح الصفة الملازمة للوكيل مثلاً، فانه يصبح اقبح، لانه سوف يؤثر على مسيرة الجمهور، ويساهم في تضليله.

وفي خداع القيادة عبر المعلومات الكاذبة التي (يصنفها) هذا الوكيل، وكما قال الإمام الكاظم عليه السلام لصفوان الجمال : (الحسن من كل أحد حسن ومنك احسن والقبيح من كل أحد قبيح ومنك اقبح..) واضاف معللاً ان ذلك نظراً للصفة الاعتبارية التي يتمتع بها هذا الرجل وموقعه من أهل البيت عليهم السلام فقال : (.. لمكانك منا أهل البيت)، ولهذا السبب يكون (لمحسننا كفلان من الاجر ولمسيئنا ضعفان من العذاب)[٧٨] كما يقول زين العابدين عليه السلام .

لذلك ينبغي ان يعلم ان الذي يكتسب صفة اعتبارية من الإسلام او القيادة الشرعية او التجمع، فانها كما

---

76 / كان لدى محمد بن عثمان العمري عشرة وكلاء في بغداد كلهم اخص به من الحسين بن روح وكان جعفر بن احمد بن مثيل خصيصا بالعمرى إلى حد انه كان لا يشك انه سيكون خليفة العمري بعد وفاته. عن الغيبة/ ص ه ٢٢.

77 / الغيبة / ص٢٣٨ .

78/ بحار الانوار ٩٣/ ٢٢٢.

تعطيه مقدارا من الاحترام والطاعة- تبعاً لموقعه- تفرض عليه أيضاً نمطا من السلوك والالتزام.

ونحن هنا نعرض إلى بعض الامراض التي يبتلى بها الوكلاء، فيبتلى بها العمل من ورائهم، وهذا اول الاخطار المباشره التي تصيب التجمع، ذلك ان انحراف الوكيل، وتقديمه مصلحته الشخصية مثلا على مصلحة العمل، او سعيه للرئاسة بغير حق، او غير ذلك من الامراض، لا تنحصر آثاره على الوكيل نفسه، انما قد يصنع (ازمة ثقة) في جميع الوكلاء، ويسوقهم جميعا (الصالح والطالح) بعصا الشك وعدم الثقة. وعند هذه الحالة تتفتت العلاقة الموجودة بين القواعد والوكلاء وبالتالي ينهدم كل النظام القائم على هذه النظرية.

١/ الطموح الشخصي اللامشروع :

تسمبه الاحاديث والروايات بـــ (حب الرئاسة) وتذمه كثيراً ولننقل قسماً من تلك الرويات لتكون فاتحة الحديث :

– عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال لابي الربيع الشامي : (ويحك يا ابا الربيع لا تطلبن الرئاسة ولا تكن ذئباً (ذنبا) ولا تأكل بنا الناس فيفقرك الله ولا تقل فينا ما لا نقول في انفسنا فانك موقوف ومسؤول لا محالة)[٧٩] .

– وقال أبو عبدالله الصادق عليه السلام : (ملعون من ترأس *، ملعون من هم بها، ملعون كل من حدث بها نفسه)[٨٠] .

– وقال عليه السلام لسفيان بن خالد : اياك والرئاسة فما طلبها أحد الا هلك، فقلت له جعلت فداك قد هلكنا اذا، ليس أحد منا الا وهو يحب ان يذكر ويقصد ويؤخذ عنه، فقال عليه السلام : (ليس حيث تذهب إليه انما ذلك ان تنصب رجلاً دون الحجة فتصدقه في كل ما قال وتدعو الناس إلى قوله) [٨١].

– (من طلب الرياسة لنفسه هلك فان الرياسة لا تصلح الا لأهلها) [٨٢].

– وقال عليه السلام في وصيته لابن النعمان : (ان ابغضكم الي المترأسون المشاؤون بالنمائم الحسدة لاخوانهم، ليسوا مني ولا انا منهم)[٨٣] .

– وقال الإمام الكاظم عليه السلام وقد ذكر عنده رجل فقيل انه يحب الرئاسة :

---

[79] / بحار الانوار/ ٧٣- ١٥١.

[80]/ **المصدر السابق** ترأس : ادعى الرئاسة بغير حق.

[81] / بحار الانوار/ ج ٧٣- ص ١٥٣.

[82]/ بحار الانوار/ ج ٧٣- ص ١٥٤.

[83] / تحف العقول/ ص "٢٢".

(ما ذئبان ضاريات في غنم قد غاب عنها رعاؤها بأضر في دين المسلم من طلب الرئاسة)[84].

للوهلة الاولى تتعارض هذه الاحاديث مع توجه اخر يبيح الطموح إلى تسنم مراتب قيادية عالية في تجمع المؤمنين، بل يوجه الناس اليها فنحن نجد ان القرآن الكريم يعدد صفات عباد الرحمن، فينتهي إلى انهم يطمحون إلى قيادة تجمع المتقيين وان يكونوا فيه ائمة (والذين يقولون هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماماً) [85]. ونجد أيضاً ان الدعاء يثير في المؤمنين طموح ان يكونوا قادة الدولة الكريمة المنتظرة، ففي الدعاء المنسوب إلى الإمام الحجة عجل الله فرجه والمعروف بدعاء الافتتاح جاء (اللهم انا نرغب اليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام واهله وتذل بها النفاق واهله وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والاخرة). فكيف يمكن والحالة هذه ان نجمع بين هذين النوعين من التوجيهين المتخالفين – ظاهراً– ؟!

بين الطموح المطلوب وحب الرئاسة :

ما من انسان– عادي الطباع– الا وهو يطمح لتحسين وضعه، والوصول إلى مستوى اعلى مما هو فيه، فالطالب يطمح إلى انهاء دراسته والتوظف، والموظف الصغير يطمح ان يكون كبيراً، والعالم المبتدى يطمح ان يصبح مسموع الكلمة، والتاجر الصغير يطمح ان يكون اكبر تجار البلد، وهكذا. والكل يحب ان يطاع اذا امر، ويجاب اذا تكلم.. وهذا امر طبيعي، وواقع ملموس ولهذا حين سمع سفيان بن خالد الإمام الصادق عليه السلام يقول له : اياك والرئاسة فما طلبها أحد الا هلك، قال له سفيان مستفسراً هلكنا اذا ليس أحد منا الا وهو يحب ان يذكرويقصد ويؤخذ عنه.

وقد ندب الإسلام المسلمين للتسابق في الدرجات، والمسارعة في تحصيل الخيرات، وندب إلى ان يكون المؤمن– اذا استطاع– اماماً للمؤمنين وقائداً للمتقين، الا ان هذا الطموح يختلف وحب الرئاسة، أوالترؤس فالأول مطلوب وشرعي بينما الثاني مذموم ومهلك.

ومن المهم ان نفرق بين النوعين، لان هناك خلطاً بين المفهومين فأعداء المؤمنين يصمونهم دائماً بانهم يعملون من اجل الرئاسة وسعياً وراءها، وليس في سبيل الله تزويراً على الناس، واتهاما للمؤمنين، وقد سبقهم امثالهم إلى اتهام أمير المؤمنين علي عليه السلام بنفس هذه التهمة، انه يحرص على الرئاسة والملك وردها عليهم الإمام بقوله (فان اقل– اي ادافع عن حقي– يقولوا حرص على الملك). لذلك نضع الفروق التالية لتكون مائزة بين النوعين من الطموح :

طموح القيادة : يتميز بالأمور التالية :

هدف هذا الطموح : خدمة الدين والمجتمع واداء المسؤولية، ولذلك فاصحاب هذا الطموح مستعدون لتحمل الاذى والتضحية في سبيل هذا الهدف المقدس ومن المعلوم ان من يطلب الرئاسة لنفسه لتحقيق الراحة غير مستعد للتضحية بنفسه، ولذلك نجد ان توجيهات الإسلام في هذا الباب تنتهي إلى التكاليف واداء المهمات، فالمؤمنون يرغبون

---

[84] / بحار الانوار/ ٧٣– ١٤٥.

[85] / الفرقان/ ٧٤.

في دولة اسلامية يكونون فيها من القادة والزعماء لا لكي يتبختروا و (يكشخوا) بين الناس وانما ليتحملوا فيها مسؤولية الدعوة إلى طريق الله ويقودوا الناس إلى تطبيق الاحكام (وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك).

اما وسيلته فتعتمد على الجهد الذاتي والصعود الطبيعي في درجات التكامل حسب ما يطير بهذا المرء جناح همته، فهو يعلم انه بمقدار ما يضحي يتقدم وبمقدار ما يتعب يحصل على نتيجة هذا التعب، وصاحب هذا الطموح هو الشخص المناسب صاحب الكفاءة والقدرة القيادية (سواء بالفعل او بالقوة) لا باعتبار انه ولد اميراً او ابن عالم، او انه يرث هذا الموقع بشكلى طبيعي كما نجد في الكثير من التجمعات التي يعطى فيها الفرد موقع والده اوتوماتيكياً بمجرد ذهاب والده وأحياناً يعطى هذه الصفة وهو طفل من دون كفاءة لديه.

* **طلب الرئاسة** : اما طالب الرئاسة فيهدف إلى التجبر والتكبر في المجتمع ويجبر الناس على تقديم فروض الولاء والطاعة له، وقد عبرت الاحاديث عن هذه الحالة بتعبير يحب ان تخفق النعال وراءه. ويحب ان يوطأ عقبه اي وراءه. ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام : (اياكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون، فوالله ما خفقت النعال خلف رجل الا هلك وأهلك)[٨٦] . ولعلنا نلحظ هذا المعنى في ممارسة الدهاقين وكبار الانبار عندما ورد اليهم أمير المؤمنين عليه السلام ترجلوا عن خيولهم واسرعوا واقفين على جانبي الطريق سماطين لاستقباله ولما سألهم عن ذلك قالوا له : انه خلق نعظم به امراءنا! فقال : (والله ما ينتفع بهذا امراؤكم وانكم لتشقون على انفسكم في دنياكم وتشقون به في اخرتكم، وما اخسر المشقة وراءها العقاب، واربح الدعة معها الامان من النار)[٨٧] .

واما وسيلته فهي الطرق اللامشروعة في الوصول إلى المراتب العليا من حسد ونميمة وكذب، فهو يحسد غيره ويكذب عليهم، وينم عليهم، ويحاول اسقاطهم للوصول إلى مواقعهم والتملق لذوي المراتب العليا لنيل رضاهم، وهو

في كل ذلك غيرذي كفاءة ولا اهلية لهذا الموقع وقد وصفهم القرآن الكريم بدقة عندما حذر الرسول صلى الله عليه وآله منهم قائلاً : (ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم * عتل بعد ذلك زنيم) وقول الإمام الصادق عليه السلام لابن النعمان (ان ابغضكم الي المترأسون المشاؤون بالنمائم الحسدة لاخوانهم).

وهم في ذلك يحاولون استثمار جهود الاخرين لا لخدمه هدف، فالهدف في كل هذه المعادلة مصلحتهم الشخصية، لذلك يشقى الاخرون بينما يسجلون الانجازات والمكاسب باسمهم، وفوق هذا ليسوا مؤهلين لدور القيادة وانما حسب تعبير الاحاديث (ان تنصب رجلاً دون الحجة فتصدقه فيما يقول).

ونختم حديثنا في الفرق بين النوعين بما حققه العلامة المجلسي رضوان الله عليه حيث قال :

---

[86] / بحار الانوار/ ٧٣- ١٥٠.

[87] / نهج البلاغة/ الحكمة (٣٧).

واما ساير الخلق فلهم رياسات حقة، وهي مشتبهة بحسب نياقم، واختلاف حالاقم، فمنها القضاء والحكم بين الناس وهذا امر خطير وللشيطان فيه تسويلات، ولذا وقع التحذير عنه في كثير من الاخبار واما من يأمن ذلك من نفسه، ويظن انه لا ينخدع من الشيطان، فإذا كان في زمان حضور الإمام عليه السلام وبسط يده عليه السلام وكلفه ذلك يجب عليه قبوله، واما في زمان الغيبة فالمشهور انه يجب على الفقيه الجامع لشرايط الحكم والفتوى ارتكاب ذلك، اما عينا واما كفاية.

فان كان غرضه من ارتكاب ذلك إطاعة امامه والشفقة على عباد الله، واحقاق حقوقهم، وحفظ فروجهم واموالهم واعراضهم عن التلف، ولم يكن غرضه الترفع على الناس، والتسلط عليهم، ولا جلب قلوبهم، وكسب المحمدة منهم، فليست رياسته رياسة باطلة، بل رياسة حقة اطاع الله تعالى فيها ونصح امامه.

وان كان غرضه كسب المال الحرام، وجلب قلوب الخواص والعوام وامثال ذلك فهي الرياسة الباطلة التي حذر عنها، واشد منها من ادعى ما ليس له بحق كالامامة والخلافة، ومعارضة ائمة الحق فانه على حد الشرك بالله وقريب منه ما فعله الكذابون المتصنعون (الذين كانوا في اعصار الأئمة عليهم السلام وكانوا يصدون الناس عن الرجوع اليهم كالحسن البصري وسفيان الثوري) وا ضرا بهم.

ومن الرياسات المنقسمة إلى الحق والباطل ارتكاب الفتوى والتدريس والوعظ فمن كان اهلاً لتلك الأمور، عالما بما يقول متبعاً للكتاب والسنة، وكان غرضه هداية الخلق، وتعليمهم مسائل دينهم، فهو من الرياسة الحقة، ويحتمل وجوبه اما عيناً او كفاية، ومن لم يكن اهلاً لذلك، ويفسر الآيات برأيه، والاخبار مع عدم فهمها، ويفتي الناس بغير علم فهو ممن قال الله سبحانه فيهم (قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدينا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا).

وكذلك من هو أهل لتلك الأمور من جهة العلم، لكنه مراء متصنع، يحرف الكلم عن مواضعه ويفتي الناس بخلاف ما يعلم، او كان غرضه محض الشهرة، وجلب القلوب او تحصيل الاموال والمناصب فهو أيضاً من الهالكين ومنها أيضاً امامة الجمعة والجماعة، فهذا أيضاً ان كان اهله وصحت نيته فهو من الرياسات الحقة والا فهو أيضاً من أهل الفساد.

والحاصل ان الرياسة ان كانت بجهة شرعيه ولغرض صحيح، فهي ممدوحة وان كانت على غير الجهات الشرعية او مقرونة بالاغراض الفاسدة، فهي مذمومة فهذه الاخبار محمولة على أحد هذه الوجوه الباطلة، او على ما اذا كان المقصود نفس الرياسة والتسلط.

قال بعض المحققين : معنى الجاه ملك القلوب، والقدرة عليها، فحكمها حكم ملك الاموال، فانه غرض من اغراض الحياة الدنيا، وينقطع بالموت كالمال، والدنيا مزرعة الاخرة، فكلما خلق الله في الدنيا فيمكن ان يتزود منه إلى الاخرة، وكما انه لا بد من ادنى مال لضرورة المطعم والملبس، فلابد من ادنى جاه، لضرورة المعيشة مع الخلق، والانسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز ان يحب الطعام والمال الذي يبتاع به الطعام، فكذلك لا يخلو عن الحاجة إلى خادم يخدمه، ورفيق يعينه، واستاذ يعلمه، وسلطان يحرسه، ويدفع عنه ظلم الاشرار.

فحبه ان يكون له في قلب خادمه من المحل ما يدعوه إلى الخدمة ليس بمذموم، وحبه لان يكون في قلب رفيقه

من المحل ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم، وحبه لان يكون له من المحل ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم، وحبه لان يكون له من المحل في قلب سلطانه ما يحثه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم، فان الجاه وسيلة إلى الاغراض كالمال.

فلا فرق بينهما الا ان التحقيق في هذا يفضي إلى ان يكون المال والجاه في اعيالهما محبوبين، بل يترل ذلك مترلة حب الإنسان ان يكون في داره بيت ماء لانه يضطر إليه لقضاء حاجته وبوده لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء، وهذا على التحقيق ليس بحب لبيت الماء، فكل ما يراد به التوصل إلى محبوب، فالمحبوب هو المقصود المتوصل إليه.

وتدرك التفرقة بمثال، وهو ان الرجل قد يحب زوجته من حيث انه يدفع بها فضلة الشهوة، كما يدفع ببيت الماء فضلة الطعام، ولوكفي مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته، كما لوكفي قضاء الحاجة لكان لا لدخل بيت الماء، ولا يدور به، وقد يحب زوجته لذالها حب العشاق، ولو كفي الشهوة لبقي مستصحبا لنكاحها.

فهذا هو الحب دون الاول، فكذلك الجاه والمال قد يحب كل واحد منهما من هذين الوجهين، فحبهما لاجل التوسل إلى مهمات البدن غير مذموم، وحبهما لاعيالهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم، ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان، ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية، وما لم يتوصل إلى اكتسابه بعبادة فان التوصل إلى المال والجاه بالعبادة خيانة على الدين، وهو حرام، واليه يرجع معنى الرياء المحظور كما مر.

فان قلت : طلب اوجاه والمترله في قلب استاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به امره مباح على الاطلاق، كيف ما كان ؟ او مباح إلى حد مخصوص او على وجه مخصوص ؟ فأقول : يطلب ذلك على ثلاثة اوجه : وجيان منها مباح ووجه منها محظور.

اما المحظور، فهو ان يطلب قيام المترلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة هو منفك عنها، مثل العلم والورع والنسب، فيظهر لهم انه علوي او عالم او ورع، ولا يكوت كذلك، فهذا حرام لانه تلبيس وكذب، اما بالقول واما بالفعل.

واما المباح فهو ان يطلب المترلة بصفة وهو متصف بها كقول يوسف عليه السلام : (اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم) فانه طلب المترلة في قلبه بكونه حفيظاً عليماً، وكان محتاجاً إليه، وكان صادقاً فيه.

والثاني ان يطلب اخفاء عيب من عيوبه، ومعصية من معاصية، حتى لا يعلمه فلا تزول مترلته به، فهذا أيضاً مباح لان حفظ الستر على القبائح جايز، ولا يجوز هتك الستر وإظهار القبح فهذا ليس فيه تلبيس، بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به، كالذي يخفي عن السلطان انه يشرب الخمر، ولا يلقي إليه انه ورع، فان قوله : (اني ورع) تلبيس، وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاده الورع، بل يمنع العلم بالشرب [٨٨].

اننا نجد ان من اهم الصفات التي تمتع بها صفوان بن يحيى البجلي أحد وكلاء الإمام الكاظم عليه السلام هو انه لم يكن يحب الرئاسة، ولذلك تأهل لدور القيادة، فقد جاء في الخبر ان الإمام عليه السلام بعد ان بين ان طلب الرئاسة– من غير الكفوء والمستحق– اضر واخطر على دين المسلم من الذئبين الضاريين في الغنم المتروكة، قال عليه السلام

---

[88] / بحار الانوار/ ٧٣– ١٤٦.

مبينا فضل صفوان بن يحيى (لكن صفوان لا يحب الرئاسة) [٨٩].

ونجد أيضاً وكلاء الأئمة عليهم السلام الاخرين يرفضون الاستفادة من السمعة التي توفرها لهم وكالتهم عن الإمام وقيامهم باعماله ومهماته فقد كان عبدالله بن أبي يعفور يبكي وهو ينفق على أصحاب الإمام الصادق وعندما سئل لماذا يبكي قال اخاف ان يروا انها من قبلي (من عندي).

بينما في المقابل الاصحاب الخونة يتوسلون بصحبتهم للائمة عليه السلام لكي يحصلوا على احترام خاص بين الناس وربما يحصلون على اموال فكانوا يشبعون ظمأهم للزعامة وتعطشهم للرئاسة بهذه الممارسات النابعة عن الاستكبار، وهم وان كانوا يغطون ذلك بشعارات هوهمة الا انهم يعرفون بالضبط ماذا يصنعون ولاي هدف يسعون، فالشلمغاني وهو أحد الاصحاب الخونة ومن الذي ادعوا الوكالة والسفارة زوراً، ودنخل في صراع مع الوكيل الحقيقى للحجة عجل الله فرجه أبي القاسم الحسين بن روح يقول عن نفسه واصحابه (ما دخلنا مع أبي القاسم الحسين بن روح في هذا الامر الا ونحن نعلم فيما دخلنا فيه، لقد كنا نتهارش على هذا الامر كما تتهارش الكلاب على الجيف)[٩٠] .

٢/ حب الدنيا وطلب الراحة :

ربما يلحظ القارئ العزيز اننا فصلنا بين نقطتي (طلب الرئاسة وحب الدنيا) مع انهما تتداخلان بشكل كبير، والسبب في ذلك يعود إلى اهمية كل نقطة اولا، والى وجود فئات من الوكلاء قد تبتلى بأحد هذين المرضين دون الاخر، فقد يكون هذا الوكيل محبا للراحة وطالبا لها دون ان يكون له طموح قيادي عال، من موقع يكتفي بما لديه من موقع ولكنه يستفيد منه في ترتيب امور حياته وتوفير وسائل الراحة لنفسه.

وهناك بعض الناس ممن يرى حب الجاه والرئاسة افضل من حب المال، ويرجحه على ذلك للامور التالية :

الاول : ان المال معرض للتلف والزوال، لانه يغصب وسرق وتطمع فيه الملوك والظلمة، ويحتاج فيه إلى الحفظ والحراسة، وتتطرق إليه اخطار كثيرة، واما القلوب اذا ملكت، فهي من هذه الافات محفوظة. نعم انما يزول ملك القلوب بتغيير اعتقادها فيما صدقت به من الكمال الحقيقي او الوهمي.

الثاني : ان التوصل بالجاه إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه فالعالم أو الزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب، لو قصد اكتساب المال تيسر له بسهولة، لأن أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب، ومبذولة لمن أذعنت له بالانقياد واعتقدت فيه اوصاف الكمال، وأما الخسيس العاري عن الكمال اذا ظفر بكثرة من المال و لم يكن له جاه يحفظ به ماله وأراد ان يتوصل به إلى الجاه، لم يتيسر له.

الثالث : ان ملك القلوب يسرى وينمو ويتزايد من غير حاجة إلى تعب ومشقة، إذ القلوب اذا اذعنت بشخص واعتقدت اتصافه بعلم او عمل او غيره، افصحت الالسنة بما فيها لا محالة، فيصف ما يعتقده لغيره وهو أيضاً

89/ بحار الانوار/ ٧٣- ١٥٤.

90 / الغيبة/ ٢٤١.

يذعن به ويصفه لاخر، فلا يزال يستطار في الاقطار، ويسرى من واحد إلى واحد، إلى ان يجتمع معظم القلوب على التعظيم والقبول، واما المال، فمن ملك شيئاً منه فلا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة. ولهذه الوجوه تستحقر الاموال في مقابلة عظم الجاه وانتشار الصيت وانطلاق الالسنة بالمدح والثناء [٩١].

وعلى كل حال فمن مظاهر حب الدنيا وطلب الراحة الاستفادة من امكانات الوكالة والقيادة في الأمور الشخصية، فبينما كان هذا الشخص بالامس القريب متوسط الحال، اذا باموال الإسلام والحقوق الشرعية تنصب بين يديه (كواسطة للقيادة) وبدلا من صرفها في مصارفها الشرعية اذا به يحولها إلى ملذاته واموره، فهو يبني القصر– لا البيت– الجديد من اموال الإسلام وها هو يشتري الوسائل المرفهة لنفسه بينما كان بالامس القريب كما قلنا.

والشيطان يعمل في هذا المجال بشكل حثيث لخلط المسائل، وتغيير العناوين لكي يخدع هذا الإنسان، فإذا صرف من تلك الاموال وسوس له الشيطان، ان هذا المبلغ هو حقه الطبيعي باعتبار حق (العاملين عليها)، واذا استخدم افضل الوسائل والامكانات برر ذلك بعنوان ان هذا من شأن مثله ان يستخدم.. وهكذا ينسج الشيطان حوله احبولة اخطبوطية لا يتخلص من عقدة فيها الا ليدخل في عقدة اخرى. ولا ينجو من دهليز الا ليدخل في نفق. والبعض من الناس– وربما من الوكلاء– لا يركنون إلى الدنيا في بداية امرهم ليس زهداً فيها وانما لعدم حصولهم عليها، فإذا انفتحت امامه الابواب– خصوصا باطار شر عي وديني– فانه يغوص في بحرها.

بالطبع ينبغي التنبيه على امر هام وهو ان بعض الوكلاء– من الاساس– يملكون مالاً شخصياً حصلوا عليه بجهدهم او في التجارة ويستطيع هؤلاء ان يتصرفوا في اموالهم وان يرفهوا عن اهلهم بالمقدار المعقول الذي لا يعد ترفاً مطغياً او اسرافاً مشيناً. فمحمد بن أبي عمير وكان شخصاً متمولا افتدى نفسه من سجن هارون الرشيد بمبلغ (١٢١) ألف درهم، وهو مبلغ كبير قياساً إلى ظروف الناس آنئذ ولكن هذه الاموال لم تكن من اموال الإسلام. لكن يبقى كما قلنا ان الوكيل والقيادي هو مرآة للتعاليم والقيم الإسلامية في نظر الناس فلا تكن هذه المرآة عاكسة خلافها.

لذلك وفي مواجهة اخطار كهذه تبدو مسؤولية القيادة اكيدة في فرض نوع من الرقابة الصارمة على الوكلاء– اضافة إلى التعاليم والوصايا التربوية والاخلاقية– لكيلا تتعرض المصداقية في نظر المجتمع إلى التصدع. فحين يصف الوكيل خيراً ويأتي بخلافه، فان المجتمع كله آنئذ يجد الشرعية في هذه الطريقة ولا مانع لديه من ممارستها.

ان هذا المعنى نستنتجه من طريقة أمير المؤمنين عليه السلام مع ولاته وعماله في المناطق، فهو يوجههم بين فترة واخرى، ويذكرهم بالحساب، وبالجنة والنار، ويخصحهم بالاحتياط في اموال المسلمين، ولكنه في نفس الوقت فرض عليهم نوعا من الرقابة فكان يخبرهم انه علم بشرائهم لكذا وكذا، مما يجعلهم دائماً في دائرة الرقابة، ويحاسبهم بناء على تلك التصرفات، فمن كتاب له عليه السلام إلى أحد عماله :

(اما بعد فقد بلغني عنك امر ان كنت فعلته فقد اسخطت ربك وعصيت امامك واخزيت امانتك، بلغني انك جردت الارض فاخذت ما تحت قدميك واكلت ما تحت يديك فارفع الي حسابك واعلم ان حساب الله اعظم من

---

[91] / جامع السعادات/ ج ٢– ص ٣٦٢.

حساب الناس)[٩٢].

وتراه يحذر عامله عثمان بن حنيف الانصاري لانه اجاب وليمة قوم من اغنيائها لانه يخاف عليه ان يسلك هذا الطريق فتجره الدنيا باخطبوط زينتها.

ولقد كان هذا الامر هو الذي اوبق بعض أصحاب الأئمة عليهم السلام ، ونقلهم من درجات الاستقامة والثقة إلى الخيانة والطرد، فعلي بن أبي حمزة البطائي وزياد القندي وسواهم من رؤوس الواقفة كانوا في بداية امرهم مستقيمي الطريقة، ولا ندري لعلهم كانوا ممن يكتمون حب الدنيا لعدم حصولهم عليها فلما وصلت اليهم وصار تحت ايديهم من اموال الشيعة العائدة للإمام الكاظم عليه السلام خمسين الف دينار او اكثر وعددا من الجواري وغير ذلك من الانعام كحقوق شرعية، آنئذ استيقظ في داخلهم ما كان كامناً، وانطلق مارد الدنيا من قمقم انفسهم فدمر دينهم، وهكذا كان سواهم فعروة بن يحيى الدهقان كان يلي خزانة للإمام علي الهادي عليه السلام لكنه كان قد اعمى حب الدنيا عين بصيرته لذلك كان يأخذ اموال هذه الخزانة لنفسه ويصرفه في مصارفه الشخصية دون ان يرسل للإمام منه شيئا[٩٣] . ولم يكن حال فارس القزويني الذي تقدم ذكره كثيرا في الصفحات السابقة باحسن حالاً- فقد وجه الجبلي (من أصحاب الأئمة) إلى فارس- قبل صدور اللعن بحقه- باموال طائلة لكنه لم يوصلها إلى الإمام وخانه فيها وصرفها في شؤونه الخاصة [٩٤].

ونجد ان احدى الميزات التي كانت تعرف الناس صدق الوكيل او كذبه كانت اقباله على الدنيا، وعدمه يقول احمد الدينوري وكان قد حمل من اموال اتباع أهل البيت ستة عشر الف دينار إلى بغداد وبحث عمن يشار إليه بالنيابة والسفارة فارشد إلى ثلاثة احدهم يسمى الباقطاني والثاني اسحاق الاحمر والثالث أبو جعفر العمري، يقود الدينوري :

فبدأت بالباقطاني وصرت إليه فوجدته شيخاً مهيباً له مروة ظاهرة وفرس عربي وغلمان كثيرون، فدخلت إليه واعلمته انني من أهل الدينور ومعي شيء من المال اريد ان اسلمه واريد حجة- اي برهانا على صحة سفارته- فلما اعذره ذلك قال لي تعود في غد، فعدت إليه فلم يكن لديه حجة، فصرت إلى اسحاق الاحمر فوجدته شابا نظيفا ومنزله أكبر من منزل الباقطاني وفرسه ولباسه ومروته اسرى وغلمانه اكثر من غلمانه ويجتمع عنده من الناس اكثر مما يجتمع عند الباقطاني فقلت له كما قلت للاول وطلبت حجة وغدوت عليه بعد ثلاثة أيام فلم يأت بحجة، فصرت إلى أبي جعفر العمري فوجدته شيخا متواضعا عليه مبطنة بيضاء قاعد على لبد في بيت صغير ليس له غلمان ولا له من المروة والفرس ما وجدت لغيره[٩٥] .

---

92 / نهج البلاغة/ الكتاب (٤٥).

93 / اختيار معرفة الرجال ص ٥٧٣.

94 / اختيار معرفة الرجال/ ص ٥٢٥.

95 / تاريخ الغيبة الصغرى/ ص ٥١٠- عن البحار.

والملاحظ في هذه الرواية ان الباقطاني واسحاق الاحمر- قاما حتى قبل اعتراف الناس بسفارتهما ووكالتهما الكاذبة عن الإمام، قاما بستعراض حبهما للدنيا وللرئاسة فكل واحد منهما له مروة ظاهرة وبيت انيق وغلمان وخدم وحشم كما لو كان ملكاً متوجاً، بعكس الوكيل الحقيقي الذي كان يرى ان الوكالة ليست الا تحملاً للمسؤولية وقياماً بالواجب وبالتالي فلا يؤثر في ادائها وعدمه البيت الانيق والفرس العربي!!

لذلك نعود ونؤكد ان من مسؤولية القيادة انتخاب الوكيل الصالح الذي لا تفتنه الدنيا بزخارفها فتلهيه عن اداء دوره، وأيضاً من مسؤوليتها التوجيه الاخلاقي والتربوي المستمر واخيراً ايجاد رقابة حازمة تجاه الوكلاء بحيث توقفهم قبل الانحراف وتحاسبهم على التقصير.

٣/ نزاعات الوكلاء وخلافاتهم :

بالرغم من ان من مسؤوليات القيادة تحديد صلاحيات كل وكيل، منعاً للتداخل وبالتالي التراع، الا ان عدم امكانية تحديد هذه الصلاحيات بدقة، من جهة ووجود تداخل طبيعي في بعض النقاط من العمل من جهة اخرى يجعل امكانية الاختلاف واردة وواقعة فعلاً.

واذا بقيت الحالة ضمن اطار (اختلاف الاراء) فتهون المشكلة، اما عندما يصب عليها زيت الاهواء، فتتعاظم المشكلة.

كيف تنشأ هذه التراعات ؟

هناك ثلاثة اسباب تنتهي إلى اثارة التراعات بين قيادات الفروع والوكلاء، وينبغي ان يلحظ اننا نتحدث هنا عن التراعات بين أفراد يفترض انهم على مستوى معين من الوعي، والا فان ابسط الاسباب يمكن ان تكون مقدمة للتراع وأحياناً القتال بين غير الواعين فتجاوز سائق لاخر بسيارتة بطريقة لا يرضاها الاخير من الممكن ان تكون مقدمة لعراك بالايدي بينهما، والحاح على سعر معين من قبل المشتري يمكن ان يحسبه البائع (لجاجة) غير مقبولة ويكون ذلك مقدمة للتشاتم وهكذا.. اما ما نحن فيه فيفترض اننا امام أشخاص يتحملون مسؤولية قيادية، لا يقال كيف يكون هؤلاء قياديين ومع ذلك تحدث بينهم التراعات ؟! لانا نقول : ان هؤلاء (أشخاص) قياديون وما داموا اشخاصاً فان الكثير من المشاكل النفسية تعترض طريقهم، وهم خارجون عن اطار العصمة، وعلى كل حال فان الصعود في المرتبة الاجتماعية لا يعني بالضرورة التكامل النفسي.

اذا كان كذلك فاننا نعتقد ان اسباب تلك التراعات بين الوكلاء، كالتالي :

أ- المزيدات للتقرب إلى القيادة المركزية :

يحدث ان يطلب من شخص القيام بعمل معين، فيقوم به بطريقة معينة، وفي هذه الاثناء يأتي شخص آخر (فيدخل على الخط) ويحاول ان يقوم بهذا العمل بطريقة افضل وربما بتكاليف اقل، ويحاول عبر هذا العمل ايصال انطباع لدى القيادة بان الطريقة التي يقوم بها الاول كثيرة التكاليف وقليلة النتائج بينما طريقته على العكس. وقد يكون هذا الامر فعلاً كذلك، وهنا لا شك ان القائد يفضل الطريقة التي يقوم بها هذا الشخص، الا ان هذه الطريقة تارة تكون ضمن اطار الحرص على العمل وامكاناته ومحاولة الوصول لافضل النتائج، وتارة اخرى تكون من اجل كسب موقع جيد وتشكيل انطباع حسن لدى القائد عن هذا الشخص ويمكن الاستدلال على ان الشخص يهمه مصلحة العمل، او

ينظر إلى الموقع المميز في نفس القائد، بحرصه على ان يقدم الاقتراح المناسب والمساعدة الجدية للشخص الاول المكلف بالعمل، والتعاون معه لكي ينجح، او بحرصه على ان يكون هذا العمل ناجحاً به فقط!!

ب- تجاوز الصلاحيات الممنوحة إلى صلاحيات الوكلاء الاخرين :

وهذه تعود إلى ما سبق وان تحدثنا عنه في فقرة (طلب الرئاسة)، فهو لا يكتفي بما لديه من صلاحيات ومشاريع وانما (يمد عينه) إلى صلاحيات سائر الوكلاء محاولاً ان يتدخل فيها، وقد يملك شخص من الكفاءة والحيوية الادارية ما يؤهله لادارة اكثر مما لديه، غير انه لا يصح ذلك بطريقة التجاوز، لان هذه القاعدة ان جرت في موقع جرت في كل المواقع، وحينها فان العمل يتحول إلى غابة من الفوضى والاختراقات والتجاوزات وتتبخر فيه القيم والنيات الصالحة.

ج- اختلاف طرق العمل :

فقد يكون في منطقة وكيلان او اكثر، يقوم كل واحد منهم بعمل، وتختلف طريقته وبالتالي مصلحة عمله عن زملائه، فهذا تكون له مصلحة في هدوء الاوضاع لكي يمارس نشاطاته الثقافية والاجتماعية الجماهيرية، بينما الاخر يساعده توتر الاوضاع على القيام بدوره في التعبة السياسية وهكذا.. فكل يعمل في جانب لا يلتقي بالجانب الذي يعمل فيه الاخر، مما ينتهي بهما إلى عدم الانسجام.

فهذه ثلاثة اسباب تنتهي إلى التراع بين الوكلاء وقيادات الفروع، اولها نفسي يرتبط بمحاولة أحد الوكلاء تحقيق موقع استثنائي لدى القيادة، وثانيها اداري ناتج عن عدم تحديد الصلاحيات الممنوحة لكل وكيل، او عدم الوقوف بوجه التجاوزات التي يقوم بها هذا الوكيل او ذاك، والثالث ميكانيكي يرتبط بكيفية تمشية العمل من قبل وكلاء متعددين، كل في مجاله الخاص دون ان يسمح للتماس الحاصل بين اجزاء العمل باحداث حريق التراعات.

ولا تحدث هذه التراعات بين الوكلاء الخونة فقط، بل قد تحصل بين الوكلاء الثقاة، فإذا استبعدنا من هؤلاء السبب النفسي، يبقى السببان الاداري والميكانيكي قادرين على اشعال التراع، ويبدو ان هذه المشكلة كانت موجودة بصورة غير قليلة بين العديد من وكلاء أهل البيت عليهم السلام واصحابهم إلى الحد الذي نلتقي فيه بعدد من الاحاديث تشير إلى هذه الظاهرة بين الوكلاء السيئين من جهة والصالحين من جهة اخرى، بل وحتى بين الوكلاء الصالحين انفسهم، وكان هذا الاختلاف يصبح حديث القواعد، ويتحول إلى مسألة اجتماعية- وهنا مكمن الخطورة- تنعكس في صورة تدابر وتقاطع بين انصار هذا الوكيل وذاك. ولننقل هذه الرواية التي تشير إلى ما نحن فيه وكيف يتحول الاختلاف إلى الجمهور فيقسمه إلى مؤيد ومخالف، وكون هذا الاختلاف والتراع من منطلق نفسي غير سليم. يقول الفيض بن المختار بعد ان دخل على الإمام الصادق (عليه السلام) قلت له : جعلني الله فداك ما هذا الاختلاف بين شيعتكم ؟! فقال : واي الاختلاف يا فيض ؟!

قال الفيض : اني لأجلس في حلقهم (جمع حلقة) في الكوفة فأكاد أشك في اختلافهم في حديثهم حتى ارجع إلى المفضل بن عمر فيوقفني من ذلك على ما تستريح إليه نفسي ويطمئن إليه قلبي، فقال ابوعبدالله عليه السلام : اجل هو كما ذكرت يا فيض، ان الناس قد اولعوا بالكذب علينا كأن الله افترض عليهم لا يريد منهم غيره واني احدث احدهم بالحديث فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير تأويله وذلك الهم لا يطلبون بحديثنا وبحبنا ما عند الله وانما

يطلبون الدنيا وكل يحب ان يدعى رأساً. انه ليس من عبد يرفع رأسه الا وضعه الله وما من عبد وضع نفسه الا رفعه الله وشرفه فإذا اردت بحديثنا فعليك بهذا الجالس، واومى إلى زرارة بن اعين [٩٦].

في المقابل نجد نمطاً مناقبياً رفيعاً يجسده ثلاثة من الوكلاء هم صفوان بن يحيى البجلي وعبدالله بن جندب البجلي وعلي بن النعمان، فقد تعاهوا في بيت الله الحرام، على انه ان مات واحد منهم عمل من بقي صلاته وصام عنه صومه وزكى عنه زكاته فمات عبد الله بن جندب وعلي بن النعمام وبقي صفوان فكان يصلي في كل يوم مئة وثلاثة وخمسين ركعة ويصوم ثلاثة اشهرفي السنة، ويخرج زكاته ثلاث مرات، وفوق كل ذلك فكل عمل تطوعي يقوم به عن نفسه يقوم به أيضاً عن اخويه [٩٧].

وهذه العلاقة المتميزة في مستواها الاخلاقي هي التي ينبغي ان تكون محل اقتداء من قبل الوكلاء لتصبح محور العلاقة بينهم وبين بعضهم البعض.

٤/ الاستقلال الخاطىء ومخالفة القيادة :

لا يمكن البحث في مخالفة الوكيل لقرار الإمام المعصوم عليه السلام لان ذلك يعتبر رداً عليهم وذلك في حد الشرك بالله، بسبب ان الإمام عليه السلام لا يبني قراره على اسس اجتهادية قابلة للنقض وانما يبني قراره ضمن ما نعتقده من عصمته عليه السلام . ولذلك فتعمد مخالفة الإمام تستوجب طرد هذا الوكيل ولعنه، الامر الذي كان يحدث عادة.

انما البحث في مخالفة الوكلاء لقياداتهم الشرعية وهذا يتصور ضمن الاطراف التالية :

اولاً : مفهوم الاستقلال الخاطىء الذي يتسرب إلى ذهن الوكيل : إذ يصعد مستوى ادراك هذا الوكيل وقدراته الادارية، وربما يحصل على الجمهور الخاص المؤيد له، فيفكر حينها لماذا يبقى خاضعاً لكل قرارات وتوجيهات القيادة المركزية ؟! ولماذا لا يرفض أحياناً كما يقبل دائماً ؟! ويبرز هذا الشعور حين يشتد ساعد هذا الوكيل، ويزين له جمهوره او الوضع العام الموجود هذا الامر، فيكون مصداق قول الشاعر :

اعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني

وبالطبع لن يكون من العسير على الوكيل تحصيل اشكالات موجودة في القائد الاول نظراً لبشريته، مما يقوي عنده حسن الاستقلال الخاطىء ويدفعه باتجاه مخالفة القرار المركزي.

ولقد كان هذا الشعور الخاطىء بالاستقلال سبباً في انشقاق الكثير من الحركات العاملة على نفسها إلى اجنحة مختلفة وشعب متفرقة، وبداية تلك الانشقاقات كانت شعور شخص قيادي او وكيل بعدم حاجته إلى المركز، وثقته (العالية) بنفسه وامكاناته الامر الذي ادى إلى ان ينشق على المجموع. وقل ان وجدنا حركة قد انشقت على

---

96 / اختيار معرفة الرجال/ ص ١٣٥.

97 / تنقيح المقال/ ج ٢- ص. ١٠٠.

نفسها لم تنته إلى انشقاقات اخرى، والى الاخير.

ثانيا : قبول القرارات التي تناسب الوكيل وترك غيرها :

لا شك ان للوكيل الحق في التساؤل عن القرارات والمشاريع التي يجب ان يطبقها، وله الحق في ان يناقش مبدياً رأيه وهذا امر متفق عليه، الا انه يحدث ان الوكيل هذا تتضخم عنده الحالة فيعتبر نفسه (مصفاة) لكل القرارات التي تأتي إلى ناحيته، فما وافق عليه يطبق وما لم يوافق عليه يلقى مع المهملات، وهو في هذه الحالة يجري رأيه وامره وقناعاته فوق كل قرارات قيادته. فتارة بعنوان انه اعرف بوضعه ووضع منطقته وبالتالي يعرف ما يصلحها وما يفسدها، واخرى بعنوان اخر، وقد تكون كل هذه العناوين صحيحة، الا انه ينبغي الالتفاف إلى مسألة ان لا يجعل هذا الوكيل لنفسه (حق الولاية) على جميع القرارات والافكار فيلغي ما يشاء ويقبل ما يريد. مع ان حقه في المناقشة، ومعرفته بتفاصيل وضع منطقته تبقى محفوظة ولا يمكن التنكر لها، الا ان الاجتهاد ينبغي ان يكون في كيفية مواءمة تلك التوجهات والقرارات مع وضع المنطقة، والاجتهاد ينبغي ان يصب في خانة الاسلوب الذي تطبق به تلك الأمور. وقد تقدمت الاشارة إلى الناحية الاخرى التي تقابل هذا المرض، وثم بحثها في فصل صفات الوكلاء، فلا حاجة للتكرار والاعادة.

واجب القواعد تجاه الوكلاء

دخل رجل من أهل العراق إلى الشام أيام كان معاوية بن أبي سفيان حاكما لها، فتعلق رجل شامي به وادعى ان الدابة التي يركبها الرجل العراقي هي ناقته وقد فقدها في حرب صفين، وان العراقي انما اخذها في تلك الحرب. ولم يترك الرجل حتى ذهبا إلى معاوية ليقضي بينهما في الامر، فحكم- بطبيعة الحال- للرجل الشامي واعطاه الدابة.

لما اعطاه إياها قال الرجل العراقي لمعاوية : إن الرجل يدعي ان الدابة ناقته بينما هي (جمل)، فكيف يقضى له بها ؟! فقال معاوية : اعلم ذلك ولكن اخبر صاحبك عليا أنني اقاتله بمئة ألف من أهل الشام ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل!!

هذه الحادثة وسائر الحوادث مثلها تشير إلى نوع معين من الاتباع كان يستطيع معاوية بحركة مسرحية ان (يجيش) من خلالها عشرات الالوف منهم جاعلاً اياهم طحين حرب طموحاته وعموماً فهناك نوعان من القواعد والاتباع.. همج رعاع، واتباع واعية على سبيل نجاة. وحسب سلوك كل من هذين النوعين يكون العنوان، فقد يكون القائد عالما ربانيا ولكن اتباعه بسلوكهم وطريقة تعقلهم للقضايا همج رعاع. لنقرأ معا تقسيم أمير المؤمنين (عليه السلام) للاتباع حيث يقول :

الناس ثلاثة :

- فعالم رباني.
- ومتعلم على سبيل نجاة.

- وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح أولئك لم يستضيئوا بنور العلم و لم يلجؤوا إلى ركن وثيق[٩٨] .

وبهذا الحديث نستطيع ان نرى ان صفات قواعد الهمج :

أ- ليست لهم قيادة محددة ومعروفة، انما ينتظرون من- حمل الراية بهدى أو بضلال لكي يسيروا وراءه، خدم الحاكمين، واتباع الناعقين.

ب- نظراً لكونهم ليسوا أصحاب قيادة محددة لذلك فإن مواقفهم غير ثابتة فاليوم معك وغداً عليك وبعد غد لا يعرفك يميلون مع كل ريح، ويتحمسون لكل دعوة.

ج- مشكلتهم الرئيسية المعرفة والوعي، فلأنهم لم يستضيئوا بنور العلم لذلك لا مواقف ثابتة لديهم، ولانهم لا يمتلكون الوعي لذلك قيادتهم من يملك القوة، ومن تميل معه الريح. سفنهم لا تتحرك بقوة دفعهم، انما بريح ا لاخرين.

هؤلاء الهمج هم اسرع الناس إلى الفوضى، واسرع الناس إلى الهزيمة أيضاً. أعلى الناس اصواتا واقلهم افعالا، يجتمعون في الساحات ويصرخون (ولا يتحدثون) فإذا (جد الجد قالوا حيدي حياد).

هذا النمط هو الذي يريده عادة المنحرفون من الحاكمين انهم يريدون جسماً ضخم العضلات، شديد التدمير، لكنه ضامر العقل، معدوم الوعي.

إن القصة المتقدمة مثال واحد مما كان عليه معسكر معاوية من البلاهة وضعف الوعى، بالرغم من قوته وقدرته على البطش وهذا ما كان يريده معاوية بحيث يستطيع في اي وقت من الاوقات ان يثيره للحرب بحديث مكذوب- وان يقذفه طعمة للرماح للاشيء !

والنوع الثاني من الاتباع والقواعد ممن هم (على سبيل نجاة)، قواعد ملتزمة بمنهج فكري، وهادفة، وتمتلك وعياً بالمقدار الذي يمكنها من معرفة المواقف المختلفة. عندما نتحدث عن قواعد موالية لأهل البيت عليهم السلام ، ونتحدث عن مسؤولية هذه القواعد تجاه الوكلاء، فإننا نقصد هذه القواعد، لا الهمج المقلدة، والرعاع الجاهلة..

هذه القواعد تتعامل مع الوكيل باعتبار مشرفا على تطبيق القيم، وموجهاً إلى طريق الخير، فلا تعطيه اكثر من هذا المقدار ولا تنقصه منه، هذه القواعد ليست اتكالية، لذلك فهي لا تؤمن ايمانا اعمى بفكرة (قلدها عالم واطلع منها سالم)، لانها تعتقد ان هذه الفكرة وإن كان فيها بعض الصحة إلا ان التطبيق الحالي لها يحول المجتمع المعتقد بها إلى مجتمع سلبي في الاستفادة من وعيه، ومعطل لعقله القادر على معرفة الحقائق، واتكالي في كونه لا يتحمل مسؤولية وانما (يوزع) المسؤوليات على هذا(العالم) وذاك بينما (يطلع منها سالم) كما يتصور.

إن هذه الفكرة أحد الابواب الواسعة للتخلف الذي اصاب مجتمعاتنا الدينية وبذلك اصبحت سلبية ومعطلة واتكالية، (وكما تكونوا يولى عليكم) فإن نمط القيادات التي وجدت في المجتمع تكيفت مع هذه الصفات بشكل كبير، لذلك اصبح التغيير نغمة نشاز، ووجود برنامج لدى هذه القيادة امسى امرا غريبا.

ولكيلا نطيل في المقدمات، نرى ان مسؤولية القواعد تجاه الوكلاء هي

كالتالي :

---

98 / نهج البلاغة - الحكمة/ ١٤٧.

ا/ الاستجابة والتفاعل مع برامج الوكيل :

قل ان يوجد أحد يعارض القيم في صورتها النظرية والعامة. ذلك ان حسنها واضح، فالنظافة- مثلاً- صفة من الصفات التي يحبها جميع الناس الاسوياء ما دامت في صورتها النظرية. والالتزام بالنظام كذلك، وهكذا سائر القيم.

أما إذا تجسدت هذه القيم في واقع خارجي، وارتبطت بشخص أو بتجمع، فانها حينئذ تفقد المؤيدين. فالنظافة مطلوبة ولكن من الاخرين والالتزام بالنظام والقانون جيد لكن في حق السيارات الاخرى لكيلا تزاحم هذا الإنسان، لا في حقه هو. والنشاط حسن خصوصاً إذا كان من الاخرين لتمشية اعماله.. وهكذا يقل المؤيدون للقيم كلما حملتهم تلك القيم مسؤولية التطبيق لها.

والتجمعات الحية هي التي تربط بين القيم وتطبيقها بالنسبة لعموم اعضائها. وتحولها إلى نظام يتفاعل معه الجميع بناء على ايمانهم بها. فطاعة الله سبحانه وتعالى تبقى شيئا غير محسوس ما لم تتجسد في اداء الواجبات العبادية (كالصوم والصلاة والحج وغيرها) وفي الامتناع عن نواهيه (كالمعاصي..) والذي يدعي حب الله أو طاعته دون أن يجسد ذلك في سلوكه كما ادعت بعض المذاهب الفاسدة في التاريخ، لا يصدق.

تعصي الإله وانت تظهرحبه	هذا لعمرك في الفعال بديع
لوكان حبك صادقاً لاطعته	إن المحب لمن يحب مطيع

واحترام الإمام المعصوم وطاعته لا تتصور من دون طاعة وكيله والممثل عنه ذلك لانه بهذه الصفة الاعتبارية- كونه وكيلاً للإمام- يصبح واجب الطاعة ولذلك عندما ننظر إلى كتب الأئمة عليهم السلام ورسائلهم إلى قواعدهم في مختلف المناطق نجد فيها التأكيد الكبير على اهمية طاعة الوكيل باعتباره ممثلاً للإمام وان طاعته باب طاعة الإمام عليه السلام .

فقد كتب الإمام الصادق عليه السلام لاتباعه في الكوفة (قد اقمت عليكم المفضل اسمعوا منه واقبلوا عنه)[٩٩] .

وكتب الإمام الهادي عليه السلام إلى أهل بغدا في رسالة التعيين لابي علي بن راشد مبيناً لهم ان طاعة الوكيل هي طاعة الإمام عليه السلام : (.. فقد اوجبت في طاعته طاعتي والخروج إلى عصيانه الخروج إلى عصياني..) [١٠٠].

وكتب الإمام الجواد عليه السلام لخيران الخادم القراطيسي جواباً عن أحد اسئلته : (.. إعمل في ذلك برأيك فإن رأيك رأي ومن اطاعك فقد اطاعني) [١٠١].

وكتب أيضاً إلى إبراهيم بن محمد الهمداني كتاباً جاء فيه : (.. وقد كتبت إلى النضر امرته ان ينتهي عنك وعن التعرض لخلافك واعلمته موضعك عندي وكتبت إلى ايوب أمرته بذلك أيضاً، وكتبت إلى موالي بهمدان كتاباً امرهم

99/ اختيار معرفة الرجال ص ٣٢٧.

100 / المصدر ص ٥١٤.

101 / المصدر ٦١١

بطاعتك والمصير إلى امرك وان لا وكيل لي سواك ٠٠)[١٠٢].

ونجد هذا الامر يتحول إلى تقليد بين الاتباع المواعين، فهم يرون طاعة الوكيل ملزمة لهم حتى لو كان ذلك خلاف التوقعات وخلاف رغبة النفس. فقد روي ان اتباع أهل البيت عليهم السلام أيام وكالة السفير الثاني محمد بن عثمان العمري، كانوا يتوقعون ان يكون الوكيل هو جعفر بن احمد بن متيل لما رأوه من الخصوصية وكثرة كون محمد بن عثمان في مترله، وكان لا يشكون ان كانت حادثة فلن تكون الوصية إلا إلى جعفر بن متيل، فلما تم تعيين الحسين بن روح سلموا له و لم ينكروا عليه وكانوا معه كما كانوا مع محمد بن عثمان. وينقل الشيخ الطوسي رضوان الله عليه باسناده عن جعفر بن متيل انه لما حضرت ابا جعفر محمد عثمان العمري- الوفاة كنت جالساً عند رأسه احدثه وابو القاسم (الحسين بن روح) عند رجليه، فالتفت الي ثم قال : امرت ان اوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح، قال جعفر بن متيل فقمت من عند رأسه واخذت بيد أبي القاسم واجلسته في مكاني وتحولت عند رجليه [١٠٣].

وفي هذه الحادثة من المعنى الرمزي الكثير الدال على تقاليد الطاعة التي كانت بين اتباع أهل البيت عليهم السلام . فبالرغم ان هذه الحركة (التحول من الجلسة عند رأسه إلى رجليه) لا تغير شيئاً كثيراً في الظاهر إلا الها كرمز تعني الكثير من إلاستسلام والطاعة لهذا التعيين بالرغم من ان جعفر بن متيل كان في نظر الاصحاب في نفس مستوى الحسين بن روح أو أكثر منه.

وهكذا الحال في القيادات الفرعية التي تستلم صلاحيتها من القيادة المركزية، فان تفاعل القواعد مع برامجها وطاعة قرارالها يعتبر استجابة لنداء القيادة. لان ذلك في الواقع ليس طاعة لشخص وانما هو للاعتبار الذي يحمله هذا الشخص كونه ممثلاً للقيادة، بحيث لو سلب هذا الاعتبار منه بسبب من الاسباب فإن القواعد التابعة لتلك القيادة ليست مجبرة على اطاعة قراراته والاستجابة لبرامجه.

بالطبع ينبغي ان لا يساء استخدام هذا الاعتبار من قبل الوكيل بالشكل الذي يسقط ثقة القواعد ويمنعها من الامتثال والانقياد. إذا يجب ان يتم الاستفادة من الاعتبار الخاص الذي يمنحه اياه موقع الوكالة في مجالاته المعينة، وان يقتصر على ذلك. وإلا فإن ذلك يعتبر تجاوزاً من الوكيل سوف يؤدي إلى نتائج سلبية تتمثل في سقوط المصداقية والثقة بين القواعد وبينه، ومن يزرع شوك الاستخدام السيء لا يحصد ثمر الثقة والطاعة.

٢/ المراقبة والمحاسبة :

كيف يستمرىء القائد الانحراف ؟!

لا شك ان (الحق ثقيل وبيء والباطل خفيف مريء) لذلك تجد الناس للباطل اسرع، وهذا يعم القائد وغيره، إلا ان هناك لحاظات اخرى تجعل القائد هذا إلى الانجراف اقرب :

- فرص وادوات الفساد والانحراف لديه اكثر توفراً، فهو بما يملك من مال- ان كان في رأس السلطة، أو كان وكيلا يستلم الحقوق الشرعية. واميناً على الزكوات- يستطيع ان يحركه في اتجاهه الشخصي، فيقتني، ويشتري،

---

102 / المصدر ٦١٢

103 / الغيبة ص ٢٢٦.

ويلعب. فإذا كان يتعسر على العموم ان يحصلوا على مترل متواضع فإن بإمكانه بما لديه من مال ان يشتري القصور والبيوت المرفهة. وإذا كان الشاب يجهد اغلب عمره ليحصل على مال يتزوج به، فإن بامكان هذا الزواج متى شاء- ثم انه يملك الوجاهة والشخصية الاجتماعية التي تعتبر اكثر اهمية من الاموال لدى الكثيرين. وهذه الوجاهة تفتح له الابواب المغلقة ويستطيع ان يقتحمها بحق أو بدون حق.

- الحاشية الفاسدة التي يبتلى بها بعض القادة أو الولاة أو الوكلاء وهي من اخطر ابواب الفساد والانحراف. فالحاشية هي التي تسقط شخصيات الصالحين في نظر القائد، أو الوكيل، وهي التي توصل له ما تشاء من الاخبار التي تخدم خطها، وهي التي تصنع للقائد أو الوكيل شبكة اخطبوطية لا يستطيع النجاة منها حتى إذا اراد، فهو محاط بها اينما اتجه. وهي التي تبرر له سيئاته ومعاصيه ليبقى ضمن هذا الاطار لان اي توجه منه إلى اصلاح نفسه يهددها بالفناء.

لقد حاول المعتضد العباسي أيام حكمه ان يسير مسيرة صالحة فيرد المظالم، ويعمل بالعدل ويكسر ادوات اللهو والخمر في القصر، إلا ان هذه الحاشية والبطانة اقامت اربعين شاهدا!! من العلماء (!!) شهدوا على ان الخلفاء ليس عليهم حساب ولاعقاب ! فرجع عما عزم عليه.

هذه البطانة هي التي تغير الحقائق، فتمدح كاذبة، وتؤيد ظالمة فتزين العداء لهذا وذاك على انه العمل الاهم للإسلام والمسلمين، وتجعل نفسها قيمة على الوكيل فهي بابه الذي يوصل إليه ما تشاء من الاخبار والافكار وجسره الذي تنقل عبره ما تشاء من التوجيهات إلى الناس . ولقد حذر أمير المؤمنين عليه السلام واليه مالك الاشتر من هذه البطانة قائلا :

(وليس أحد من الرعية اثقل على الوالي مؤونة في الرخاء واقل معونة له في البلاء، واكره للانصاف واسأل بالالحاف واقل شكراً عند الاعطاء وابطأ عذراً عند المنع واضعف صبراً عند ملمات الدهر من أهل الخاصة، وانما عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للاعداء، العامة من الامة فليكن صغوك لهم وميلك اليهم..).

(إن شر وزرائك من كان للاشرار قبلك وزيراً ومن شركهم في الاثام فلا يكونن لك بطانة فانهم اعوان- الأئمة واخوان الظلمة وانت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل ارائهم ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم واوزارهم وآثامهم ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ولا اثماً على اثمه أولئك اخف عليك مؤونة واحسن لك معونة واحنى عليك عطفاً واقل لغيرك الفا فاتخذوا أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ثم ليكن اثرهم عندك اقولهم بمر الحق لك، واقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعاً ذلك حيث وقع، والصق باهل الورع والصدق ثم رضهم على الا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله فإن كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدني من العزة)[١٠٤] .

- غياب الجمهور عن ساحة- المراقبة : ان الثقافة الخاطئة التي حاول المزيفون بثها في الامة من وجوب السمع والطاعة لكل وال على كل حال، وان عمل بالمنكرات واقام على الفواحش، والانتظار به إلى يوم القيامة حيث يحاسب كانت خطة مدروسة تنتهي إلى ابعاد الناس عن ساحة المراقبة والمحاسبة و(تحويلهم) على الاخرة، بحيث

---

[104] / نهج البلاغة/ الكتاب (٥٣).

يصبحون سلبيين في اوضاعهم القائمة منتظرين ليوم القيامة حيث الله يحاسب من يشاء!! فلا ربط لهم في الدنيا لانهم ينتظرون حساب هؤلاء المنحرفين يوم القيامة، ولا ربط لهم بحسابهم في يوم القيامة، لان الله يحاسبهم.

وهذا الصمت والغياب يحاسب عليه الجمهور لانه ينتهي إلى تعميق خط الفساد في المجتمع دون أن يكون له كلمة موقف او اشارة تغيير.

هذه اللحاظات الثلاثة تجعل القيادات اكثر- عرضة للانحراف، بينما تبقى مراقبة القواعد لها واتخاذ اجراءات عملية تبعاً لتلك المراقبة- كما سيأتي- يجعل القائد يفكر مرات قبل ان يقدم عليه.

فبالمراقبة تستطيع القواعد ان ترى ان التصرف المالي الذي يقوم به هذا القائد يجري ضمن القوانين الإسلامية أم ضمن الاهواء الشخصية، وتستطيع ان تراقب حركة الاجهزة الفاسدة والبطانة غير الصالحة.

والنصيحة وهي حق من حقوق الوالي والوكيل على الاتباع والقواعد لا تتأتى إلا بوجود نوع من المراقبة والملاحظة، لتعرف مواقع الخطأ فتنصح بتغييرها. وتتصدى للانحراف ان وجد، لقد قال الخليفة عمر بن الخطاب مرة فرق المنبر : ماذا لو انحرفت بكم، فقام إليه أحد المسلمين من السامعين وقال له : إذن.. لقومناك بسيوفنا، ومتى كانت هذه الحالة موجودة في مجتمع فإن هذا المجتمع يستطيع ان يضمن عدم الانحراف أويقلل من درجة هذا الانحراف في الحد الادنى.

لننظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام .. فقد كان يخطب ذات مرة فقام إليه رجل من المتملقين الذين يتقنون فن المدح الكاذب فبدأ يمدح أمير المؤمنين عليه السلام بشكل لم يره الإمام مستساغاً، فلما انهى ذلك الرجل مقالته، بدأ الإمام يعلم سامعيه درساً رائعاً في طريقة التعامل مع القيادة في هذا المجال، موضحاً ان العلاقة المثالية لا تكمن في المدح بل ان هذه الحالة من اسخف حالات الولاة انما العلاقة المثالية هي ان ينفتح الجمهور على القائد في قول الحق :

(.. إن من اسخف حالات الولاة عند صالح الناس ان يظن بهم حب الفخر ويوضع امرهم على الكبر وقد كرهت ان يكون جال في ظنكم اني احب الاطراء واستماع الثناء ولست بحمد الله كذلك ولو كنت احب ان يقال ذلك لتركته انحطاطاً لله سبحانه عن تناول ما هو احق به من العظمة والكبرياء).

(فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة ولا تخالطوني بالمصانعة ولا تظنوا بي استثقالاً في حق قيل لي ولا التماس اعظام لنفسي فإنه من استثقل الحق ان يقال له أو العدل ان يعرض عليه كان العمل بهما اثقل عليه. فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل فإني لست في نفسي بفوق ان اخطيء ولا آمن من ذلك من فعلي إلا ان يكفي الله من نفسي ما هو املك به مني ..) [١٠٥].

إن المراقبة للوكيل هي التي تجعل وفرد الدخلاء من أشخاص أو افكار صعباً في التجمع المؤمن لذلك نجد ان الوفد القادم من قم بعد شهادة الإمام الحسن العسكري استطاع من خلال وعيه لصفات الوكيل الرسالي ان يعرف ان تلك الصفات لا تنسجم مع شخصية جعفر الذي كان قد ذهب يتنزه مع الغلمان والمغنيين على نهر دجلة. ولذلك لم يسلم الامانات والاموال إليه.

٣ / الضغط لتصحيح المسار :

---

[105] / نهج البلاغة/ خ ٢١٦.

غياب الجمهور لا يعني بالضرورة عدم الوعي، انما يعني لدى قسم كبير من الاتباع عدم ممارسة العلم، وعدم تحمل المسؤولية، فقد يرى شخص سوء الاوضاع، بل يشخص اسبابها، إلا ان ينكفىء في حالة من اللاالتزام من ناحية الموقف، اما لخوفه من الضرر على شخصه أو شخصيته أو ما يمتلكه، واما لتصوره عدم الفائدة، وعدم امكانية التغيير نحو الافضل.

غير ان هذه الفكرة ليست سليمه ذلك أن كل عمل ايجابي- مهما صغر- لا بد ان ينتج بقدر ما، وان (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) قانون الهي عام يشمل الدنيا كما الاخرة، يغفل المتشائمون عن هذه القاعدة فيتراجعون، بينما سنة الله في حياة المجتمع قائمة عليها سواء في اطار الافراد أو في اطار الجماعات. وعندما يتصدى ابناء المجتمع للاخطاء الصادرة عن الوكيل- وأحياناً للقائد- هادفين تصحيحها، كل بقدره وحسب استطاعته، فهذا برسالة تشرح الواقع كما هو وتطالب القائد) و الوكيل بتغيير افكاره وتصوراته عن هذا الواقع، وذاك بالحضور واللقاء الشخصي المباشر، والثالث بطريقة ثالثة فإن التغيير حاصل، أو على الاقل الاعذار إلى الله سبحانه وتعالى في ان هذا الطرف قد قام بواجبه وأدى مسؤوليته.

(إذا ظهرت البدع، فعلى العالم ان يظهر بعلمه)، يتصور البعض ان هذا مقصور على علماء الدين فقط دون غيرهم، إلا ان لفظ (العالم) عام فيشمل عالم الدين وغيره، فقد يكون أحد عدول المؤمنين غير عالم بتفاصيل المسائل الفقهية،.. ولكن معرفته بالواقع معرفة خبير، ورأيه فيما يرتبط بالمسألة الاجتماعية رأي حصيف وجدير بالاتباع، فإذا ظهر من القائد أو الوكيل ما يناقض هذا الواقع وهذه المعرفة به، فإن من واجب المرء المبادرة إلى توضيح الصورة، ثم الضغط- بالطرق المختلفة- لتصحيح مسار هذا الوكيل وحمله على ان يسلك جادة الصواب، وصراط الحقيقة.

إن تشكيل ضغط اجتماعي على أصحاب الأفكار الخاطئة والتصورات الفاسدة من الوكلاء أو القادة، امر ضروري لكيلا تتحول تلك الأفكار إلى سنة اجتماعية ثابتة. ولذلك جاءت الاحاديث الشريفة مؤكدة على تشكيل موقف اجتماعي عنيف تجاه هؤلاء، لكي يعودوا عن مسيرتهم، أو في الخيار الاخر لمنع تسرب افكارهم إلى المجتمع.

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله : (إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فاظهروا البراءة منهم واكثروا من سبيم والقول فيهم والوقيعة، وباهتوهم كيلا يطمعوا في الفساد في الإسلام وتحذرهم الناس، ولا يتعلموا من بدعهم، يكتب لكم بذلك الحسنات وترفع لكم بها الدرجات في الاخرة)[١٠٦].

ويوجه الإمام الصادق اصحابه لمقاطعة المصرين على الخطأ من عامة اتباعه فضلاً عن القادة، فعن الحارث بن المغيرة قال : لقيني أبو عبد الله عليه السلام في بعض طرق المدينة قبلا، فقال : حارث!! قلت : نعم فقال، لاحملن ذنوب سفهائكم على حلمائكم. قلت : و لم جعلت فداك ؟! قال ما يمنعكم إذا بلغكم عن الرجل منكم ما تكرهون ما يدخل علينا منه العيب عنه الناس، والاذى، ان تأتوه وتعظوه وتقولوا له قولاً بليغا ؟!

قلت : إذاً لا يقبل منا ولا يطيعنا، قال : فإذاً فاهجروه واجتنبوا مجالسته [١٠٧].

---

[106] / ميزان الحكمة ا/ ٣٨٢.

[107] / الاختصاص/ ٢٥١.

ونجد في موقف يونس بن عبد الرحمن رضوان الله عليه من زعماء الواقفية حينما اعلنوا دعوتهم الباطلة.. فقد روى يونس قال : مات أبو الحسن (الكاظم) (عليه السلام) وليس من قوامه أحد إلا وعنده المال الكثير وكان ذلك سبب وقفهم وجحدهم موته، وكان عند زياد القندي سبعون الف دينار وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون الف دينار، فلما قال : رأيت ذلك وتبين علي الحق، وعرفت من امر أبي الحسن الرضا (عليه السلام) ما علمت (من إمامته ووجوب طاعته) تكلمت ودعوت الناس إليه فبعثا الي وقالا : ما تدعو إلى هذا (الرضا) أنهم قالوا ان كنت تريد المال فنحن نغنيك، وضمنا لي عشرة الاف دينار وقالا لي : كف!! قال يونس : فقلت لهما : اما روينا عن الصادقين عليه السلام إذا ظهرت البدع فعلى العالم ان يظهر علمه فإن لم يفعل سلب نور الايمان) [١٠٨].

كما ان الضغط الاجتماعي الذي تقوم به القواعد يمكن ان يشكل عاملاً فعالاً في تصحيح طريقة الوكيل، أو في الفرض الاخر في فضل بقية القواعد عن التأثر به لذلك نجد في وصايا الأئمة بالنسبة للوكلاء الذين انحرفوا فيما بعد مشروع تشكيل ضغط اجتماعي، ينتهي إلى تصحيح مسار الوكيل أو إلى فصله عن الاتباع والقواعد لكي لا تعتني به. فقد قال الإمام الرضا عليه السلام لوكيله يونس بن عبد الرحمن، في شأن محمد ابن الفرات وكان قد اظهر بدعاً غريبة، وكان يقول بالغلو، قال له : يا يونس أما ترى إلى محمد بن الفرات وما يكذب علي ؟! يقول يونس قلت : ابعده الله واسحقه واشقاه!!

فقال : قد فعل الله به ذلك، اذاقه حر الحديد كما اذاق من كان قبله ممن كذب علينا.. يا يونس انما قلت ذلك لتحذر منه اصحابي وتأمرهم بلعنه والبراءة منه [١٠٩].

وحين يصبح الضغط الاجتماعي والهجران والاعتزال غير كاف في اعادة الوكيل هذا عن غيه وانه قد انتهج طريق الانحراف فلا يبقى غير عزله عن ممارسة دوره والتشهر به في وسط المجتمع لكيلا يؤثر بطريقته الفاسدة على جمهور الاتباع.

وحين كتب أحد الاصحاب للإمام الهادي عليه السلام في شأن فارس بن حاتم القزويني وقد ظهرت منه البدع كتب في جوابه (كذبوه وهتكوه ابعده الله وأخزاه فهو كاذب في جميع ما يدعي ويصف)[١١٠] .

٤/ المساهمة في التغيير والعزل :

بعكس ما تقوله الاحاديث المكذوبة على الرسول صلى الله عليه وآله من ان على المؤمنين ان يصبروا على جور الولاة وظلمهم مهما صنعوا، وان لا يحركوا ساكناً عليهم، مما وضعه على لسان الرسول عدد من الوضاعين الكذبة الذين كانوا ينفذون سياسة السلطات الظالمة.. فإن من مسؤولية الإنسان المؤمن ان ينكر المنكر ما استطاع إلى ذلك سبيلا مستخدماً الطريقة الانسب والاكثر فعالية في إنكاره وتغييره.. وان اولى المنكرات بالتغيير تلك التي تأتي من

---

108 / اختيار معرفة الرجال/ ص ٤٩٣.

109 / المصدر / ٥٥٤

110 / المصدر / ٥٢٢

قيادات المجتمع، وخصرصا إذا كان القائد ممثلاً لجهة دينية، فإن عدم انكار منكرته يحولها إلى سنة تتبع، وطريقة تحتذى.

لقد وجدنا بعض الناس يحولون (منكر) هذا العالم أو الوكيل وممارسته في تفرقة المجتمع وضرب الفئات ببعضها إلى دليل شرعي كامل يبيحون بواسطته اعمالهم، ويخطئون من لا يتبعهم في هذا العمل، لانه لو لم يكن عملاً شرعياً وواجباً دينياً لما قام به العالم الفلاني. ولو كان التوقف عن تلك الاعمال عملاً ايجابياً و(خيراً ما سبقونا إليه).

لقد امضى أهل البيت وشجعوا الاعمال المسؤولة في تغيير الانحراف ومحاولات العزل التي قام بها المسلمون للولاة والعمال الفاسدين.

فقد نقل ان أمير المؤمنين عليه السلام قد عزل أحد ولاته بواسطة سودة بنت عمارة الهمدانية.. وقد نقلت سودة هذه الحادثة في وفودها على معاوية، فما ان بدأ يذكرها موقفها في صفين وتشجيعها جيش أمير المؤمنين، مطالباً اياها بتذكر كلماتها، فاستعفته، ثم تكلمت بحاجتها مشتكية على ولاة معاوية قائلة :

إنك للناس سيد ولأمورهم مقلد والله سائلك عما افترض عليك من حقنا، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ويبسط بسلطانك فيحصدنا حصاد السنبل ويدوسنا دياس البقر ويسومنا الخسيسة ويسألنا الجليلة. هذا ابن ارطأة قدم بلادي وقتل رجالي واخذ مالي ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة، فاما عزلته فشكرناك وإما لا فعرفناك .

فقال معاوية! إياي تهددين بقومك والله لقد هممت ان اردك إليه على قتب اشرس فينفذ حكمه فيك فسكتت ثم قالت :

صلى الاله على روح تضمنه	قبر فاصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به ثمناً	فصار بالحق والايمان مقرونا

قال معاوية : ومن ذلك ؟!

قالت : علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى.

قال : ما أرى عليك منه أثرا.

قالت : بلى.. اتيته يوماً في رجل ولاه صدقاتنا فكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين فوجدته قائما يصلي، فانفتل من الصلاة ثم قال برأفة وتعطف : الك حاجة ؟! فأخبرته خبر الرجل، فبكى ثم رفع يديه إلى السماء فقال : اللهم اني لم آمرهم بظلم خلقك ولا ترك حقك ثم اخرج من جيبه قطعة من جراب فكتب فيه :

" بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بقية خير لكم إن كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ، إذا اتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك، حتى يأتيك من يقبضه منك والسلام ".

فعزله.. ماخزمه بخزام (اي الكتاب) ولا ختمه بختام [111]. وكان الحري بالإمام تبعاً لتلك الاحاديث المكذوبة عن الرسول صلى الله عليه وآله ان يلقي عليها محاضرة في فضل طاعة الوالي براً كان أو فاجراً، وعن ضرورة الصبر

---

[111] / العقد الفريد ٢/ ١٠٢.

على ظلمه حتى تموت غيظاً وكمداً!!

وتراه يؤيد عمل أهل مصر عندما تحركوا لخلع الولاة الفاسدين من بلدهم قائلاً (.. من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا لله حين عصي في ارضه وذهب بحقه، فضرب الجور سرادقه على البر والفاجر والمقيم والظاعن فلا معروف يستراح إليه ولا منكر يتناهى عنه) [١١٢].

وحين يأتي عدد من الشهود من أهل الكوفة يجمعون على شرب الوليد بن عقبة الخمر وزيادته في الصلاة إلى الخليفة عثمان، والإمام علي في المجلس يأمر بتنفيذ الحد بشأنه فيجلد [١١٣].

" البلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه "

مع الوكلاء الصادقين

لا نستطيع ان ندرس حياة كل الوكلاء الصادقين، لتنوعها، ولكثرتهم. لذلك سوف نحاول ان نقتطف من كل بستان زهرة، ونقف أمام بعض الحوانب الاخلاقية الرائعة، سواء في سيرتهم الشخصية أو في طريقة إدارتهم لمهمات الوكالة المناطة بهم. وسوف نرى ان بعضهم كان في ظرف حكومة الإمام عليه السلام ، كقيس بن سعد بن عبادة، فكان يدير من موقع الرئيس وقائد الجيش والموجه الاخلاقي في نفس الوقت، بينما كان البعض الاخر شي ظرف معارضة الإمام كالمفضل بن عمرو الجعفي، وبينما يكون لدى بعض الوكلاء مقدمات من ناحية النسب أو ألانتماء القبلي أو الجغرافيا، تؤهله لكي يتبوأ مقام الوكله وجدنا غيرهم كعلي بن مهزيار الاهوازي يفقد كل تلك المقدمات ومع ذلك يصبح من أهم وكلاء الإمام الجواد عليه السلام ، ويصبح مرجعاً في المسائل الثقافية..

وهكذا تجد نفسك- عزيزي القارئ- في بستان، تختلف الوان وروده، واشكالها ويجمعها شيء واحد هو عرف عطرها الحسن الذي يكتسب من بلد الأئمة الطيب .

فإلى تلك السير المشرقة :

١/ قيس بن سعد بن عبادة :

اتزان الشخصية، والثبات على الموقف في كل الظروف، عملة نادرة لا توجد إلا عند القليل من الناس. فأنت تجد من الناس من ينافس الحرباء في القدرة على التلون، ويغلب العجين في قدرته على التشكل، فإذا هبت علوية صار علويا، و ان عصفت أموية كان كذلك.

بينما لا تجد إلا القليل ممن يثبت في جميع الظروف، ولا تغير شخصيته ومواقفه الاحداث. ومن هؤلاء القليل قيس بن سعد بن عبادة، فقد اثبت اتزان شخصيته في اكثر من موقع، ذلك الاتزان الناتج عن وضوح الرؤية، وقوة

---

112 / نهج البلاغة/ كتاب (٢٨).

113 / شرح النهج ج ١٧- ص ٢٣٤.

العزيمة، وسلامة الايمان، فاستحق بذلك ان يكوت في طليعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وابنه الحسن المجتبى.

ففي بداية امره كان بمثابة صاحب الشرطة من الامير بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وآله في تنفيذ امور الرسول صلى الله عليه وآله كما كان حامل راية الانصار في بعض غزواته وكان من ذوي الرأي والتخطيط والمشورة.

بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله كان في خط أمير المؤمنين حتى تولى الإمام أمور الحكم فبعث قيساً والياً على مصر في سنة ٣٦ هـــ، وقال له : سر إلى مصر. فقد وليتكها، واخرج إلى ظاهر المدينة واحمل اليك ثقاتك ومن احببت ان يصحبك حتى تأتي مصر ومعك جند- فإن ذلك ارعب لعدوك واعز لوليك، فإذا انت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن، واشدد على المريب، وارفق بالعامة والخاصة فإن الرفق يمن.

فقال قيس : رحمك الله يا أميرالمؤمنين ؟ فقد فهمت ما ذكرت، فأما الجند فاني ادعه لك، فإذا احتجت اليهم كانوا قريباً منك، وإن اردت بعثتهم إلى وجه من وجوهك كان لك عدة، ولكني اسير إلى مصر بنفسي وأهل بيتي، واما ما أوصيتني به من الرفق والاحسان فالله تعالى هو المستعان على ذلك. فخرج قيس في سبعة نفر من اهله حتى دخل مصر مستهل ربيع الاول فصعد المنبر فجلس عليه خطيباً فحمد الله واثنى عليه وقال : الحمد لله الذي جاء بالحق. وامات الباطل، وكبت الظالمين،- أيها الناس انا بايعنا خير من نعلم بعد نبينا محمد صلى الله عليه وآله فقوموا فبايعوا على كتاب الله وسنة رسوله، فإن نحن لم نعلم لكم بذلك فلابيعة لنا عليكم.

فقام الناس فبايعوا واستقامت مصر واعمالها لقيس وبعث عليها عماله إلا ان قرية منها يقال لها : خربتا قد اعظم اهلها قتل عثمان وبها رجل من بني كنانة يقال له يزيد ابن الحارث فبعث إلى قيس انا نأتيك فابعث عمالك فالارض ارضك ولكن أقرنا على حالنا حتى تنظر إلى مايصير امر الناس. ووثب محمد ابن مسلم بن مخلد بن صامت الانصاري فنعى عثمان ودعى إلى الطلب بدمه، فأرسل إليه قيس : ويحك أعلي تثب ؟! والله ما احب ان لي ملك الشام ومصر واني قتلتك فاحقن دمك. فارسل إليه محمد بن سلمة انى كاف عنك ما دمت انت والي مصر، وكان قيس له حزم ورأي[١١٤] .

وفى حرب صفين، عندما عبأ أميرالمؤمنين عليه السلام الجيش وعقد الألوية اخرج لواء رسول الله صلى الله عليه وآله ولم ير ذلك اللواء منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله فعقده، ودعا قيس بن سعد بن عبادة فدفعه إليه، واجتمعت الانصار واهل بدر فلما نظروا إلى لواء رسول الله صلى الله عليه وآله بكوا، فانشأ قيس يقول :

هذا اللواء الذي كنا نحـــف به — مع النبي وجبريل لـــنا مـــدد

ما ضر من كانت الانصار عيبته — ان لا يكون له من غيرهم أحد

قوم إذا حاربوا طالت اكفـــهم — بالمشرفية حتى يفتـــــح البلد

وكان قيس يتحين الفرصة لكي يجهز على معاوية، وكان الاخير- لخوفه من المواجهة- قد احتاط للامر، فكلف جماعة ان يتشبهوا به في زيه لكي يضيع بينهم.. وفعلا فقد ضرب قيسر بالسيف اثنين من المشابهين لمعاوية.

---

114 / (١) الغدير ٢/ ٧١ نقلا عن الطبري.

هذا هو قيس في الحرب!!

أما قيس في امتحان الولاية والعزل، فكان كقيس الثابت في الحرب، ذلك أن من الناس- ليت يرى القائد عظيماً، ويتمسك به بمقدار ما يعطيه هذا القائد من ولايات، ويرقيه في درجات المناصب، فإذا غيره أو عزله أو نقله إلى مكان آخر، فإنه يغضب، ويسقط كل (موجبات) العدالة لدى هذا القائد، والفرق بين الحالتين فقط هو العزل أو التغيير، وبدهش المراقب حين ينظر إلى تصريحات الشخص قبل وبعد العزل أو التغيير فأمس كان (يسبح بحمده ويقدس له) واليوم (لا يبقي عليه سترا)!!

وهذا هو حال المصلحيين الذين يدورون مع ذواقم، ويطوفون حول كعبة انفسهم. بينما رجال المبادىء والمواقف، يرون انفسهم (خداماً) للأمة والدين فيبذلون جهدهم بالتطبيق حين يكونون ولاة، وبالنصيحة حين يعزلون عن الولاية، وتبقى عقيدقم في القائد غير متأثرة بالمشاعر الشخصية.

إن قيساً حين يعين في البداية على مصر يقبل ذلك بطيبة نفس وحين يعزل عنها أو يستدعى منها يتقبل ذلك بهدوء خاطر، بل انه يواجه محاولات استثارته من قبل حسان بن ثابت بوعي كاف ويصده عنه، مهددا إياه بالقتل [١١٥] إن عاد لقدح أمير المؤمنين عليه السلام .

وحين يتأثر البعض من العزل أو التغيير فيصبح سلبياً تجاه المشاركة في الاعمال وجدنا قيساً يتغلب على هذه الحالات النفسية، وحين يطلب منه الإمام ان يتولى اذربيجان فإنه يشد رحله ويذهب اليها والياً، ونظراً لان الإمام يعلم منه الصدق والشجاعة وحسن الرأي والتدبير لذلك استدعاه مرة اخرى قبل ان يخرج لقتال معاوية، قائلا انه سيتأخر عن الخروج لقتاله انتظاراً لقيس، وهذا يعطينا فكرة عن اهمية قيس وقيمته لدى أمير المؤمنين بحيث يعطل الجيش انتظاراً لشخص- حسب رسالته عليه السلام - فقد كتب إليه :

(.. أما بعد فاستعمل عبد الله بن شبيل الاحمسي خليفة لك واقبل الي فإن المسلمين قد اجمع ملأهم وانقادت جماعتهم فعجل الاقبال فاني سأحضر إلى المحلين عند غرة الهلال ان شاء الله وما تأخري إلا لك قضى الله لنا ولك باحسان في امرنا كله) [١١٦].

وكما كان أمير المؤمنين عليه السلام يعرف مترلة صاحبه وتلميذه قيس كان معاوية يعرف خطورة عدوه فقد قال لبعضهم انه يرى ان امداد أمير المؤمنين عليه السلام بمئة الف مقاتل ليس أغيظ على قلبه من وجود قيس بن سعد إلى جانب الإمام [١١٧]. وفعلاً فقد كان شديداً على معاوية بحيث يراه مع عدد من صحبه غماً على قلبه. سعيد بن قيس في همدان- والاشتر في قومه، والمرقال (هاشم بن عتبة) وعدي بن حاتم وقيس بن سعد في الانصار، ويرى اشدهم عليه قيساً بن سعد في جماعته الانصار الذين كانوا (واضعي صيوفهم على عواتقهم يدعون إلى الترال حتى والله جبنوا

115/ الغدير ٢/ ٩٣.

116 / الغدير ٢/ ٧١.

117 / المصدر ٧٣

اصحابي– الكلام لمعاوية– الشجاع والجبان، وحق الله ما أسأل عن فارس من أهل الشام إلا قالوا قتله الانصار..).

وكما كان ثابت الشخصية وعلى قناعة في كل الظروف، في ولايته وفي عزله، وفي سلمه وحربه، مع الرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ، كذلك كان مع الحسن المجتبى عليه السلام .

فبالرغم من انه كان تحت قيادة عبيد الله بن العباس في مقدمة الجيش الذي واجه معاوية، عبيدالله (القائد) خان جيشه، وتسلل ليلاً إلى معسكر معاوية بعد ان وعده مليون درهم، إلا ان قيساً تحمل المسؤولية بشجاعة وصلى بالناس صباحا بعد ان علم بقرار عبيد الله ثم خطب في الناس فذكرهم وشجعهم وثبتهم ثم امرهم بالنهوض إلى القتال.. فخرج إليه بسر بن ارطاة فصاح– مخادعاً الجيش– ويحكم هذا اميركم عندنا قد بايع وامامكم الحسن قد صالح، فعلام تقتلون انفسكم ؟!

فقال لهم قيس بن سعد اختاروا احدى اثنتين : إما القتال مع غير إمام، وإما ان تبايعوا بيعة ضلال.. فقالوا ؟ بل نقاتل بلا إمام، فقاتلوا حتى ردوا أهل الشام إلى مصافهم، فكتب معاوية إلى قيس بن سعد يدعوه ويمنيه، فكتب إليه قيس : لا والله لا تلقاني ابدا إلا بيني وبينك الرمح..

فكتب إليه معاوية حينئذ لما يئس منه :

أما بعد فانك يهودي بن يهودي تشقي نفسك وتقتلها فيما ليس لك فان ظهر احب الفريقين اليك نبذك وغدرك وان ظهر ابغضهم اليك نكل بك وقتلك وقد كان ابوك له اوتر غير قوسه، ورمى غير غرضه، فاكثر الحز وأخطأ المفصل فقتله قومه وادركه يومه فمات بحوران طريداً غريباً.. والسلام.

فرد عليه قيس بن سعد في رسالة :–

أما بعد فانما انت وثن ابن وثن، دخلت في الإسلام كرهاً واقمت فيه فرقاً وخرجت منه طوعاً ولم يجعل الله لك فيه نصيباً، لم يقدم اسلامك ولم يحدث نفاقك ولم تزل حرباً لله ولرسوله، وحزباً من احزاب المشركين وعدواً لنبيه وللمؤمنين من عباده، وذكرت أبي فلعمري ما اوتر الا قوسه ولا رمى إلا غرضه فشغب عليه من لا يشق غباره ولا يبلغ كعبه وزعمت اني يهودي ابن يهودي وقد علمت وعلم الناس اني وابي اعداء الدين الذي خرجت منه وانصار الدين الذي دخلت فيه وصرت إليه. والسلام [118].

وفعلاً فإن قيساً لم يبايع معاوية، وانما قام معاوية إليه من سريره وكان قيس جالساً وأكب على قيس حتى مسح يده على يده وما رفعها قيس له [119] . وكان قد وضع بينهما رمح ليبر بيمينه.

قيس صاحب الرأي :

قيل :

الرأي قبل شجاعة الشجعان	هو أول وهي المحل الثاني
فإذا هما إجتمعا لنفس حرة	بلغت من العلياء كل مكان

118 / شرح نهج البلاغة ١٦/ ٤٣.

119 / مقاتل الطالبيين ٤٧

وقيس تلميذ أمير المؤمنين عليه السلام وواليه على منطقتين من مناطق حكومته كان جامعاً لشجاعة الرأي وصوابه، ولشجاعة السيف. ولهذا عد في التدبير وحسن المكيدة والتخطيط من دهاة العرب، فلا عجب ان ينتظره أمير الؤمنين حتى يصل من مقر عمله اذربيجان حتى ينطلق معه إلى معركة صفين. وأيضاً فقد امر عبد الله بن العباس وهو أمير اثنى عشر الفاً من فرسان العرب، بمشاورة قيس بن سعد، والرجوع إلى رأيه في سياسة الجيش وادارته.

وكان قيس منتبهاً إلى قدرته تلك إلا انه تماماً كمعلمه مربيه أمير المؤمنين الذي قال لولا التقى لكنت ادهى العرب).

فقد كان قيس يقول : لولا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : المكر والخديعة في النار.. لكنت من أمكر هذه الامة، وكان يقول : لولا الإسلام لمكرت مكراً لا تطيقه العرب.

ولذلك كان يزن افعال أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، بل خلص اصحابه، ويقيم تصرفاقم، كما صنع مع مالك الاشتر النخعي، بالرغم من اختصاص مالك بالإمام عليه السلام ، فقد نقل ان مالكاً قال لامير المؤمنين : دعني يا أمير المؤمنين اوقع بمؤلاء الذين يتخلفون عنك!! فقال له الإمام : كف عني!! فانصرف مالك وهو مغضب، فما كان من قيس إلا ان لقي مالكاً فبدأ يعاتبه وينصحه قائلا :

- يا مالك كلما ضاق صدرك بشيء اخرجته ؟! وكلما استبطأت امراً استعجلته ؟ ان اداب الصبر : التسليم، وأدب العجلة : الاناة، وان شر القول : ما ضاهى العيب، وشر الرأي : ماضاهى التهمة، فإذا ابتليت فاسأل وإذا امرت فاطع ولا تسأل قبل البلاء ولا تكلف قبل ان يترل الامر، فإن في انفسنا ما في نفسك فلا تشق على صاحبك..

ولو تأملنا ما جاء في هذه القطعة من ثقافة الاخلاق مع القيادة لوجدناها محيطة بكل ما هوخير.

٢/ المفضل بن عمر الجعفي :

(تعجب الجاهل من العاقل اكثر من تعجب العاقل من الجاهل)[١٢٠] ، وعداؤه له يزداد بمقدار ما يتقدم العاقل في عقله، ويرتكس الجاهل في جهله.

ولذا إذا ساد في المجتمع جهاله فانهم يكونون حرباً حامية على أصحاب الوعي وذوي الكفاءات، بينما إذا تراجع الجهال وغير الواعين عن المراكز القيادية فإن ذلك يعني ان المجتمع قد اصبح على سكة التقدم.

ولا شيء يؤذي الجاهل كما يؤذيه احترام الناس لرجل العلم والوعي، وتقديرهم لهذا الصنف، لانه لا يفهم لماذا يقدرونه مع انه- في نظره- سيء وشاذ التصرفات!! وكلما زاد المرء علماً واطلاعاً، توسعت دائرة اهدافه وطموحاته، وخططه، وهذا يجعله اكثر غرابة أمام جهال الناس وغير الواعين الذين هم عادة (اعداء ما جهلوا) كما عن أمير المؤمنين عليه السلام ، بل كأنما خلق الجهال لمعاداة العارفين والواعين قال الإمام الرضا عليه السلام :

(ثلاثة موكل بها ثلاثة... ومعاداة العوام على أهل المعرفة)[١٢١] .

وبمقدار ما يستأنس العلماء من التفكير والمعرفة والجهاد، ويرون ذلك متعة من اكبر المتع، يرى غير الواعين

120/ ميزان الحكمة ٦/ ٩٨.

121 / ميزان الحكمة ٢- ص ١٥٥

ذلك غريباً، ويستوحشون من طريقة الحياة تلك فـــ(الجاهل يستوحش مما يأنس به الحكيم) كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام .

لذلك فإن التوجيهات الإسلامية بشأن العلاقة بين الطليعة وبين غير الواعين من المجتمع تحتل موقعا عاماً في مجموع الاحاديث، ذلك ان (العدو العاقل خير من الصديق الجاهل) فكيف إذا كان هذا الجاهل عدواً ؟!

تتركز تلك التوجيهات على ان يحرص الإنسان العالم او المثقف على ان لا يكون في محيط الجهل والجاهلين إذا استطاع إلى ذلك سبيلاً إذ ان (أحكم الناس من فر من جهال الناس) كما يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ولعل السبب في كراهة سكنى المناطق البعيدة عن العلم والمعرفة بالنسبة للعالم، عائد إلى ان محيط تلك المناطق بعيد عن الثقافة، فقد اوصى الرسول صلى الله عليه وآله- أمير- المؤمنين عليه السلام : (يا علي لا تسكن الرستاق فإن شيوخهم جهلة وشبانهم عرمة ونسوانهم كشفة والعالم بينهم كالجيفة بين الكلاب)[١٢٢] وإذا اضطر إلى ذلك فأن لا يتأثر بطريقة حياتهم، واخلاقهم، ويترك ما عنده من الهدى لصالح ما لديهم من الغي. ونحن نلاحظ ان الرسول صلى الله عليه وآله يعلل عدم صلاحية الرستاق (تعريب روستا أي المناطق الريفية) بان محيطه محيط جهل وقلة التزام، وان العالم بينهم لا يحترم اطلاقاً.

والأمر الثاني : ان يحاول رفع مستوى هؤلاء الجهال إلى مستوى من الوعي والادراك بحيث يتفهمون خطه في الحياة، وفكره الذي يحمل، فكما ان (الجاهل يميل إلى شكله) فإن الواعي كذلك.

غير ان هذا الامر يحتاج إلى (نفس طويل) وصبر ومداراة و.. تقية أيضاً.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام : (خالطوا الناس بما يعرفون ودعوهم مما ينكرون ولا تحملوهم على انفسكم وعلينا، ان امرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب او نبي مرسل، أو عبد. امتحن الله قلبه للايمان)[١٢٣] . وينقل هذا الحديث أيضاً بنفس النص عن الإمام الصادق عليه السلام .

وينقل أمير المؤمنين كلام رسول الله صلى الله عليه وآله : (انا- معاشر الانبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم).

ويرى الإمام الصادق عليه السلام ان الانتماء الحقيقي لهم، ليس فقط عبر معرفة طريقهم وقبوله وانما اضافة إلى ذلك المحافظة عليه من الانتشار بين الغوغاء من الناس، فقد اوصى عبد الاعلى ان يخبر شيعته : (يا عبد الاعلى ان احتمال امرنا ليس معرفته وقبوله ان احتمال امرنا هو صونه وسترته عمن ليس من اهله فاقرأهم- اتباعه- السلام ورحمة الله وقل لهم : قال لكم رحم الله عبداً استجر مودة الناس إلى نفسه والينا بان يظهر لهم ما يعرفون ويكف عنهم ما ينكرون) [١٢٤] .

---

122 / سفينة البحار ١- ص ٥٢٠.

123 / بحار الانوار ٢- ص ١٨٣.

124 / بحار الانوار ٢/ ٦٩.

ويبدو ان هذا الابتلاء وعدم استيعاب الكثير من الناس للمفاهيم التي يحملها خواص الاصحاب جعلت هؤلاء الاصحاب في معرض الذم والاستنكار من قبل أولئك الناس فقد حصل هذا الامر لجابر الجعفي رضوان الله عليه فقد وفد ذريح المحاربي على الإمام الصادق عليه السلام .. قال : سألت ابا عبد الله عن جابر الجعفي وما روي فلم يجبني، ويظن الراوي ان ذريحاً سأله بجمع، فلم يجب، ثم سأله ثانية، وثالثة، فقال له في الثالثة : يا ذريح دع ذكر جابر فإن السفلة إذا سمعوا بأحاديثه شنعوا [125].

ويدخل يونس بن عبد الرحمن وهو من وكلاء الإمام الرضا عليه السلام ومن أجلة اصحابه فيشكو إلى الإمام ما يلقاه من اصحابه من الوقيعة فيه فقال له الرضا عليه السلام : دارهم فإن عقولهم لا تبلغ [126].

وهكذا كان الحال مع المفضل بن عمر الجعفي الذي كان وكيلاً لابي عبد الله الصادق وابي الحسن الكاظم عليهما السلام، كان قد تعرض لهذا النوع من المشاكل مع بعض الجهال من اتباع الأئمة فترى هؤلاء الجهال ينقمون عليه انه مثلاً يرى عدد الاتباع الحقيقيين والمضحين في الكوفة قليلاً، لذلك يثورون بوجهه..

يروي المفضل انه :

قال أبو عبد الله عليه السلام مرة وأنا معه : يا مفضل كم أصحابك ؟ فقلت : قليل، فلما انصرفت إلى الكوفه أقبلت علي الشيعة فمزقوني كل ممزق : يأكلون لحمي ويشتمون عرضي حتى ان بعضهم استقبلني فوثب في وجهي وبعضهم قعد لي في سكك الكوفة يريد ضربي، ورموني بكل بهتان حتى بلغ ذلك أبا عبد الله عليه السلام فلما رجعت إليه في السنة الثانية كان أول ما استقبلني به بعد تسليمه علي أن قال : يا مفضل ما هذا الذي بلغني ان هؤلاء يقولون لك وفيك ؟ قلت : وما علي من قولهم، قال : " أجل بل ذلك عليهم، أيغضبون بؤس لهم، إنك قلت : إن اصحابك قليل، لا والله ما هم لنا شيعة ولو كانوا شيعة ما غضبوا من قولك وما اشمأزوا منه، لقد وصف الله شيعتنا بغير ما هم عليه، ما شيعة جعفر إلا من كف لسانه وعمل لخالقه ورجا سيده وخاف الله حق خيفته، ويحهم أفيهم من قد صار كالحنايا من كثرة الصلاة، أو قد صار كالتائه من شدة الخوف أو كالضرير من الخشوع، أو كالضني من الصيام، أو كالأخرس من طول الصمت والسكوت، أو هل فيهم من قد أداب ليله من طول القيام وأداب نهاره من الصيام، أو منع نفسه لذات الدنيا ونعيمها خوفاً من الله وشوقاً إلينا- أهل البيت- أنى يكونون لنا شيعة وانهم ليخاصمون عدونا فينا حتى يزيدوهم عداوة وانهم ليهرون هرير الكلب ويطمعون طمع الغراب، وأما إني لولا أنني أتخوف عليهم أن اغريهم بك لأمرتك أن تدخل بيتك وتغلق بابك ثم لا تنظر إليهم ما بقتيت ولكن إن جاؤوك فاقبل منهم، إن الله قد جعلهم حجة على أنفسهم واحتج بهم على غيرهم.

لا تغرنكم الدنيا وما ترون فيها من نعيمها وزهرتها وبهجتها وملكها فإنها لا تصلح لكم، فوالله ما صلحت لأهلها.

125/ المصدر ص ٧٧.

126 / اختيار معرفة الرجال/ ص ٨٨٤

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين [١٢٧].

علماً بأن المفضل كان مؤيداً من قبل الائمه عليه السلام فقد ورد في حقه الكثير من الاحاديث الدالة على فضله وجلالة قدره :

فعن الإمام موسى الكاظم عليه السلام انه قال لما أتاه خبر موت المفضل قال : رحمه الله (كان الوالد بعد الوالد اما انه قد استراح)[١٢٨]. وكلمة الإمام في تشبيهه للمفضل بالوالد في دلالتها على فضله وعظيم قدره كافية.

ويبدو كما قلنا ان المفضل بن عمر كان ينتقد من قبل بعض الاطراف سواء من أصحاب الأئمة أو مخالفيهم فقد اتهمه شريك (وهو من قضاة الدولة وقد دعا عليه الصادق ان يشركه الله بشراك من نار يوم القيامة) بأنه يحدث على الإمام الصادق عليه السلام باحاديث كاذبة منكرة وكذلك حصل في بعض اتباع الأئمة من يحمله الحسد لعظماء الاصحاب على انتقادهم.

فقد سأل الإمام الصادق عليه السلام محمد بن مسلم الثقفي (من اجلة صحابته وعلمائهم) : ماذا تقول في المفضل بن عمر ؟ ا فقال محمد : ما عسيت ان اقول فيه لو رأيت في عنقه صليباً وفي وسطه كستيجاً (زنار يلبسه أهل الكتاب) لعلمت انه على الحق بعد ما سمعتك تقول فيه ما تقول!!

فقال الإمام : رحمه الله.. لكن حجر بن زائدة وعامر بن جذاعة اتياني فشتماه عندي فقلت لهما لا تفعلا فاني اهواه. فلم يقبلا، فسألتهما واخبرتهما ان الكف عن حاجتي فلم يفعلا فلا غفر الله لهما، اما اني لو كرمت عليهما لكرم عليهما من يكرم علي ولقد كان كثير عزة في مودته لها اصدق منهما في مودتهما لي حيث يقول :

لقد علمت بالغيب اني اخونها إذا أنا لم يكرم علي كريمها [١٢٩]

ولهذا السبب، أي بوجود جماعات كانوا يشيعون ضد المفضل السوء، ويبثونه في وسط الاتباع لذلك تحولت المسألة إلى قضية حاضرة، يحاول الكثير ان يسألوا عنها الإمام رأيه إذ ينقل هشام بن احمر : دخلت على أبي عبد الله وانا اريد ان اسأله عن المفضل وهو في ضيعة (بستان) له في يوم شديد الحر والعرق يسيل على صدره فابتدأني بقوله : نعم العبد والله الذي لا إله إلا هو المفضل بن عمر الجعفي[١٣٠] .

وهكذا أيضاً توكيل الإمام الصادق عليه السلام له بعد موت عبد الله بن أبي يعفور، وعدم قبول الإمام الكاظم عليه السلام للأشياء التي كانت تأتي من الكوفة وامر اتباعه بتحويل كل شيء إلى المفضل كما مر.

نعم.. توجد احاديث قادحة وذامة للمفضل تروى، إلا ان اشكال تلك الاحاديث ان بعضها يدخل في سندها

---

127 / تحف العقول : ٣٨٥.

128 / تنقيح المقال ٣/ ٢٣٩.

129 / تنقيح المقال ٣/٢٣٩.

130 / نفس المصدر

رواة يعادون المفضل وأحياناً لا يلتزمون بنهج الأئمة كما تقدم في شريك، ولا شك ان هؤلاء لن يقولوا على المفضل إلا ما ينسجم مع موقفهم منه، والامر الاخر هو ما قدمنا به بداية الحديث ان بعض الاتباع كان يدق ويخفى عليهم فهم مقاصد المفضل وافكاره– تبعاً لانخفاض مستوى وعيهم– لذلك كانوا يتهمونه بما لا يصدقه العقل، وقد ناقش العلامة المامقاني احاديث الذم والقدح الواردة فيه مناقشة جميلة منهيا اياها إلى عدم الحجية وانها لا يمكن ان تخدش المقام الشامخ لهذا الوكيل. كما ان توثيق الشيخ المفيد رضوان الله عليه في الارشاد قائلا : ممن روى النص عن أبي عبد الله عليه السلام على ابنه أبي الحسن موسى من شيوخ أصحاب أبي عبد الله وخاصته وبطانته وثقاته الفقهاء الصالحين رحمهم الله المفضل بن عمر الجعفي، وعد الشيخ الطوسي رحمه الله اياه من الوكلاء المحمودين للائمة [١٣١]، يضعف تلك الروايات القادحة.

٣/ علي بن مهزيار الاهوازي :

من الأفكار المشهورة والتي لا اصل لها.. ان مستقبل المرأ مرهون بماضي عائلته، فاصحاب الصناعات الحقيرة في الرأي أصحاب هذه النظرة يجب ان يبقى ابناؤهم واحفادهم فيها، ولا يحق لهم ان يصبحوا شيئاً ذا بال في المجتمع، وابناء الاسر المشهورة والثرية يجب ان يحتلوا مواقع الصدارة في المجتمع لانهم ابناء تلك الاسر.

لذلك نجد في المجتمع أن الزعامة تصبح دولة بيد ابناء اسرة واحدة فإذا كان الوالد عالماً فإن الولد يصبح عالماً بصورة اوتوماتيكية، حتى مع عدم اهليته، والزعيم والباشا يصبح ابناؤه كذلك باشوات وزعماء.. وليس من حق غيرهم ان يتبوأ هذا المنصب.

ولهذه الفكرة تطبيقات كثيرة، فالحاكم الاموي والذي يرى نفسه في الموقع الطبيعي لانه ابن حاكم قبله يستنكر على زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ان تمنيه نفسه بالخلافه وهو ابن جارية!!

بينما يأتي الإسلام فيرفض هذه الفكرة وتطبيقاتها، كيف لا و(ان اكرمكم عند الله اتقاكم) و(من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) ؟!

إننا نلتقي مع نماذج في تاريخ الإسلام رفعهم سعيهم وجدهم وعصاميتهم إلى درجات عالية بينما بقي اخرون اعتمدوا على سمعة العائلة، أو شرف الاسرة، وكل قدرتهم ان يتأففوا وهم يرقبون تقدم أولئك بغيظ.

يصبح سلمان (الفارسي– المجوسي سابقاً) من أهل البيت عليهم السلام بينما يحجز غيره من العرب الاقحاح والقرشيين اماكنهم في قائمة المنافقين. وهكذا الحال بالنسبة لعلي بن مهزيار الاهوازي ابرز وكلاء الإمام الجواد عليه السلام .

فلو تأملنا المسافة التي قطعها هذا الرجل من كونه ابناً لنصراني يسكن في احدى قرى الاهواز بعيداً من مراكز الاشعاع الفكري الإسلامي. إلى وكيل الإمام الجواد عليه السلام يخاطبه الإمام بأنه (لم ير افضل منه)، هذه المسافة التي قطعها ابن مهزيار مسافة كبيرة، ويوجد فيها عقبات متنوعة. لنأت مع ابن مهزيار من البداية..

كانت البداية ان يسلم ابوه بعد ان كان مسيحياً وعلي لا يزال صغير السن وفي شبابه يهتدي لمذهب أهل

131/ الغيبة ص ٢١٠.

البيت بعد ان اتصل به الحسن بن سعيد الاهوازي واستقطب للانتماء إلى خط الأئمة عليهم السلام ، ويبدو ان ذلك تم في أيام الإمام الرضا عليه السلام . مع انتمائه لهذا الخط اقبل عليه بكل لهفة وقد وجد ضالته فأقبل يستوعب المعارف والعلوم الإسلامية ويرويها عن الإمامين الرضا والجواد عليه السلام ، فقد كتب ثلاثة وثلاثين كتابا.

١/ كتاب الوضوء.

٢/ كتاب الصلاة.

٣/ كتاب الزكاة.

٤/ كتاب الصوم.

٥/ كتاب الحج.

٦/ كتاب الطلاق.

٧/ كتاب الحدود.

٨/ كتاب التفسير.

٩/ كتاب الفضائل.

١٠/ كتاب السمات.

١٠/ كتاب العتق والتدبير.

١١/ كتاب التجارات والإجارات.

١٢/ كتاب المكاسب.

١٣/ كتاب المثالب.

١٤/ كتاب الدعاء.

١٥/ كتاب التجمل والمروءة.

١٦/ كتاب المزار.

١٧/ كتاب الرد على الغلاة.

١٨/ كتاب الوصايا.

١٩/ كتاب المواريث.

٢٠/ كتاب الخمس.

٢١/ كتاب الشهادات.

٢٢/ كتاب فضائل المؤمنين وبرهم.

٢٣/ كتاب الملاحم.

٢٤/ كتاب التقية.

٢٥/ كتاب الصيد والذبائح.

٢٦/ كتاب الزهد.

٢٧/ كتاب الاشربة.

٢٨/ كتاب النذور والايمان والكفارات.

٣٥/ كتاب الحروف.

٣١/ كتاب القائم.

٣٢/ كتاب البشارات والانبياء.

٣٣/ كتاب الخمس.

اهله هذا السعي في تربية نفسه، وادراكه لعلوم أهل البيت وآرائهم إلى مقام الوكالة عنهم، فقام بقيادة اتباعهم بعد ان توفي عبد الله بن جندب البجلي الكوفي وقام مقامه.

وهو إضافة إلى البعد الثقافي الذي جعله يتفوق في عدد كتبه على الرجل الذي استقطبه لمنهج أهل البيت وهو الحسين بن سعيد الذي كان مشهوراً بكثير التصنيف والتأليف، إضافة إلى ذلك فقد كان في بعده العبادي والروحي على درجة عالية فقد كان إذا طلعت الشمس يسجد فلا يرفع رأسه حتى يدعو لألف من اخوانه بمثل ما دعى لنفسه وكان على جبهته اثر السجود مثل ركبة البعير، ونظرة فاحصة إلى كلمات الإمام الجواد عليه السلام في حقه ترينا كيف ان باستطاعة المرء تجاوز ظروف مكانه الذي يعيش فيه، وزمانه، والعائلة التي يتربى في وسطها وان لا شيء يصد المرء عن طلب المعالي والدرجات السامية إذا اراد ذلك مخلصاً لوجه الله. فقد كتب إليه الإمام عليه السلام في رسالة جوابية إليه ببغداد :

– وقد وصل الي كتابك وقد فهمت ما ذكرت فيه وقد ملأتني سروراً فسرك الله وانا أرجو من الكافي الدافع ان تكفى كيد كل كائد إن شاء الله.

وحين يسأل منه التوسيع عليه والتحليل لما في يديه يكتب له الإمام :

وسع الله عليك ولمن سألت التوسعة من أهل بيتك ولك يا علي عندي اكثر من التوسعة وانا اسأل الله ان يصحبك العافية ويقدمك على العافية ويسترك بالعافية إنه سميع الدعاء.

وبالطبع فإن الإمام لا يهادن في تحليل شيء عند أحد ما لم يكن ذلك الشخص اهلاً ومحطاً للثقة، فنحن نجد موقف الإمام الجواد نفسه الحازم تجاه صالح بن محمد الهمداني وقد انفق اموال الحقوق الشرعية فطلب من الإمام ان يحله، فلم يفعل الإمام [١٣٢].

وهكذا حين يرسل الإمام له رسالة عجيبة المحتوى، تتنطع رقبة من يقرؤها سائلاً الله ان يصل إلى مستوى صاحبها، إذ ارسل إليه رسالة جاء فيها ؟ يا علي احسن الله جزاك واسكنك جنته ومنعك من الخزي في الدنيا والاخرة وحشرك معنا يا علي قد بلوتك وخبرتك في النصيحة والطاعة والخدمة والتوفير والقيام بما يجب عليك فلو قلت اني لم ار مثلك رجوت ان اكون صادقاً فجزاك الله جنات الفردوس نزلاً فما خفي علي مقامك ولا خدمتك في الحر والبرد وفي الليل والنهار فاسأل الله إذا جمع الخلائق ان يحبوك برحمة تغبط بها انه سميع الدعاء [١٣٣].

---

[132] / الغيبة /٢١٣

[133]/ تنقيح المقال ٢/ ٣١١

توفي علي بن مهزيار في الأهواز وله قبر معروف هناك.

٤/ السفراء الأربعة للإمام المهدي عجل الله فرجه

تطور نظام الوكالة، حتى تبلور في الصورة التي خرج بها في أيام الغيبة الصغرى للإمام الحجة عجل الله فرجه، وبواسطة هذا النظام ونظرا لوعي جمهور الاتباع بثقافة هذا النظام ومقتضياته، فإن الوكيل شكل في وقته القيادة البارزة والمباشرة بعد ان شاءت كلمة الله سبحانه ان يغيب الإمام عن المسرح الظاهري للقيادة والادارة.

وبالرغم من ان فترة الغيبة الصغرى كانت من الناحية السياسية تعتبر فترة سيئة للغاية ذلك انها وان شهدت ضعفاً في صورة الخلافة واشخاص الخلفاء، إلا انها- وربما لتعويض هذا الضعف- شهدت عنفاً كبيراً جداً على الناس بحيث يصفها بعض المؤرخين : انها كانت غارقة بالدماء، مليئة بالجور.

غير ان وكلاء الإمام رضوان الله عليه، استطاعوا ان يديروا شؤون جمهور الموالين لاهل البيت بشكل رائع، فخلال فترة تسعة وستين عاما، كانت امور اتباع أهل البيت في جوانبها المختلفة تسير إلى خير ما يرام، ولم يستطع اعداء أهل البيت ايجاد خلخلة في هذا النظام فبالرغم من ان عدد الذين ادعوا الوكالة كانوا بالعشرات، وكان بعضهم يملك من امكانات التمويه والاضلال الشيء الكثير إلا ان هؤلاء الوكلاء الاربعة، وعشرات الوكلاء الفرعيين المساعدين الذين كانوا داخل نظامهم القيادي استطاعوا السيطرة الكاملة على الوضع، فطردوا ادعياء الوكالة من وسط الاتباع الموالين.

وسوف نذكر نتفا من حياة هؤلاء الوكلاء العظام، لتكون نموذجاً للوكلاء الصالحين والمخلصين.

١/ (أبو عمرو) عثمان بن سعيد العمري :

نهل من معين ثلاثة من الأئمة (علي الهادي، والحسن العسكري، والإمام الحجة) عليهم السلام . وكانت نفسه مكاناً طيباً لتلك التعاليم فانتجت وكيلاً فوق مستوى الوثاقة-.

كان يمارس دور الوكالة منذ أيام الإمام الهادي عليه السلام وكان يمثله في كل اموره، وقد احال الإمام عليه وكلاءه الاخرين لكي يأخذوا منه، لان كلام العمري هو كلام الإمام كما يقول عليه السلام ، فقد وفد احمد بن اسحاق بن سعد الاشعري القمي وكان وافد القميين، وقم انئذ كانت احدى المراكز المهمة للتشيع واتباع أهل البيت واحمد بن اسحاق كان وكيل الإمام في قم وهو على مستوى عال من المعرفه والوثاقة، وفد على الإمام الهادي (عليه السلام)، فقال له : يا سيدي أنا اشهد واغيب ولا يتهيأ لي الوصول اليك إذا شهدت في كل وقت (لكون الإمام في سامراء).. فقول من نقبل وأمر من نمتثل ؟!

فقال الإمام عليه السلام هذا أبو عمرو الثقة الامين ما قاله لكم فعني يقوله وما أداه فعني يؤديه.

قال احمد بن اسحاق فلما مضى أبو الحسن (الهادي) عليه السلام وصلت إلى ابنه أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام ذات يوم فقلت له مثل قولي لابيه، فقال لي : (هذا أبو عمرو الثقة الامين ثقة الماضي (الهادي) وثقتي في المحيا والممات فما قاله لكم فعني يقوله وما أدى اليكم فعني يؤديه) [١٣٤].

وبالتالي فقد كان منذ أيام الإمام الهادي عليه السلام وكيلاً قائداً، وكان يدير شؤون القواعد في مدينة بغداد،

---

[134]/ الغيبة / ٢١٥

وقد تحول بالتدريج إلى وكيل مركزي عام، كان يفد عليه الاتباع من اماكن اخرى.

ولإخفاء اتصاله بالأئمة عليهم السلام واخفاء اتصال المنتمين به، كان يتخذ تجارة بيع الدهن (السمن) حتى عرف بها فيقال له أحياناً (السمان) أو (الزيات). وذلك ان الاتباع كان ينفذون إليه حوائجهم من مسائل واموال وغيرها، وهو بدوره يقوم (بتعليبها) واخفائها في زقاق السمن، ويوصلها إلى الإمام العسكري عليه السلام .

وزاد الاعتماد على عثمان بن سعيد أيام الإمام العسكري نظراً لقرب غيبة الإمام المنتظر عجل الله فرجه وتحول القيادة إلى الشكل غير المباشر، لذلك كان الإمام العسكري دائم التأكيد عليه فاضافة إلى ممارسته للوكالة تلك الفترة، فقد عينه امام أربعين من كبار شيعته كوكيل عام ونائب عن الإمام، فقد اجتمع اربعون رجلاً من شخصيات الشيعة انئذ إلى الإمام العسكري عليه السلام ، ليسألوه عن خليفته من بعده، فقال لهم الإمام مبتدئاً : اخبركم بما جئتموني به ؟! قالوا نعم : فقال جئتم تسألوني من الحجة من بعدي! :

قالوا نعم : فإذا غلام كانه قطعة قمر اشبه الناس بابي محمد عليه السلام .

فقال (الإمام العسكري) : هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم اطيعوه ولا تتفرقوا فتهلكوا شي اديانكم ألا وأنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر.

هذا وكان عثمان بن سعيد جالساً مع القوم، فاستطرد الإمام قائلا..

فاقبلوا من عثمان ما يقوله وانتهوا إلى امره واقبلوا قوله فهو خليفة امامكم والامر إليه [١٣٥].

ويشير أيضاً إليه في رسائله إلى وكلائه الاخرين، لكي ينتهوا إلى قوله ويسمعوا منه، ففي كتابه عليه السلام إلى اسحاق النيسابوري اشار إليه ان لا يخرج من المدينة إلأ بعد ان يلتقي بالعمري وان يرتبط معه، خصوصاً وان كل المسائل التي تأتي من الفروع ستصل إليه [١٣٦].

وحين يأتي جماعة من أهل اليمن بقصد الاتصال بالإمام عليه السلام ، يرسل الإمام اليهم عثمان بن سعيد باعتباره مندوباً تام الصلاحية، لرؤية ما لديهم. فعن محمد بن اسماعيل وعلي بن عبد الله الحسنيان قالا : دخلنا على أبي محمد الحسن عليه السلام بسر من رأى وبين يديه جماعة من أوليائه وشيعته حتى دخل على خادمه بدر فقال : يا مولاي بالباب قوم شعث غبر، فقال : نعم هؤلاء نفر من شيعتنا باليمن.

عندما قال الإمام لبدر : فامض فائتنا بعثمان بن سعيد العمري فما لبثنا إلا يسيراً حتى دخل عثمان، فقال له سيدنا أبو محمد : امض يا عثمان فإنك الوكيل والثقة المأمون على مال الله واقبض من هؤلاء النفر اليمنيين ما حملوه من المال [١٣٧].

توفي رضوان الله عليه بعد خمس سنوات من بداية الغيبة الصغرى، وقد ابنه الإمام الحجة عجل الله فرجه، فقد خرج التوقيع إلى ابنه محمد بن عثمان، من الإمام :

(إنا لله وإنا إليه راجعون، تسليماً لامره ورضاء بقضائه، عاش ابوك سعيداً ومات حميداً فرحمه الله والحقه

---

135 / الغيبة / ٢١٧

136 / اختيار معرفة الرجال ٥٧٥

137 / الغيبة ٢١٦

بأوليائه ومواليه عليه السلام ، فلم يزل مجتهداً في امرهم وساعياً فيما يقربه إلى الله عز وجل واليهم، نضر الله وجهه واقاله عثرته.

.. أجزل الله لك الثواب واحسن لك العزاء، رزيت ورزينا واوحشلك فراقه واوحشنا، فسره الله في منقلبه، كان من كمال سعادته أن رزقه الله تعالى ولداً مثلك يخلفه بعده ويقوم مقامه بأمره ويترحم عليه، واقول الحمد لله فإن الانفس طيبة لمكانك وما جعله الله فيك وعندك اعانك الله وقواك وعضدك ووفقك وكان لك ولياً وحافظاً وراعياً وكافياً..[١٣٨]

٢/ ابوجعفر محمد بن عثمان العمري

حاز على شرف السفارة والوكالة العامة من الإمام المنتظر عجل الله فرجه، في فترة زمنية امتدت نحواً من اربعين عاما، وبذلك فهي اطول فترات السفارة عن الإمام. وقد تم تعيينه وتوفيقه على يد الإمام الحسن العسكري عليه السلام ، إذ قال في جواب أبي علي احمد بن اسحاق : العمري (عثمان بن سعيد) وابنه (محمد) ثقتان فما أديا اليك فعني يؤديان وما قالا لك فعني يقولان فاسمع لهما واطعهما فانهما الثقتان المأمونان.

بل ان محمداً كان يتحمل بعض المسؤوليات القيادية المرتبطة بوالده فقد كانت التوقيعات والاوامر تخرج على يد ابيه عثمان، وعلى يده إلى سائر الشيعة، وكان ذلك معروفاً بين الاتباع بحيث لم يختلف الامر على أحد بعد وفاة الأب وتحمل الابن لمسؤولية السفارة إنما (كانت الشيعة مجتمعة على عدالته وثقته وأمانته لما تقدم له من النص عليه بالأمانة والعدالة والأمر بالرجوع إليه في حياة الحسن عليه السلام وبعد موته وفي حياة أبيه عثمان رحمة الله عليه) [١٣٩].

يضاف إليه ان كتاب الإمام الحجة عجل الله فرجه في التعزية بابيه والذي تقدم ذكره كان كتاب تنصيب وتعيين له. وقد خرج إلى الوكلاء (المحليين) توقيعات من الإمام في شأن محمد بن عثمان، تدعيماً لموقفه، وتأكيداً لسفارته، فقد خرج إلى محمد بن ابراهيم بن مهزيار (وكيل في الاهواز) بعد وفاة الاب في شأن الابن : (.. وقاه الله لم يزل ثقتنا في حياة الاب- رضي الله عنه وارضاه ونضر وجهه- يجري عندنا مجراه ويسر مسره وعمن امرنا يأمر الابن، وبه يعمل، تولاه الله، فانته إلى قوله، وعرف معاملتنا ذلك) .

وكان مركزاً إدارته- وكأبيه- في بغداد، ونظر لاتساع رقعة العمل، وتعدد المراجعين فقد انشأ له هيئة تدير الاعمال، ففي بغداد وحدها كان هناك عشرة وكلاء تابعون له من بينهم الحسين بن روح النوبختي، (السفير الثالث) وجعفر ابن احمد بن متيل، والذي كان قد اختص به بحيث (كان في اخر عمره لا يأكل طعاماً إلا ما اصلح في مترل جعفر بن احمد بن متيل وابيه بسبب وقع له)، وعبر هؤلاء كان يدير اعماله المختلفة.

ونظراً لطول فترة سفارته لذلك كثر حديثه فيما يرتبط بالإمام وغيبته، فقد سأله عبد الله بن جعفر

---

[138]/ المصدر ٢١٧

[139] / المصدر ٢٢٠

الحميري وهو وافد القميين، وشيخهم والمفوض من قبلهم، سأله : أرأيت صاحب هذا الامر ؟!فقال : نعم وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام وهو يقول اللهم انجز لي ما وعدتني.. اللهم انتقم لي من اعدائي.

ويؤكد له : والله ان صاحب هذا الامر ليحضر الموسم (الحج) كل سنة فيرى الناس ولا يرونه ويعرفهم ولا يعرفونه [١٤٠].

ولا شك ان لهذه الأحاديث والتأكيدات اكبر الاثر في الحفاظ على الامل في تغيير الواقع الفاسد، وفي تثبيت العقيدة فيما يرتبط بالإمام الغائب عجل الله فرجه ، كل ذلك مع الحفاظ على ما يقتضيه الوضع من تحفظ امني في غاية الصراحة، فبالرغم من شدة الحاح القواعد على رؤية الإمام ومعرفة مكانه واسمه، إلاان ذلك لم يكن مسموحاً به، ليس فقط المكان بل حتى الاسم، فهناك العديد من الأحاديث الناهية عن البحث عن الاسم لان ذلك ان حصل اذيع، وإذا اذيع فقد قدمت خدمة (معلومات) مجانية للسلطة التي كانت تستفيد من أية معلومة تؤدى إلى الإمام المهدي عجل الله فرجه ، لذلك عندما يسأل أحد المؤمنين محمد بن عثمان عن الاسم يقول له : محرم عليكم ان تسألوا عن ذلك، ولا أقول هذا من عندي وليس لي ان احلل واحرم ولكن عنه عليه السلام ، فإن الامرعند السلطان إن أبا محمد (الحسن العسكري) عليه السلام مضى و لم يخلف ولداً وقسم ميراثه واخذه من لا حق له، وصبر على ذلك، وهؤلاء عياله يجولون وليس أحد يجرأ ان يتعرف اليهم او يسألهم شيئاً وإذا وقع الاسم وقع الطلب فاتقوا الله وامسكوا من ذلك (٢). (١- ٢) تاريخ الغيبة الصغرى.

ولقد كان الامر مشدداً في هذه القضية من قبل الإمام عجل الله فرجه فقد خرج إلى محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه، ابتداءً ومن دون مسألة ليخبر الذين يسألون الاسم اما السكوت والجنة واما الكلام والنار، فانهم ان وقفوا على الاسم اذاعوه وان وقفوا علىالمكان دلوا عليه .

وفي أواخر سنين عمره المبارك بدأ يهيء الاتباع لتلقي التوجيهات من السفير الثالث :

٣/ أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي :

فقد وجه أبوجعفر محمد بن علي الاسود بما يحمل من أموال، إلى أبي القاسم بن روح وذلك قبل موت العمري بسنتين، وكنت اطالب أبا القاسم بالقبوض (اوراق القبض) فأمرني أبو جعفر العمري بأن لا اطالبه بالقبوض، وقال كل ما وصل إلى أبي القاسم فقد وصل اليّ. كذلك الحال بالنسبة إلى أبي عبد الله جعفر بن عثمان المدائني، فقد وجهه كذلك إلى أبي القاسم، فترددفي الذهاب إليه، ثم مشى فلمابلغ بعض الطريق عاد إلى أبي جعفر العمري، فقال له العمري غاضباً :- ما الذي جرأك على الرجوع ولِمَ لم تمتثل ما قلته لك ؟! فقال : لم أجده على ما رسمته لي.. فقال له وهو مغضب قم عافاك الله فقد أقمت أبا القاسم الحسين بن روح مقامي ونصبته منصبي فقال له : بأمر الإمام ؟! فقال العمري : قم عافاك الله كما أقول لك.. فلم يكن عنده غير المبادرة إلى أبي القاسم وتسليم ما لديه من أموال وغيرها .

---

[140] / تاريخ الغيبة الصغرى

ونظراً لوجود عدد من كبار أصحاب الإمام، وبعضهم كان من وكلاء العمري،والمقربين إليه، لذلك كان من الضروري ان يتم التأكيد على أبي القاسم الحسين بن روح وخصوصاً ان هؤلاء أو بعضهم (كانوا اخص بالعمري من أبي القاسم بن روح حتى انه كان إذا احتاج إلى حاجة أو إلى سبب ينجزه على يد غيره) وبعضهم كان يرى انه (ان كانت حادثة لا تكون الوصية إلا إلى جعفر بن متيل). ولعله لهذا السبب وجدنا ان اكثر ادعياء السفارة من الكاذبين إنما نشطوا على عهد الحسين بن روح، مثل ابن هلال العبرتائي، والشلمغاني، وابن هلال، لذلك حرص أبو جعفر محمد بن عثمان ان يؤكد وكالة الحسين بن روح قطعاً للطريق على منتهزي الفرص، فقد جمع وجوه الشيعة وشيوخها في بيته قبيل موته، وقال لهم : ان حدث علي حدث الموت فالامر إلى أبي القاسم بن روح النوبختي فقد امرت ان اجعله في موضعي بعدي فارجعوا إليه وعوّلوا في اموركم عليه.

وفي مرة اخرى جمع عدداً اخر من الشيعة منهم أبو علي بن همام وأبو عبدالله بن محمد الكاتب وأبو عبد الله الباقطاني (الذي ادعى الوكالة والسفارة فيما بعد) وأبو سهل اسماعيل بن علي النوبختي وأبو عبد الله بن الوخباء وغيرهم من الوجوه والأكابر فدخلوا على أبي جعفر، فقالوا له : ان حدث امر فمن يكون مكانك ؟! فقال لهم : هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي القائم مقامي والسفير بينكم وبين صاحب الامر والوكيل والثقة الامين فارجعوا إليه في اموركم وعولوا عليه في مهماتكم فبذلك امرت وقد بلغت.

وقد كان يمتلك من اساليب التقية، والتكتيك في استقطاب الخصوم الباع الواسع، وكانت أثار تلك الاساليب تتضح في تقريب الناس إلى منهج أهل البيت، فقد كان الجميع يحب أبا القاسم،فقد روى أبو عبد الله بن غالب قال ما رأيت من هو اعقل من الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح، ولعهدي به يوماً في دار بن يسار وكان له محل عند السيد والمقتدر عظيم وكانت العامة أيضاً تعظمه، وكان أبو القاسم يحضر تقية وخوفاً وعهدي به وقد تناظر اثنان، فزعم واحد ان أبا بكر افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ثم عمر ثم علي، وقال الاخر بل علي افضل من عمر، فزاد الكلام بينهما، فقال أبو القاسم رضي الله عنه الذي اجتمعت عليه الصحابة هو تقديم الصديق ثم بعده الفاروق ثم بعده عثمان ذو النورين ثم علي الوصي واصحاب الحديث على ذلك وهو الصحيح عندنا، فبقي من حضر في المجلس متعجباً من هذا القول وكان العامة الحضور يرفعونه على رؤوسهم وكثر الدعاء له والطعن على من يرميه بالرفض (قال الراوي)، فوقع عليّ الضحك فلم ازل اتصبر وأضع نفسي وأدس كمي في فمي فخشيت ان افتضح فوثبت عن المجلس ونظر الي ففطن بي، فلما حصلت في منزلي، فإذا بالباب يطرق فخرجت مبادراً فإذا بابي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه راكباً بغلته، قد وافاني من المجلس قبل مضيه إلى داره فقال لي : يا أبا عبد الله- ايّدك الله- لم ضحكت ؟! أفأردت ان تهتف بي كأن الذي قلته عندك ليس بحق ؟!

فقلت : كذاك هو عندي. فقال لي : اتق الله أيها الشيخ فإني لا اجعلك في حل، تستعظم هذا القول

مني ؟!

فقلت : يا سيدي رجل يرى بانه صاحب الإمام ووكيله يقول ذلك القول لايتعجب منه وبضحك من قوله هذا ؟!

فقال لي : وحياتك لئن عدت لاهجرنك وودعني وانصرف [١٤١].

وقد مر سابقاً انه لحسن استخدامه لهذه الأساليب كان يدخل عليه عشرة وهم تسعة يعادونه وواحد يشكك فيه، فيخرجون، متأثرين به، تسعة يتقربون إلى الله بمحبته وواحد يشكك، وذلك لانه يعطيهم حسب عقولهم، ويجاريهم في كلامهم، ويمتنع عن ذكر ما يغلظ عليهم فهمه.

هذا وقد كان على مستوى رفيع من الملكات النفسية التي اهلته لان يصبح الوكيل العام للإمام عجل الله فرجه، بحيث لو قرض بالمقاريض وكان الحجة تحت ذيله ما كشفط عن ذيله، كما قال ابوسهل النوبختي عنه.

ويلاحظ ان السفراء وإن كان دورهم الاساسي ان يكونوا قناة بين الإمام وشيعته- إلا الهم كانوا عارفين بالاحكام الاسلامية، بحيث يلبون احتياجات الناس، باجوبة رائعة.

فقد سأل أحد المتكلمين ويسمى (ترك الهروي) أبا القاسم قائلاً : كم بنات رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : اربع.

قال الهروي : ايهن افضل ؟! قال : فاطمة.

قال : لِمَ صارت افضل وكانت اصغرهن سناً واقلهن صحبة لرسول الله صلى الله عليه وآله ؟!

قال : لخصلتين خصها الله بهما تطولاً عليها وتشريفاً واكراماً لها : احداهما الها ورثت رسول الله صلى الله عليه وآله و لم يرث غيرها من ولده، والاخرى ان الله تعالى ابقى نسل رسول الله صلى الله عليه وآله منها و لم يبقه من غيرها، و لم يخصصها بذلك إلا لفضل اخلاص عرفه من نيتها.

(قال الهروي) : فما رأيت احداً تكلم واجاب في هذا الباب باحسن ولا اوجز من جوابه [١٤٢].

امتدت فترة سفارته (٢١) سنة، فقد- ابتدأت بوفاة أبي جعفر العمري عام (٣٠٥) هـ وانتهت بوفاته في سنة ٣٢٦ هـ.

٤/ أبو الحسن علي بن محمد السمري :

تختتم الغيبة الصغرى بسفارته والتي لم تدم إلا دون الثلاث سنوات، فبعد ان اوصى أبو القاسم الحسين بن روح لابي الحسن السمري - بفتح السين والميم- بدأ يتحمل مسؤوليات الوكالة، ويرجع إليه من كان يرجع إلى الحسين ابن روح، فلما قربت منه الوفاة سئل ان يعين وصياً من بعده، فذكر انه لم يؤمر بذلك،

---

141 / الغيبة ٢٣٧

142 / المصدر ١٣٩

وبعدها اخرج الى الناس توقيعاً من الإمام الحجة عجل الله فرجه هذا نصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمري اعظم الله اجر اخوانك فيك فإنك ميت، ما بينك وبين ستة أيام فاجمع امرك، ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلا بإذن الله- تعالى ذكره- وذلك بعد طول الامد وعشوة القلب وامتلاء الارض جوراً، وسيأتي لشيعتي من يدعي المشاهدة الا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهوكذاب مفتر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) [١٤٣].

(إنك لا تهدي من أحببت)

من حياة الوكلاء المنحرفين

ان يوجد في أصحاب أهل البيت، الخلص المؤمنون فهذا طبيعي جداً، إذ الورد لا يتنفس إلا عن عرف الطيب.. لكن لماذا نجد في اصحابهم اشخاصاً سيئين ؟! بل في وكلائهم بعض الخونة ؟!

من الطبيعي تماماً ان نجد في صف أهل البيت سلمان، وابا ذر وجابر بن عبد الله، ومؤمن الطاق، ويونس ، وهشاماً، وابن مهزيار والعمريين.. لان الطيور على اشكالها تقع، وشبيه الشيء منجذب إليه..

ولكن الاستثناء، السؤال.. لماذا نجد ان من بين وكلائهم أو ولاتهم زياداً بن (...) الذي كان والياً للإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وعبيد الله بن العباس والي الإمام الحسن عليه السلام ، وعلياً بن أبي حمزة البطائني والشلمغاني!!

لاشك ان بين عشرات الوكلاء الصادقين الرساليين وعدد من خونة الوكلاء، الذين كانوا لفترة من الزمن يحشرون مع الاصحاب، ويحسبون عليهم، لكنهم لسوء عاقبتهم، أومرض نفوسهم، أو خضوعهم لشيطان الهوى والاغراءات تحولوا الى اعداء، اشد من الاعداء التقليديين.

وسبحان الله، يا لبعد ما بين الحالتين، بين منفذ لأوامر الله، وعزيز عند اولياء الله، وامتداد لائمة الهدى، إلى خادم للطاغية، وعبد إلى اللذة، لمعرفة هذا التحول، وقبل البدء في الحديث عن تلك النماذج المظلمة، لا بد من الحديث عن النقاط التالية :

أولاً : إن مجرد الهدى والتعاليم الاخلاقية ليست كافية لانارة قلب الانسان ما لم يكن هذا القلب مؤهلاً لاستقبال هذا النور..

إن القرآن الكريم- وهو كلام الله سبحانه وتعالى- اكثر تأثيراً واقوى وقعاً من كلمات أهل البيت عليهم السلام، دون شك، لانهم إنما يستقون منه ومع ذلك، فإنه يزيد المؤمنين نوراً وصفاءاً عند استماعه، لان قلوبهم مهيأة لذلك. بينما عندما يسمعه المنافقون والذين في قلوبهم مرض، تراهم يزدادون مرضاً. (وإذا ما انزلت

---

143 / المصدر ٢٤٣

سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايماناً فأما الذين امنوا فزادهم ايماناً وهم يستبشرون * واما الذين في قلوبهم مرض فزادهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون) [١٤٤]. إن القرآن هو نفس القرآن، والايات ذاتها، والارسال نفس الارسال لكن الاشكال هو في اجهزة الاستقبال، فبينما تكون لدى البعض سليمة فعالة، فتستقبل بوضوح وتؤدي دورها، في صورة تصفية وخشوع واخبات إلى الله من قبل البعض وفي صورة معاكسة لدى البعض الاخر.

بين اناس مع القرآن (إذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا * ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا * ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً) [١٤٥].

وآخرون عندما يسمعون آيات القرآن يقولون (.. اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم..) [١٤٦].

هنا لا يمكن ان يلام القرآن لانه لم يؤثر في هذا القسم من الاصحاب غير الصالحين إذ ان تلك الكلمات– تماماً كالقرآن– تملك مقومات التأثير والتغيير،إلا ان المستمع تارة يكون واعياً، واخرى لا يكون، والقلب تارة يكون مزرعة صالحة واخرى ارضاً سبخة.

ثانياً : إن أهل البيت عليهم السلام – مقتدين في ذلك بسيدهم رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا يتعاملون مع ظواهر الاشخاص، وليسو مكلفين بالعمل بغير الظاهر– وان عرفوه– والكثير من هؤلاء الاصحاب كانوا في بداية امرهم صالحين، ومستقيمي الطريقة، ونحن نقول بعصمة أهل البيت عليهم السلام لابعصمة اصحابهم ووكلائهم.

فلو تتبعنا سيرة هؤلاء، لوجدنا انهم في بداية الامر كانوا ملتزمين باوامر ومنهج أهل البيت لكنهم بفعل الشيطان الذي يسول لهم ويملي لهم تراهم يرتدون على ادبارهم (ان الذين كفروا من بعد ما تبين لهم الهدى، الشيطان سول لهم واملى لهم) [١٤٧]. واحياناً اخرى بفعل توفر وسائل الخيانة والانحراف، وقوة شهوات النفس، وقد تعرضنا إلى هذه المسألة في باب (امراض الوكلاء). يضاف إلى ذلك ان بعضهم يحمل في داخله بذرة سيئة، تبقى صغيرة، ومقموعة بفعل اجواء الخير والصلاح التي يعيشها هذا الرجل بقرب أهل البيت وهذه البذرة تبقى كامنة مختفية، فإذا انقطع هذا الانسان عن الاجواء الصالحة المؤثرة، برزت تلك البذرة بالتدريج حتى تصبح شجرة عظيمة وسيطرت على حياته صانعة منه شخصاً غير الشخص السابق.

إن ما سنراه من حياة زياد مثلا، هو ان نقطة ضعف، سيئة كانت في عمق شخصيته استطاع معاوية

---

[144] / التوبة ١٢٤ـ١٢٥

[145]/ الاسراء ١٠٧ـ١٠٩

[146] / الانفال ٣٨

[147] / محمد ٢٥

النفوذ إلى داخله من خلالها كما سيتبين.

ثالثاً :إن العنوان المتقدم (الوكلاء الخونة) مبني على المسامحة في التعبير وإلا ففي هذا المورد، لا تجتمع الصفتان في شخص، ذلك انهم إذا لم يكونوا يقبلون تسمية من يرتكب الاخطاء، ويصر عليها، ويخالف اخلاقهم، لم يكونوا يقبلون ان يتسموا باسمهم.

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله : فلان ينظر إلى حرم جاره وان امكنه مواقعة حرام لم يرع عنه، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : ائتوني به، فقال رجل اخر : يا رسول الله انه من شيعتكم ممن يعتقد بموالاتك وموالاة علي عليه السلام ويتبرأ من اعدائكما!!

فقال الرسول صلى الله عليه وآله : لا تقل من شيعتنا فإنه كذب ان شيعتنا من شيّعنا وتبعنا في اعمالنا.

وعن الإمام الصادق عليه السلام : ليس من شيعتنا من قال بلسانه وخالفنا في اعمالنا وآثارنا.

وعن الإمام الصادق عليه السلام : يا شيعة آل محمد : انه ليس منا من لم يملك نفسه عند الغضب و لم يحسن صحبة من صحبه، ومرافقة من رافقه، ومصالحة من صالحه، ومخالفة من خالفه [١٤٨].

فكيف إذا كانت تلك الصفة اكثر اعتباراً وهي صفة الوكالة عنهم، والتمثيل لهم، ان هؤلاء بمجرد خيانتهم، ينعزلون عن هذا الموقع، وتنتهي صفتهم ، اننا نلتقي مع كلمات من نوع : اجتنبوا مجالسته/ ألجؤوهم إلى ضيق الطريق / اشدخ رأسه بالحجر والى كلمات البراءة واللعنة في حق هؤلاء عند خيانتهم لهذا المنصب، ولا شك ان الاحكام تتبع العناوين، فحين كان هذا الشخص زكياً، واميناً، كان وكيلاً- بشرط وجود تلك الشروط- وحين تنتهي هذه الشروط فانه يسقط تلقائياً عن هذا المنصب.

رابعاً : فإنه ينبغي ان ينظر إلى الصورة العامة، ومن حيث المجموع ذلك الوجود نبتة طفيلية في حديقة غناء، لا يضر مجموع ازهارها إلا إذا زادت الطفيليات عن الحد الاعتيادي.

كذلك فإن وجود عدد محدود من بين مئات الاصحاب الخلص، وبساتين العلم والمعرفة، يبقى امراً طبيعياً، خصوصاً و(انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء).

فلنكن مع هذه النماذج، و(الدمن) فهي وإن ازكمت الانوف رائحة حياتها، إلا انها- بهذه الصورة- ينبغي ان تشكل جرس انذار لكل عامل، وقائد، لكيلا ينتهي إلى ما انتهوا إليه.

ان افتراض (حتمية الاستقامة) لدى هذا الوكيل أو ذاك فكرة ساذجة ذلك ان هؤلاء الذين سنتحدث عنهم، كانوا في بداية امرهم في مستوى جيد من الوعي والاخلاق، إلا انهم غفلوا عن انفسهم ووكلوا اليها، فاردتهم في تلك المهاوي السحيقة.

ا/ زياد بن (...) :

اختلفوا في انه ابن من ؟! ولكنهماتفقوا على انه ابن سمية، إذ لا يعقل ان يكون أحد ابناً لامرأتين!! غير

148/ الحديث وما قبله من ميزان الحكمة/ ج ٥- ص ٢٣٦.

ان اباه قد اختلف فيه، فالمفروض ان امه كانت زوجة لعبيد، إلا ان أبا سفيان كان قد زنى بها، فولدت زيادا وطبقا لقاعدة (الولد للفراش و للعاهر الحجر) فإن زيادا هو ابن عبيد.. وبقي يعرف بهذا حتى ادعاه معاوية، لكي يستقطبه إلى جانبه، اخا له، وابنا لابي سفيان، الذي سبق وان ادعاه لكن الوضع العام لم يكن يسمح له باظهار ذلك.

كان زياد صاحب مواهب ادارية متميزة، وخطابة جيدة، وبرزت اولى مواهبه عندما ارسله الخليفة الثاني إلى اليمن لاصلاح فساد وقع في اليمن، فلما رجع من مهمته خطب عند عمر خطبة لم يسمع مثلها، وأبو سفيان حاضر وعلي أمير المؤمنين وعمرو بن العاص.. فقال عمرو : لله أبو هذا الغلام !! لو كان قرشيا لساق العرب بعصاه، فقال أبو سفيان : انه لقرشي، واني لاعرف الذي وضعه في رحم امه.

فقال أمير المؤمنين : ومن هو ؟! قال أبو سفيان أنا.

فقال الإمام : مهلا يا أبا سفيان، فقال :

أما والله لولا خوف شخص   يراني يا علي من الاعادي

لأظهر امره صخر بن حرب   و لم يخش المقالة في زياد

وقدطالت مجاملتي ثقيـــــفاً   وتركي فيهم ثمر الفؤاد

فقال له عمرو : فهلا تستلحقه ؟! قال : اخاف هذا العير الجالس ان يخرق علي إهابي- عنى به الخليفة الثاني-.

وفي زمن أمير المؤمنين عليه السلام تولى ادارة (فارس والاهواز وكرمان) فضبطها ضبطا جيدا، وجبى اخراجها، واستطاع ان يديرها بشكل جيد. وكان أمير المؤمنين عليه السلام يتابع تصرفاته فيوجهه حينا ويوبخه اخرى، ويرسل إليه- كما لغيره من الولاة- من يراقب أعمالهم ويرفع إليه أحوالهم، لكيلا يخونوا الولاية او يسرقوا من بيت مال المسلمين، خصوصا بعد ان تولى زياد البصرة خليفة لعبد الله بن عباس. فكتب إليه الإمام رسائل توجيهية منها- بعد ان جاء إليه أحد مواليه بأخبار عنه لا تسر :

(.. وقد اخبرني انك تكثر من الالوان المختلفة في الطعام الواحد وتدهن كل يوم فما عليك لو صمت لله اياما وتصدقت ببعضها عندك محتسبا، و اكلت طعامك مرارا قفارا، فإن ذلك شعار الصالحين، افتطمع وانت متمرغ في النعيم تستأثر به على الجار والمسكين والضعيف والفقير والارملة واليتيم، ان يحسب لك اجر المتصدقين ؟!

واخبرني انك تتكلم بكلام الابرار وتعمل عمل الخائنين، فإن كنت تفعل ذلك فنفسك ظلمت وعملك احبطت فتب إلى ربك يصلح لك عملك، واقتصد في امرك وقدم إلى ربك الفضل ليوم حاجتك، وادهن غبا فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : " ادّهنوا غبا ولا تدهنوا رفها ".

ويقول في رسالة اخرى مهددا : واني اقسم بالله قسما صادقا لئن بلغني انك خنت من فيء المسلمين شيئا

صغيرا أوكبيرا لاشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر ضئيل الأمر) [١٤٩].

وهنا حاول معاوية- والحرب قائمة بينه وبين أمير المؤمنين- ان يستقطب زيادا إلى جانبه لما عرف عنه من تلك الملكات الادارية. فكتب إليه مهددا اياه :

(.. أما بعد فإنه غرتك قلاع تأوي اليها ليلا، كما تأوي الطير إلى وكرها، وايم الله لولا انتظاري بك ما الله اعلم به لكان لك مني ما قاله العبد الصالح " **فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون"** . وختم كتابه بشعر من جملته :

تنسى اباك وقد شالت نعامته   إذ يخطب الناس والوالي لهم عمر

فلما وصل كتاب معاوية إلى زياد غضب، وخطب في الناس قائلا :

(العجب من ابن آكلة الاكباد ورأس النفاق! يهددني وبيني وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وزوج سيدة نساء العالمين، وأبو السبطين، وصاحب الولاية والمترلة والاخاء في مئة الف من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان! اما والله لو تخطى هؤلاء اجمعين الي لوجدني احمر مخشا ضرابا بالسيف، ثم كتب إلى علي عليه السلام وبعث بكتاب معاوية في كتابه.

فكتب إليه الإمام علي عليه السلام وبعث بكتابه :

(أما بعد، فإني قد وليتك ما وليتك وانا أراك لذلك اهلا، وانه قد كانت من أبي سفيان فلتة في ايام عمر من اماني التيه وكذب النفس، لم تستوجب بها ميراثا، ولم تستحق بها نسبا، وان معاوية كالشيطان الرجيم يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، فاحذره، ثم احذره، ثم احذره، و السلام) [١٥٠].

وهكذا اشتعل أوار التحدي بين زياد وبين معاوية، ولم يكن التهديد بالنسبة لزياد سلاحا ناجحا، لذلك كانت الرسائل المتبادلة بمثابة اعلان حرب من كل طرف على الاخر، فبعد الرسالة السابقة ورد زياد في خطابه عليها، ارسل معاوية رسالة اخرى إلى زياد جاء فيها :

من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن عبيد ، أما بعد، فإنك عبد قد كفرت النعمة، واستدعيت النقمة، ولقد كان الشكر اولى بك من

الكفر، وان الشجرة لتضرب بعرقها، وتتفرع من اصلها، انك- لا ام لك بل لا اب لك- قد هلكت واهلكت، وظننت انك تخرج من قبضتي، ولا ينالك سلطاني، هيهات! ما كل ذي لب يصيب رأيه، ولا كل ذي رأي ينصح في مشورته، امس عبد واليوم أمير! خطة ما ارتقاها مثلك يابن سمية، وإذا اتاك كتابي هذا فخذ الناس بالطاعة والبيعة، واسرع الاجابة، فإنك ان تفعل فدمك حقنت، ونفسك تداركت، وإلا اختطفتك باضعف ريش،ونلتك بأهون سعي، واقسم قسماً مبروراً ألا اوتى بك إلا في زمّارة، تمشي حافياً من ارض

---

[149] / نهج البلاغة/ الكتاب (٢١).

[150] / شرح نهج البلاغة/ ج ١٦- ص ١٨٢.

فارس إلى الشام حتى اقيمك في السوق، وابيعك عبداً واردك إلى حيث كنت فيه، وخرجت منه. والسلام.

فلما ورد الكتاب على زياد غضب غضباً شديداً وجمع الناس وصعد المنبر، فحمد الله ثم قال : إن ابن آكلة الأكباد، وقاتلة اسد الله، ومظهر الخلاف، ومسر النفاق ورئيس الأحزاب، ومن انفق ماله في اطفاء نور الله، كتب اليّ يرعد ويبرق عن سحابة جفل لا ماء فيها، وعما قليل تصيرها الرياح قزعاً، والذي يدلني على ضعفه تهدده قبل القدرة، افمن اشفاق عليّ تنذر وتعذر! كلا، ولكن ذهب إلى غير مذهب، وقعقع لمن ربي بين صواعق تهامة، كيف ارهبه وبيني وبينه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وابن عمه في مائة الف من المهاجرين والانصار، والله لو اذن لي فيه، أو ندبني إليه، لاريته الكواكب نهاراً، ولأسعطته ماء الخردل. دونه الكلام اليوم، والجمع غداً والمشورة بعد ذلكان شاء الله. ثم نزل.

وكتب إلى معاوية :

أما بعد،فقد وصل اليّ كتابك يا معاوية، وفهمت ما فيه، فوجدتك كالغريق يغطيه الموج فيتشبّث بالطّحلب، ويتعلق بارجل الضفادع، طمعاً في الحياة. إنما يكفر النعم، ويستدعي النقم من حاد الله ورسوله، وسعى في الارض فساداً، فأما سبك لي فلولا حلم ينهاني عنك، وخوفي ان ادعى سفيها، لأثرت لك مخازي لا يغسلها الماء، وأما تعييرك لي بسمية، فان كنت ابن سمية فانت ابن جماعة، واما زعمك انك تختطفني باضعف ريش، وتتناولني باهون سعي، فهل رأيت بازيا يفزعه صغير القنابر، ام هل سمعت بذئب اكله خروف! فامض الان لطيتك، واجتهد جهدك فلست انزل إلا بحيث تكره، ولا اجتهد إلا فيما يسوءك. وستعلم أيّنا الخاضع لصاحبه، الطالع إليه. والسلام.

وفشلت تلك المحاولة إلا ان معاوية عرف بعد حين ان اسلوب التحدي لا ينفع مع زياد، وأن عليه ان يفتش عن نقاط ضعفه ويركز عليها. وفعلاً فقد كانت اهم نقاط الضعف في شخصية زياد :

أ- انه ضال النسب ؟ بلا أب!! وهذه النقطة ثم يركز عليها معاوية في مراسلاته معه، ويزين له ان يدعى لابي سفيان، فيحصل بذلك على (أب) أمام الناس، وينتسب بهذه الطريقة إلى قريش، ويصبح أخاً لحاكم الشام!!

ب- انه يحب الرئاسة و(الشرف والذكر وصعود المنابر) كما قال المغيرة بن شعبة، ففكر معاوية ان يؤمن له هذين الامرين، وبدأ خطته على هذا الاساس.. فمن جهة بدأ يؤكد معاوية في كل رسالة يرسلها اليهعلى اخوة زياد له وانتساب زياد إلى أبي سفيان. وفي نفس الوقت يؤكد له انه سيحتفظ بامرته ورئاسته- وربما زادها- إذا ما جاء إلى جانبه.

من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن أبي سفيان، أما بعد، فإن المرء ربما طرحه الهوى في مطارح العطب، وانك للمرء المضروب به المثل، قاطع الرحم وواصل العدو. وحملك سوء ظنك بي، وبغضك لي، على ان عققت قرابتي، وقطعت رحمي، وبتت نسبي وحرمتي، حتى كأنك لست اخي، وليس صخر بن

حرب اباك وابي، وشتان ما بيني وبينك، اطلب بدم ابن أبي العاص وانت تقاتلني! ولكن ادركك عرق الرخاوة من قبل النساء، فكنت :

كتاركة بيضها بالعراء   وملحفة بيض اخرى جناحا

وقد رأيتان اعطف عليك، ولا اؤاخذك بسوء سعيك، وان اصل رحمك، وابتغي الثواب في امرك، فاعلم أبا المغيرة انك لوخضت البحر في طاعة القوم فتضرب بالسيف حتى ينقطع متنه لما ازددت منهم إلا بعداً، فإن بني عبد شمس ابغض إلى بني هاشم من الشفرة إلى الثور الصريع وقد اوثق للذبح، فارجع- رحمك الله- إلى اصلك، واتصل بقومك، ولا تكن كالوصول بريش غيره، فقد اصبحت، ضال النسب، ولعمري ما فعل بك ذلك إلا اللجاج، فدعه عنك، فقد اصبحت على بينة من امرك، ووضوح من حجتك، فإن احببت جانبي، ووثقت بي، فامرة بامرة، وان كرهت جانبي، و لم تثق بقولي، ففعل جميل لا علي ولا لي، والسلام.

ويلاحظ القارىء كيف تغيرت لهجة الكتاب بشكل كامل عن الكتاب السابق، فبينما كان في السابق زياد بن عبيد، اصبح الان زياد بن أبي سفيان!! فاثبت بنوته لابي سفيان، وبالتالي اخوته لنفسه، وبينما كان سابقاً عبداً، ولا اب له، ولا ام له، وإذا به في الكتاب التالي يعاتبه على العقوق وقطع رحمه حتى كانه ليس اخاه (! !) وليس أبو سفيان صخر بن حرب اباه!!

وبينما كان في الكتاب السابق يهدده بانه سيأخذه بأضعف ريش وبناله بأهون سعي، وانه ان لم يأخذ الناس بالبيعة سوف يأتي به في (زفة) زمارة، يمشي حافياً من فارس إلى الشام، ولا يكتفي بذلك بل سيبيعه عبداً، ويرده إلى اصله!! إذا بكل هذا يتحول، فإذا بمعاوية يرى ان يعطف عليه ويصبح من معلمي الاخلاق (!) فلا يؤاخذه بسوء سعيه، إنما فوق ذلك يقوم بعمل ايجابي فيصل رحمه وليس الغرض لديه إلا ابتغاء الثواب (!!)

واخيراً ولكي يؤكذ ابتغاؤه للثواب فإنه قال له، ان احب التعاون معه فإنه يكافيه على ذلك بالامارة.

وكان هذا الاسلوب هو القشة التي قصمت ظهر البعير وكان زياد ينتظرها (من السماء فجاءت من الارض)، ولذلك فهم كامل الموضوع عندما ارسل إليه كتاباً اخر هو شخص حامل الكتاب وهو المغيرة بن شعبة، ووقع زياد في هذا الشراك الذي ساقه إلى مهلكته فكتب إلى معاوية رداً على كتابه :

أما بعد، فقد وصل كتابك يا معاوية مع المغيرة بن شعبة وفهمت ما فيه، فالحمد لله الذي عرفك الحق، وردك إلى الصلة، ولست ممن يجهل معروفاً، ولا يغفل حسباً، ولو اردت ان اجيبك بما اوجبته الحجة، واحتمله الجواب، لطال الكتاب، وكثر الخطاب، ولكنك ان كنت كتبت كتابك هذا عن عقد صحيح، ونية حسنة، واردت بذلك براً، فستزرع في قلبي مودة وقبولا، وإن كنت إنما اردت مكيدة ومكراً وفساد نية، فإن النفس تأبى ما فيه العطب، ولقد قمت يوم قرأت كتابك مقاماً يعبأ به الخطيب المدره، فتركت من حضر، لا أهل ورد ولا صدر، كالمتحيرين بمهمه ضل بهم الدليل، وانا على امثال ذلك قدير. فاعطاه معاويه جميع ما سأله،

وكتب إليه بخط يده ما وثق به، فدخل إليه الشام، فقربه وادناه، واقره على ولايته، ثم استعمله على العراق [151] وهكذا عاد إلى الصف الاموي وترك انتماءه إلى أهل البيت، وصير كل ما كان في قلبه- سابقاً- من محبة إلى بغض لاصحابهم، وإذا كان لكل فعل ردة فعل تساويه مقداراً وتعاكسه اتجاهاً، فإن ردة فعل زياد كانت اكثر بكثير من فعله، وكأنه أراد بذلك ان يثبت فعلاً انه (اموي) حقيقي، وانه من نطفة سفاح سفيانية.. وقضاياه في التاريخ في التنكيل باتباع أمير المؤمنين عليه السلام مشهورة ومعروفة.

إن نقطة الضعف السيئة في شخصية الانسان تبقى معبر الشيطان وان لم يعالجها نهائياً فانها تتفجر فييوم ما.

٢/ علي بن أبي حمزة البطائني :

تتفاوت مستويات الناس في تلقي النعم، إذ تجد انساناً كلما زادت نعم الله عليه زاد لله شكراً وأمام الناس تواضعاً، وفي نفسه ذلة، وهو بهذا يهيء نفسه لتلقي المزيد من النعم، من دون بطر أو طغيان.

واخر ما ان يحصل على نعمة حتى يطغى، فإذا زادت فقد توازنه، وضيع نفسه، هؤلاء استيعابهم للنعم قليل، وقدرة نفوسهم على التعامل معها ضعيفة. النعمة تطغيهم، والمال يكسر مقاومتهم، لذلك فهم مستعدون في سبيل الاحتفاظ بالمال أو المركز الاجتماعي أو سواه إلى التنازل عن قيمهم، والكذب بل وتأسيس مذهب جديد يضل من ورائه خلق كثير.. كل ذلك في سبيل الحفاظ على ما لديهم أو ما يتوقعون الحصول عليه.

من النوع الأول في الوكلاء كثيرون،ومن النوع الثاني علي بن أبي حمزة واخوانه من مؤسسي مذهب (الواقفة).

بداية زيفه : المال ونهاية امره : النار

كان البطائني وكيلاً للإمام الكاظم عليه السلام في الكوفة، وكان يتولى بناء على ذلك شؤون القواعد الموالية لأهل البيت عليهم السلام من قضايا مالية أو عقائدية أو غيرها. ونظراً لتعدد طول فترات سجن الإمام الكاظم عليه السلام على يد هارون الرشيد لذلك فقد بقيت الاموال لديه فترة طويلة، إلى ان استشهد الإمام الكاظم عليه السلام ودفن في بغداد، وكانت العادة المتبعة ان يسلم كل وكيل ما لديه إلى الإمام التالي.

هنا كان سحر المال والجواري التي كانت لدى البطائني (كزكوات واخماس وهدايا للإمام) اكثر من تأثير كلمات النصيحة ونداءات الضمير، لذلك فكر البطائني في طريقة يستولي بواسطتها على تلك الاموال مع الاحتفاظ بموقعه الاجتماعي بين اتباع الأئمة، الأمر الذي لم يكن ممكناً.. فسول له الشيطان- واعمى قلبه المال- ان يصطنع لنفسه مذهباً جديداً، وادعى ان الإمام الكاظم عليه السلام لم يمت وانه حي وسيخرج في ثورة بعد ثمانية اشهر من (غيبته) كما قال، ومحصلة هذا الكلام كله ان الإمام علي الرضا عليه السلام (ابن الكاظم) لا يحق له ان يتولى شؤون الإمامة، وإن لم يحق له، فلا يجب على البطائني ونظرائه ان يدفعوا له

---

151 / شرح النهج/ ج ١٦- ص ١٨٦.

الحقوق الشرعية المعينة لابيه.

وقد كان لديه (٣٠) الف دينار، اضافة إلى أموال عينية اخرى، فلم يقبل بتسليمها، وجهد في ان (يعوّم) امامة الرضا عليه السلام بين الشيعة تحقيقاً لهدفه إلا انه لم يستطع ذلك وانما (غرق) في بحر طاعة المؤمنين للائمة. فعن احمد بن محمد قال : وقف علي أبو الحسن (الرضا) عليه السلام في بني زريق فقال لي وهو رافع صوته : يا احمد، قلت : لبيك، قال : انه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله جهد الناس في اطفاء نور الله، فأبى الله إلا ان يتم نوره بأمير المؤمنين عليه السلام فلما توفي أبو الحسن (الكاظم) عليه السلام جهد علي بن أبي حمزة واصحابه في اطفاء نور الله فأبى الله إلا ان يتم نوره، وان أهل الحق إذا دخل فيهم داخل سرّوا به وإذا خرج منهم خارج لم يجزعوا عليه، وذلك انهم على يقين من امرهم، وان أهل الباطل إذا دخل فيهم داخل سروا به وإذا خرج منهم خارج جزعوا عليه، وذلك انهم على شك من امرهم انالله جل جلاله يقول : (**فمستقر ومستودع**)[١٥٢] .

وبالرغم من محاولات الإمام واصحابه اعادتهم إلى الجادة إلا انهم كانوا قد قطعوا جسور الرجعة إلى الحق، فحتى لو تبين لهم فإنهم يصرون على باطلهم.

فقد دخل علي بن أبي حمزة البطائني وابن السراج وابن المكاري- وهم قادة الواقفة- على الإمام الرضا عليه السلام فقال له ابن أبي حمزة : ما فعل ابوك ؟!

قال الإمام : مضى موتاً،

قال : مضى موتا ؟!

قال الإمام : نعم.

قال : إلى من عهد ؟!

قال الإمام : إليّ.

قال : فانت إمام مفترض طاعته من الله ؟!

قال الإمام : نعم.

قال ابن السراج وابن المكاري : قد- والله- امكنك من نفسه. (خطاب للبطائني أي كشف الرضا نفسه امامك على انه إمام).

فقال الإمام : ويلك وبما امكنت ؟! اتريد ان آتي بغداد وأقول لهارون أنا إمام مفترض الطاعة ؟! والله ما ذلك عليّ! وانما قلت ذلك لكم عندما بلغني من اختلاف كلمتكم وتشتت امركم، لئلا يصير سركم في يد عدوكم.

قال ابن أبي حمزة : لقد اظهرت شيئاً ما كان يظهره أحد من آبائك ولا يتكلم به!

---

152 / اختيار معرفة الرجال/ ص ٤٤٥

فقال الإمام : بلى والله لقد تكلم به خير آبائي رسول الله صلى الله عليه وآله لما امره الله تعالى ان ينذر عشيرته الاقربين، جمع من أهل بيته اربعين رجلاً وقال لهم : اني رسولي الله اليكم، وكان اشدهم تكذيباً له وتأليباً عليه عمه أبو لهب، فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله ان خدشني خدشاً فلست بنبي فهذا أول ما ابدع لكم من آية النبوة، وانا أقول ان خدشني هارون خدشاً فلست بإمام، فهذا ما ابدع لكم من آية الإمامة.

فقال ابن أبي حمزة : انا روينا عن ابائك ان الإمام لا يلي امره إلا إمام مثله!! (وهو بهذا يريد ان يتوصل إلى عدم امامة الرضا لانه لم يكن مع والده حين جهز في بغداد- ظاهراً-)

فقال الإمام : فأخبرني عن الحسين بن علي عليه السلام كان إماماً أو غير إمام ؟!

قال : كان إماماً.

قال الإمام : فمن ولي امره ؟!

قال : علي بن الحسين.

قال : واين كان علي بن الحسين عليه السلام ؟ قال : كان محبوساً بالكوفة في يد عبيد الله بن زياد خرج وهم لا يعلمون حتى ولي امر ابيه ثم انصرف.

فقال الإمام : ان الذي امكن علي بن الحسين ان يأتي كربلاء فيلي امر ابيه فهو يمكن صاحب هذا الامر ان يأتي بغداد فيلي امر ابيه ثم ينصرف وليس في حبس ولافي اسار.

فقال علي بن أبي حمزة : انا روينا ان الإمام لايمضي حتى يرى عقبه ؟!

فقال الإمام : اما رويتم في الحديث غير هذا ؟!

قال : لا.

فقال الإمام :بلى والله لقد رويتم فيه إلا القائم وانتم لا تدرون معناه و لم قيل.

قال : بلى والله ان هذا لفي الحديث.

فقال الإمام : ويلك كيف اجترأت عليّ بشيء تدع بعضه ؟! ثم اضاف قائلاً : يا شيخ اتق الله ولا تكن من الصادين عن دين الله تعالى[١٥٣] .

إنك ترى ان الإمام اجاب عن جميع اشكالاته وتشكيكاته، ثم نصحه ولكن لا فائدة، لذلك بدأ الإمام واصحابه في فصلهم عن المجتمع التابع لأهل البيت لكيلا يؤثروا في البسطاء، وليكون ذلك عامل ضغط عليهم، فقدقال لأحد اصحابه : يا محمد بن عاصم بلغني انك تجالس الواقفة ؟! قلت نعم جعلت فداك اجالسهم وانا مخالف لهم.

قال : لا تجالسهم فإن الله عز وجل يقول (**وقد نزل عليكم في الكتاب ان إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره، انكم إذاً مثلهم**) يعني بالايات : الاوصياء

---

[153] / المصدر ٤٦٥

الذين كفروا بها الواقفة.

ونتيجة لهذا عزلوا عن الاتباع والموالين حتى سموا بـــ (الكلاب الممطورة)، وحتى ان احاديثهم لم تعد تلقى قبولاً بين الناس، سواء القسم الصادق منها أو الكاذب.

فقد قال علي بن الحسن : ابن أبي حمزة كذاب ملعون، وقد رويت عنه احاديث كثيرة وكتبت تفسير القرآن كله من اوله إلى اخره إلا اني لا استحل ان اروي عنه حديثاً واحداً [154].

وهكذا استمر في حياة الضلال بعد ان خان الامانة وعبد المال إلى ان مات. قال عنه الإمام الرضا عليه السلام انه ذهب إلى النار، فلما سئل الإمام عن ذلك قال سئل عن الأئمة فعدهم واحداً بعد الاخر حتى وصل إلى الكاظم عليه السلام ، فقيل له : فمن بعده، قال لا اعلم بعده إماماً فضرب ضربة على رأسه امتلا قبره منها ناراً.

٣/محمد بن علي الشلمغاني (ابن أبي العزاقر) :

كان يمتلك الكثير مما لو امتلك غيره بعضه لكان به سعيداً، إذا يمتلك العلم الوافر، فقد صنف سبعة عشر كتاباً منها : كتاب التكليف- رسالة إلى ابن همام- كتاب العصمة- كتاب الزاهر بالحجج العقلية- كتاب المباهلة- كتاب الاوصياء- كتاب المعارف- كتاب الايضاح- فضل النطق على الصمت- فضائل العمرتين.. إلى غيرها من الكتب. وكان متقدماً في ما بين الشيعة إلى حدّ ان السفير الثالث أبا القاسم النوبختي وثّقه وعرّفه لبني بسطام فكان يدير شؤونهم نيابة عن أبي القاسم.

ولكنه انتهى إلى نهاية مأساوية، حيث اصبح (يخلط) و(يجدّف) وكما قال النجاشي في رجاله : كان متقدماً في اصحابنا فحمله الحسد لابي القاسم ابن روح على ترك المذهب والدخول في المذاهب الردية حتى خرجت فيه توقيعات فأخذه السلطان وقتله وصلبه.

يبدو أن هذا الرجل إضافة الىما ذكره النجاشي رضوان الله عليه من الحسد الذي اورده تلك المهالك، كان لديه (جوع العظمة) وهي حالة تحدث لدى بعض الناس حيث لا يقنعون بما لديهم من احترام وتكريم- قد لا يحصل لغيرهم- انهم يفتشون عن تقديس اكثر، ولانهم لا يملكون مقومات ذلك التقديس الاضافي لذلك يبدؤون في اصطناع الافكار الخرافية، ليقنعوا بها البسطاء والسذج.

فهم إذا قالوا عن انفسهم علماء.. فإن غيرهم من العلماء كثير، وللعلماء احترام بمقدار معين، وهم يرغبون في اكثر منه.

لكنهم إذا (الّهوا) الأئمة، ثم قالوا انهم طريق هذه الالهة، فإن بسطاء الناس يقدرونهم على هذا الاساس اكثر، انهم إذا أتوا بالافكار الباطلة، والتصورات الخيالية تثبيتاً (لعظمتهم)، فإنهم يحصلون على عدد من السذج يركضون وراءهم.

---

[154] / المصدر ٤٠٤

ابن أبي العزاقر لم يكتف بالمقدار الاعتيادي من الاحترام الذي كان يستحقه امثاله، إنما كان يطمح إلى اكثر منه، لذا بدأ يبث في وسط منطقته وبين بني بسطام ان روح رسول الله صلى الله عليه وآله قد حلت في محمد بن عثمان العمري وان روح أمير المؤمنين عليه السلام قد حلت في الحسين بن روح!!

وفائدة هذه الفكرة له ان من يؤمن بها، يؤمن به كممثل (لروح) أمير المؤمنين عليه السلام ، وباب لها ومتى ما صدقوا ذلك يرتفع بهم إلى القول بان الروح حلت فيه.. وهكذا البسطاء والسذج يقدسون هذا الشخص تقديساً كبيراً- بناءً على هذه الفكرة- من دون تحقيق.

وقد كشف أبو القاسم بن روح هدفه في ترويج هذه الفكرة انه (كفر بالله تعالى والحاد قد احكمه هذا الرجل الملعون في قلوب هؤلاء القوم ليجعله طريقاً إلى ان يقول لهم بأن الله تعالى اتحد به وحل فيه كما يقول النصارى في المسيح عليه السلام .

ولذلك حذر الحسين بن روح جميع الاتباع منه واوصاهم بالحذر من افكاره، ولعنه عدة مرات إلا ان هذا الرجل كان قد استحكم (جنون العظمة) وحب التقدير فينفسه، فكان يؤول لاتباعه كل شيء يصدر ضده، ولنقرأ النص التالي الذي ينقله الشيخ الطوسي في كتابه الغيبة لكي يتم التعرف على طريقة ابن أبي العزاقر ومجمل افكاره :

(اخبرني الحسين بن ابراهيم عن احمد بن نوح عن أبي نصر هبة الله بن محمد بن احمد الكاتب ابن بنت ام كلثوم بنت أبي جعفر العمري- رضي الله عنه- قال حدثتني الكبيرة ام كلثوم بنت أبي جعفر العمري- رضي الله عنه (قال) كان أبو جعفر بن أبي العزاقر وجيهاً عند بني بسطام وذاك ان الشيخ أبا القاسم- رضي الله تعالى عنه وارضاه- كان قد جعل له عند الناس مترلة وجاها فكان عند ارتداده يحكي كل كذب وبلاء وكفر لبني بسطام، ويسنده عن الشيخ أبي القاسم فيقبلونه منه ويأخذونه عنه حتى انكشف ذلك لابي القاسم- رضي الله عنه- فانكره واعظمه ونهى بني بسطام عن كلامه وامرهم بلعنه والبراءة منه فلم ينتهوا واقاموا على توليه وذاك انه كان يقول لهم : انني اذعت السر وقد اخذ علي الكتمان فعوقبت بالابعاد بعد الاختصاص لان الامر عظيم لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن ممتحن، فيؤكد في نفوسهم عظم الامر وجلالته فبلغ ذلك أبا القاسم- رضي الله عنه- فكتب إلى بني بسطام بلعنه والبراءة منه وممن تابعه على قوله، واقام على توليه فلما وصل اليهم اظهروه عليه فبكى بكاءا عظيما، ثم قال ؟ ان لهذا القول باطناً عظيما وهو ان اللعنة الابعاد، فمعنى قوله لعنه الله أي باعده الله عن العذاب والنار، والآن قد عرفت مترلتي ومرغ خديه على التراب وقال : عليكم بالكتمان لهذا الأمر!!

قالت الكبيرة- رضي الله عنها- : وقد كنت اخبرت الشيخ أبا القاسم ان ام أبي جعفر ابن بسطام قالت لي يوما وقد دخلنا اليها فاستقبلتني واعظمتني وزادت في اعظامي حتى انكبت على رجلي تقبلها، فانكرت ذلك وقلت لها : مهلا يا ستي فإن هذا امر عظيم وانكبت على يدها فبكت ثم قالت : كيف لا افعل

بك هذا وانت مولاتي فاطمة فقلت لها وكيف ذاك يا ستي ؟ فقالت لي : ان الشيخ أبا جعفر محمد بن علي خرج الينا بالسر قالت : فقلت لها وما السر ؟ قالت : قد اخذ علينا كتمانه وافزع إن انا اذعته عوقبت، قالت : واعطيتها موثقاً اني لا اكشفه لأحد واعتقدت في نفسي الاستثناء بالشيخ- رضي الله عنه- يعني أبا القاسم الحسين بن روح- قالت : ان الشيخ أبا جعفر قال لنا : ان روح رسول الله صلى الله عليه وآله انتقلت إلى ابيك- يعني أبا جعفر محمد بن عثمان رضي الله عنه- وروح أمير المؤمنين علي عليه السلام انتقلت إلى بدن الشيخ أبا القاسم الحسين ابن روح، وروح مولاتنا فاطمة عليها السلام انتقلت اليك فكيف لا اعظمك يا ستنا، فقلت لها ؟ مهلا لا تفعلي فإن هذا كذب يا ستنا فقالت لي : سر عظيم وقد اخذ علينا اننا لا نكشف هذا لأحد فالله الله في لا يحل لي العذاب، ويا ستي لولا انك حملتيني على كشفه ما كشفته لك ولا لأحد غيرك قالت الكبيرة ام كلثوم- رضي الله عنها- : فلما انصرفت من عندها دخلت إلى الشيخ أبي القاسم بن روح- رضي الله عنه- فاخبرته بالقصة وكان يثق بي ويركن إلى قولي، فقال لي : يا بنية اياك ان تمضي إلى هذه المرأة بعد ما جرى منها ولا تقبلي لها رقعة ان كاتبتك ولا رسولا ان انفذته اليك ولا تلقيها بعد قولها، فهذا كفر بالله تعالى، والحاد قد احكمه هذا الرجل الملعون في قلوب هؤلاء القوم ليجعله طريقا إلى ان يقول لهم بأن الله تعالى اتحد به وحل فيه كما يقول النصارى في المسيح عليه السلام ، ويعدو إلى قول الحلاج لعنه الله، قالت : فهجرت بني بسطام وتركت المضي اليهم و لم اقبل لهم عذرا ولا لقيت امهم بعدها و شاع في بني نوبخت الحديث فلم يبق أحد إلا وتقدم إليه الشيخ أبو القاسم وكاتبه بلعن أبي جعفر الشلمغاني، والبراءة منه وممن يتولاه ورضي بقوله او كلمه فضلا عن موالاته، ثم ظهر التوقيع من صاحب الزمان بلعن أبي جعفر محمد بن علي (الشلمغاني) [١٥٥].

وانتهى امره بعد صدور هذا اللعن بسنوات ان قبض عليه من قبل الحكومة العباسية واعدم الشلمغاني سنة ٣٢٣ هـــ.

١/ توجيهات من القيادة للوكيل

رسالة الإمام العسكري لاسحاق بن اسماعيل النيسابوري

تقدم في الصفحات السابقة الحديث عن ضرورة ان يكون هناك خط اتصال دائم بين القائد وكلائه يتمثل في اطلاع الوكيل للقائد على كل ما يجري في منطقة الوكيل مما له تأثير على سير العمل و حركة المؤمنين، عبر الاسفار او الكتابة المستوعبة، ويتمثل ايضا في ضرورة التوجيه الدائم من قبل القائد لحركة الوكيل. إذ من الممكن ان تؤثر الظروف الضاغطة والمشاكل الموجودة في مسار الوكيل فتغيره أو تقلل من حركته فيه، و قد بينا جانباً من المشاكل والامراض التي يمكن ان تصيب الوكيل في فصل سابق. والرسائل المستمرة من القيادة

[155] / الغيبة ٢٥٠

إلى الوكلاء تساهم مساهمة فعالة في توضيح مسار الاحداث، وفي التخفيف من ضغط المشاكل، وفي نقل الوكيل من عتمة المشاكل إلى نور القيم الحقة.

والرسالة التي بين ايدينا من النصوص المهمة التي تنفعنا في فهم علاقة الإمام (القائد) بالوكيل. فهي تحتوي على نقاط متعددة. منها ما هو نظري يذكر بالعقائد الدينية، ومنها ما هو نقد للواقع غير المطلوب لدى العاملين والاتباع وتوبيخ لهم لعدم العودة إلى ذلك الواقع، وفيها اخيرا مجموعة اوامر ادارية وقيادية فلننظر إلى تلك الرسالة :

حكى بعض الثقات بنيسابور أنه خرج لاسحاق بن اسماعيل من أبي محمد عليه السلام توقيع : يا اسحاق بن اسماعيل سترنا الله واياك بستره، وتولاك في جميع أمورك بصنعه، قد فهمت كتابك يرحمك الله، ونحن بحمد الله ونعمته أهلبيت نرق على موالينا، ونسر بتتابع احسان الله اليهم وفضله لديهم، ونعتد بكل نعمة ينعمها الله عز وجل عليهم.

فأتم الله عليكم بالحق ومن كان مثلك ممن قد رحمه الله، وبصره بصيرتك ونزع عن الباطل و لم يعم في طغيانه نعمه.

فإن تمام النعمة دخولك الجنة، وليس من نعمة وان جل أمرها وعظم خطرها إلا والحمد لله تقدست أسماؤه عليها مؤدى شكرها.

وأنا أقول الحمد لله مثل ما حمد الله به حامد الى أبد الآبدين بما من عليك من نعمة، ونجاك من الهلكة، وسهل سبيلك على العقبة، و ايم الله. أنها لعقبة كؤود شديد أمرها صعب، مسلكها عظيم، بلاؤها طويل، عذابها قديم في الزبر الاولى ذكرها.

ولقد كانت منكم أمور في أيام الماضي عليه السلام إلى أن مضى لسبيله، صلى الله على روحه، وفي أيامي هذه كنتم بها غير محمودي الشأن ولا مسددي التوفيق.

واعلم يقينا يا اسحاق أن من خرج من هذه الحياة أعمى فهو في الاخرة أعمى وأضل سبيلا، انها يا ابن اسماعيل ليس تعمى الابصار لكن تعمى القلوب التي في الصدور، وذلك قول الله عز وجل في محكم كتابه للظالم (**ربي لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا**) قال الله عز وجل (**كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى**) [١٥٦].

وأية آية يا اسحاق أعظم من حجة الله عز وجل على خلقه وأمينه في بلاده وشاهده على عباده، من بعد ما سلف من آبائه الاولين من النبيين وآبائه الآخرين من الوصيين عليهم أجمعين رحمة الله وبركاته.

فأين يتاه بكم وأين تذهبون كالانعام على وجوهكم عن الحق تصدفون، وبالباطل تؤمنون، وبنعمة الله تكفرون، أو تكذبون، ممن يؤمن ببعفى الكتاب ويكفر ببعض، فما جزاء من يفعل ذلك منكم ومن غيركم إلا

---

[156] / طه ١٢٥ ـ ١٢٦

خزي في الحياة الدنيا الفانية، وطول عذاب الآخرة الباقية، وذلك والله الخزي العظيم.

إن الله بفضله ومنه لما فرض عليكم الفرائض لم يفرض عليكم لحاجة منه اليكم، بل برحمة منه لا إله إلا هو عليكم، ليميز الخبيث من الطيب، وليبتلي ما في صدوركم، وليمحص ما في قلوبكم، ولتتسابقون إلى رحمته، وتتفاضل منازلكم في جنته.

ففرض عليكم الحج والعمرة واقام الصلاة وايتاء الزكاة والصوم والولاية، وكفاهم لكم باباً، لتفتحوا أبواب الفرائض، ومفتاحا إلى سبيله، ولولا محمد صلى الله عليه وآله و الاوصياء من بعده : لكنتم حيارى كالبهائم لا تعرفون فرضاً من الفرائض، وهل تدخل قرية إلا من بابها ؟

فلما من عليكم باقامة الاولياء بعدنبيه صلى الله عليه وآله قال الله عز و جل لنبيه (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**) [١٥٧] وفرض عليكم لاوليائه حقوقا أمركم بأدائها اليهم، ليحل لكم ما وراء ظهوركم من أزواجكم وأموالكم ومآكلكم ومشاربكم ومعرفتكم بذلك النماء والبركة والثروة وليعلم من يطيعه منكم بالغيب قال الله عز وجل (**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**) [١٥٨].

واعلموا أن من يبخل فانما يبخل على نفسه، وأن الله هو الغني وأنتم الفقراء إليه، لا إله إلا هو، ولمد طالت المخاطبة فيما بيننا وبينكم فيما هو لكم وعليكم.

ولولا ما يجب من تمام النعمة من الله عز و جل عليكم : لما أريتكم لي خطا ولا سمعتم مني حرفا من بعد الماضي عليه السلام ، أنتم في غفلة عما إليه معادكم، ومن بعد الثاني رسولي وما ناله منكم حين أكرمه الله بمصيره اليكم، ومن بعد اقامتي لكم ابراهيم بن عبده، وفقه الله لمرضاته، وأعانه على طاعته، وكتابي الذي حمله محمد بن موسى النيسابوري، والله المستعان على كل حال.

واني أراكم تفرطون في جنب الله فتكونون من الخاسرين، فبعدا وسحقا لمن رغب عن طاعة الله و لم يقبل مواعظ أوليائه، وقد أمركم الله جل وعلا بطاعته، لا إله إلا هو، وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وبطاعة أولي الامر عليهم السلام ، فرحم الله ضعفكم وقلة صبركم عما أمامكم.

فما أغر الانسان بربه الكريم، واستجاب الله دعائي فيكم وأصلح أموركم على يدي، فقد قال الله جل جلاله (**يوم ندعو كل أناس بامامهم**) [١٥٩] .

وقال جل جلاله (**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونواشهداء على الناس ويكون الرسول عليكم**

---

157 / المائدة ٣

158 / الشورى ٢٣

159 / الاسراء ٧١

شهيدا) [160]. وقال الله جل جلاله (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)** [161].

فما أحب أن يدعو الله جل جلاله بي ولا بمن هو في امامي الا حسب رقتي عليكم، وما انطوي لكم عليه من حب بلوغ الامل في الدارين جميعاً، والكينونة معنا في الدنيا والاخرة.

فقد يا اسحاق يرحمك الله ويرحم من هو وراءك بينت لك بياناً وفسرت لك تفسيراً، وفعلت بكم فعل من لم يفهم هذا الامر قط و لم يدخل فيه طرفة عين، ولو فهمت الصم الصلاب بعض ما في هذا الكتاب لتصدعت قلقاً خوفاً من خشية الله ورجوعاً إلى طاعة الله عز و جل.

فاعملوا من بعدما شئتم، فسيرى الله عملكم و رسوله والمؤمنون ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون والعاقبة للمتقين والحمد لله كثيراً رب العالمين.

وأنت رسولي يا اسحاق إلى ابراهيم بن عبده وفقه الله، أن يعمل بما ورد عليه في كتابي مع محمد بن موسى النيسابوري ان شاءالله، ورسولي إلى نفسك، والى كل من خلفك ببلدك، أن يعملوا بما ورد عليكم في كتابي مع محمد بن موسى ان شاء الله، ويقرأ ابراهيم بن عبده كتابي هذا ومن خلفه ببلده، حتى لا يسألوني، وبطاعة الله يعتصمون، والشيطان بالله عن أنفسهم يجتنبون ولا يطيعون.

وعلى ابراهيم بن عبده سلام الله ورحمته، وعليك يا اسحاق وعلى جميع موالي السلام كثيراً، سددكم الله جميعاً بتوفيقه، وكل من قرأ كتابنا هذا من موالي من أهل بلدك، ومن هو بناحيتك، ونزع عما هو عليه من الانحراف عن الحق : فليؤد حقوقنا إلى ابراهيم بن عبده، وليحمل ذلك ابراهيم بن عبده إلى الرازي رضي الله عنه، أو إلى من يسمي له الرازي، فإن ذلك عن أمري ورأي ان شاء الله.

ويا اسحاق اقرأ كتابنا على البلالي رضي الله عنه، فانه الثقة المأمون العارف بما يجب عليه، واقرأه على المحمودي عافاه الله، فما أحمدنا له لطاعته، فإذا وردت بغداد فاقرأه على الدهقان وكلينا وثقتنا والذي يقبض من موالينا، وكل من أمكنك من موالينا فاقرأهم هذا الكتاب، وينسخه من أراد منهم نسخة ان شاء الله تعالى.

ولا يكتم أمر هذا عمن يشاهده من موالينا، إلا من شيطان مخالف لكم، فلا تنثرن الدر بين أظلاف الخنازير، ولا كرامة لهم، وقد وقعنا في كتابك بالوصول والدعاء لك ولمن شئت، وقد أجبنا شيعتنا عن مسألته والحمد لله فما بعد الحق إلا الضلال.

فلا تخرجن من البلدة حتى تلقى العمري رضي الله عنه برضاي عنه، وتسلم عليه وتعرفه ويعرفك فإنه الطاهر الامين العفيف القريب منا والينا، فكل ما يحمل الينا من شيء من النواحي فاليه المسير آخر عمره، ليوصل ذلك الينا.

---

[160] / البقرة ١٤٣

[161] / آل عمران ١١٠

والحمد لله كثيراً، سترنا الله واياكم يا اسحاق بستره، وتولاك في جميع أمورك بصنعه،والسلام عليك وعلى جميع موالي ورحمة الله وبركاته، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم كثيراً.

١/ الانتماء لخط أهل البيت افضل النعم :

يبدأ الإمام العسكري صلوات الله عليه بتذكير اسحاق النيسابوري بان أهم نعمة يعيش فيها هذا الانسان هي نعمة الانتماء إلى خط الاسلام الصحيح، ومعرفة الصراط المستقيم.

وفي الواقع تبدو هذه القضية على جانب كبير من الاهمية ذلك ان الانسان المؤمن- والوكيل القيادي من باب اولى- يواجه الكثير من الصعوبات، فمن ضغط السلطات المخالفة لهذا المنهج إلى المشاكل والمتاعب المادية والحياتية، والى اخفاقات العمل كل تلك تشكل ضغطاً على هذا الصنف، يدعو بعض افراده إلى تغيير المنطلقات التي يؤمنون بها فيتركون العمل، ولهذا السبب ايضا نجد ان عدد الذين يتركون خط الرسالة بعد ان يتقدموا فيه، عدد غير قليل.

هنا يحتاج الانسان إلى تذكير بالقيم، لاعادة المعادلة المختلة إلى صورتها الطبيعية، هنا يحتاج ان يقال للفـــرد القيادي انت تملك نعمة كبرى، كونك تسير على خط الرسالة، وتشكل امتداداً لحركة الانبياء، وان غيرك مهما ملك لو لم يكن لديه البصيرة والوعي السليم بالحياة فهو لا يملك شيئاً.

- فعن الإمام الباقر عليه السلام : " لا يبلغ احدكم حقيقة الايمان حتى يكون فيه ثلاث خصال : الموت احب إليه من الحياة، والفقر احب إليه من الغنى، والمرض احب إليه من الصحة، فقلنا : ومن يكون كذلك ؟! قال : كلكم.. ايما احب إلى احدكم يموت في حبنا او يعيش في بغضنا ؟! فقلت (الراوي فضيل بن يسار) : نموت والله في حبكم احب الينا، قال : وكذلك الفقر والغنى، والمرض والصحة " .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : " الفقر معنا خير من الغنى مع غيرنا، والقتل معنا خيرمن الحياة مع غيرنا " [١٦٢].

إلا ان هذه النعمة لا يجوز ان تتحول إلى عامل تخدير للانسان بحيث يشعر انه قد امتلك كل شيء فهذا ايضاً غير صحيح. ان هذه النعمة تستدعي نعمة اخرى تتممها وهي الحصولعلى الجنة، وذلك لا يتم إلا بمواصلة السعي واجتناب موارد الهلكة.. والموقف الطبيعي الذي يجب على المؤمن تجاه هذه النعمة الكبيرة ان يكون موقف الحمد لله، ذلك أن الحمد له سبحانه يؤدي شكر هذه النعمة وسواها من النعم مهما عظمت، يقول الإمام في رسالته :

(ونحن- بحمد الله ونعمته- أهل بيت نرق على موالينا، ونسر بتتابع احسان الله اليهم وفضله لديهم، ونعتد بكل نعمة ينعمها الله عز وجل عليهم، فاتم الله عليكم بالحق- ومن كانمثلك ممن قد رحمه الله وبصره بصيرتك ونزع عن الباطل، ولم يعم في طغيانه- نعمه، فان تمام النعمة دخولك الجنة وليس من نعمة وان جل

---

162 / ميزان الحكمة/ ج ٧- ص ٥١٢.

امرها وعظم خطرها إلا والحمد- لله تقدست اسماؤه- عليها مؤدي شكرها، وانا أقول الحمد لله مثل ما حمد الله حامد إلى ابد الابد، بما من عليك من نعمة، ونجاك من الهلكة وسهل سبيلك على العقبة، وايم الله انها لعقبة كؤود، شديد امرها، صعب مسلكها، عظيم بلاؤها، طويل عذابها..).

٢/ الحساسية تجاه الخطأ اسلوب تربوي :

بقدر ما يكون القائد مفرط الحساسيةتجاه الاخطاء والتجاوزات فان هذه الحالة تتجلى في عمومالتجمع التابع له بنسبة او بأخرى. ومتى ما امتلك التجمع حساسية تجاه الاخطاءوالمخطئين فانها تقل في هذا التجمع بنسبة عكسية مع زيادة الحساسية.

إن اسلوب التغاضي عن الخطأ بمقدار ما هو مطلوب في العلاقات الشخصية بين الافراد، ومندوب إليه في التعاليم الاخلاقية فيما يرتبط بالمؤمنين، إلا انه مبغوض عندما يتعلق الامر بمصلحة الاسلام والرسالة. هنا يتغير العنوان ليصبح عنوان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهنا يصبح تقطيب الوجه بوجه فاعل الخطأ، واشعاره بان الجميع يعرف خطأه وان عليه ان يعتذر بتصحيحه.

بين منطق (انه تأوّل فاخطأ) وبالتالي تذهب دماء عدد من المسلمين هدراً، وتداس حدود الله، وبين منطق الرسول الذي تبرأ من أحد القادة العسكريين عندما قتل رجلا واحداً!! وكان ذلك الرجل قد تشهد الشهادتين قبل مقتله بلحظات، وغضب حتى تبين ذلك في وجهه، بين هذين المنطقين يمكن معرفة المجتمع الحي والاخر الميت.

من هنا نجد ان الإمام صلوات الله عليه حين يعاتب النيسابوري ومن يليه وإن كان التاريخ لم ينقل الاعمال التي قام بها هؤلاء حتى استحقوا هذا التوبيخ إلا انه يكون فائق الحساسية تجاه تلك الاخطاء فيعينها، ويدين القائمين بها، ويهدد بانه لولا الواجب الشرعي، ولو اراد ان يجازيهم حسب تلك الاعمال لقاطعهم ولما أراهم خطأ أو كتب لهم كلمة بعد وفاة الإمام الهادي عليه السلام .

وإذا كان هناك من عذر للبعض في اخطائهم بعد معرفة الطريقفانه هنا منتف نظراً لان الله سبحانه لم يهمل عباده و لم يتركهم من دون ولي أو إمام، (واية آية اعظم من حجة الله على خلقه) ؟!

ويؤكد صلوات الله عليه ان نتيجة العمل هي من جنس مقدماته، فإذا قاموا هنا باخطاء فلن يلقوا هناك إلا خطيئات و(**من كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا**). ولننقل بعض الفقرات الدالة على الافكار المتقدمة :

(ولقد كانت منكم في ايام الماضي عليه السلام (يعني الإمام الهادي عليه السلام - إلى ان مضى لسبيله- وفي ايامي هذه كنتم بها غير محمودي الشأن ولا مسددي التوفيق).

(.. ولولا مايجب منتمام النعمة من الله- عزوجل- عليكم : لما اريتكم لي خطا ولا سمعتم مني حرفاً من بعد الماضي عليه السلام ..)

(.. واني اراكم تفرطون في جنب الله فتكونون من الخاسرين فبعداً وسحقاً لمن رغب عن طاعة الله و لم يقبل مواعظ اوليائه وقد امركم الله– جل وعلا– بطاعته لا إله إلا هو، وبطاعة رسوله صلى الله عليه وآله، وبطاعة اولي الامر عليه السلام فرحم الله ضعفكم وقلةصبركم عما امامكم..).

٣/ التوجيه إلى العمل الايجابي :

ينبغي الانتباه في هذه المواقع التي تتطلب العتاب أو التوبيخ ان لا يغلق باب التوجه الايجابي، وان لا يغلب (حس السلب) على الموقف، فيشبع الطرف المقابل يأساً وقنوطاً وردة فعل، إنما يجب ان يكون ذلك مقدمة للعمل الايجابي ولذلك نحن نجد ان الإمام بعد هذه الفقرات يطلب منه ان ينفذ مجموعة اوامر قيادية ترتبط بالعمل وطريقة الاتصال، بعد ان يوجهه ايجابياً إلى التحرك والسعي على قاعدة من اجتناب التقصير.. فاعملوا من بعدما شئتم (**فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فيبئكم بما كنتم تعملون**) والعاقبة للمتقين....

٤/ أوامر قيادية تتصل بالعمل :

سوف نتابع نص الرسالة لنقف على تلك الاوامر، ونتبين خريطتها كالتالي :

* اسحاق النيسابوري مسؤول متابعة عن تنفيذ ابراهيم بن عبده للاوامر الصادرة إليه والمرسلة مع محمد بن موسى النيسابوري. كما انه مسؤول عن متابعة تطبيق تلك التوجيهات في محيطها الاجتماعي إلى أهل بلده من اتباع الإمام عليه السلام .

إن هذا يفيدنا قاعدة في طريقة ادارة العمل، ذلك ان مجرد اصدار الامر لا يعني انجاز العمل، بل لا بد من متابعته بوسائل مختلفة، ومنها تعيين شخص– غير المنفذ– يتابع تنفيذه ويعطي الخبر بذلك.

كما ان العمل بما ورد في تلك الرسالة من الاوامر وبمتابعة اسحاق سوف ينهي– كما سنجد في الرسالة– والى حد بعيد المراجعات التفصيلية والفردية التي تشغل من وقت القيادة الكثير. بينما بهذه الطريقة تتركز القيادات الفرعية، وتسير الاعمال بشكل جيد، ولا يظن في ذلك ان طاعة الوكيل تختلف عن طاعة الإمام ذلك ان الاولى مقدمة الثانية وطريق اليها. لنعد إلى نص الرسالة : (.. وانت رسولي يا اسحاق إلى ابراهيم بن عبده [١٦٣]، وفقه الله، ان يعمل بما ورد عليه في كتابي مع محمد بن موسى النيسابوري ان شاء الله ورسوله إلى نفسك، والى كل من خلفك ببلدك ان يعملوا بما ورد عليكم في كتابي مع محمد بن موسى ان شاء الله، ويقرأ ابراهيم بن عبده كتابي هذا ومن خلفه ببلده، حتى لا يسألوني وبطاعة الله يعتصمون والشيطان– بالله عن

---

[163] / ابراهيم بن عبده : من أصحاب الهادي والعسكري- عليهما السلام-، واعتبره الإمام العسكري ثقته وامينه عند مواليه ففي رسالة كتبها إلى عبد الله بن حمدويه البيهقي : (فقد بعثت لكم ابراهيم بن عبده ليدفع النواحي واهل ناحيتك حقوقي الواجبة عليكم إليه وجعلته ثقتي واميني عندموالي هناك فليتقوا الله وليراقبوا وليؤدوا الحقوق فليس لهم عذر في ترك ذلك ولا تأخيره، ولا اشقاهم الله بعصيان اوليائه..). (عن تنقيح المقال/ ج ا- ص ٢٤).

انفسهم يجتنبون ولا يطيعون..).

*** تحديد القنوات التي تمر بها المسألة المالية :**

نظراً لكون ابراهيم بن عبده قد عين وكيلاً مكان علي بن الحسين بن عبد ربه لذلك فإنه يعتبر (جديداً) على القواعد، ويرغب بعض الناس من (المحتاطين) في ان يصبحوا (ملكيين اكثر من الملك) فهم لا يؤدون الحقوقالمتوجبة عليهم سواء كانت معنوية أو مادية إلا إلى القائد الاساسي أو على الاقل وإذا تنازلوا فإلى الوكيل القديم، لانهم لا يعترفون- حتى الان بالوكيل الجديد- ولذلك يحتاج الوكيل الجديد إلى تدعيم اكبر من قبل القائد والى ان تتغير الثقافة السائدة في علاقة القواعد مع الوكلاء إذ انها ليست علاقة مع شخص بعينه وانما مع شخص يحمل اعتباراً من القيادة، ومتى ما حصل غيره على هذا الاعتبار مكانه فإنه يحصل على نفس الحقوق من الطاعة وغيرها.

لذلك يوجه الإمام عليه السلام النيسابوري إلى توجيه أهل بلده إلى هذا المعنى لكي يؤدي أولئك الاتباع إلى الوكيل الجديد حقوقه، لكي يوصلها بدوره إلى الوكيل العام في تلك المنطقة، احمد بن اسحاق الرازي، او مندوبه.

(.. و على ابراهيم بن عبده سلام الله ورحمته، وعليك يا اسحاق وعلى جميع مواليّ السلام كثيراً، سددكم الله جميعاً توفيقه، وكل من قرأ كتابنا هذا من مواليّ من أهل بلدك ومن هو بناحيتكم، ونزع عما هو عليه من الانحراف عن الحق فليؤد حقوقناالى ابراهيم بن عبده، و ليحمل ذلك ابراهيم بن عبده إلى الرازي رضي الله عنه، او إلى من يسمي له الرازي، فإن ذلك عن امري ورأيي إن شاء الله).

*** متابعة مسيرة الرسالة :**

يبدو ان نيسابور والري وما والاها من المناطق، كانت تستأثر بعدد من الوكلاء العامين أو المحليين، لذلك كان من الضروري ان تمر هذه الرسالة عليهم وان يقرؤوها لكي يعملوا بموجب ما فيها، بل أولئك الافراد الذين يملكون مستوى جيدا في اتباع الأئمة ايضا يمكن ان يقرؤها، ذلك ان الرسالة التي ترتبط بالاوامر التفصيلية للعمل كانت قد وصلت إلى ابراهيم بن عبده مع محمد بن موسى النيسابوري، بينما تتخذ هذه الرسالة الطابع التربوي في اغلب فقراتها، ثم الطابع الاداري العام والتوجيهات القيادية العامة.. ومع ذلك فإن هذا لا يعني ان يطلع عليها من يشاء، فإذا كان شخص ليس في مستوى معانيها فلا يجوزان (ينثر الدر بين اظلاف الخنازير).

من هنا فإن الرسالة كان ينبغي ان تصل إلى بقية الوكلاء :

(ويا اسحاق.. اقرأ كتابنا على البلالي[١٦٤] رضي الله عنه، فإنه الثقة المأمون العارف بما يجب عليه، واقرأه على

---

164 / البلالي : علي بن بلال- على الاكثر- يصفه الإمام بانه ثقةمأمون عارف بواجباته ويصفه الإمام الهادي عليه السلام بعد ان وكل الحسن بن راشد ارسل إليه رسالة جاء فيها : (.. وقد اعلم انك شيخ ناحيتك فاحببت افرادك و اكرامك بالكتاب بذلك فعليك بالطاعة

المحمودي[١٦٥] عافاه الله فما احمدنا لطاعته، فإذا وردت بغداد فاقرأه على الدهقان[١٦٦] وكيلنا وثقتنا والذي يقبض من موالينا، وكل من امكنك من موالينا فاقرأهم هذا الكتاب، وينسخه من أراد منهم نسخةان شاء الله تعالى).

* واخيرا يعرفه بضرورة الاتصال بعثمان بن سعيد العمري الذي كان الوكيل المركزي، و(باب) الإمام، وان لا يخرج حتى يرى العمري ويلتقيه، لان لدى العمري تجتمع المسائل (فلا تخرجن من البلدة حتى تلقى العمري رضي الله عنه برضاي عنه وتسلم عليه وتعرفه ويعرفك فإنه الطاهر الامين العفيف القريب منا والينا فكل ما يحمل الينا شيء من النواحي فاليه المسير اخر عمره ليوصل ذلك الينا).

٢/ تعميم من الوكيل إلى القواعد

رسالة المفضل إلى الشيعة

سوف نلتقي في هذه الصفحات مع نموذج متميز من الوثائق التي ترتبط بإدارة الوكلاء للعمل، وطريقة توجيههم للقواعد الموالية، وسوف نتناول نص رسالة المفضل إلى قواعد أهل البيت عليهم السلام لا في الكوفة لاعتبارين :

الاول : كونها صادرة عن المفضل بن عمر الجعفي والذي سبق ان تناولنا شيئا من سيرته والاقوال الواردة في حقه، وبالتالي فهي تكتسب أهمية من اهمية المفضل نفسه باعتباره الوكيل المفوض لقيادة الاتباع في الكوفة، وبالتالي فلا بد ان يعكس فيها توجيهات الأئمة وخططهم وافكارهم.

الثاني : انها النص الوحيد- في تفصيله- الموجود بأيدينا في هذا الشأن أي توجيه الوكيل لاتباعه، إذ توجد رسائل كثيرة موجهة من الإمام لوكلائه- وتناولنا إحداها- ويوجد أيضا تعميمات من الأئمة لشيعتهم أبرزها الرسالة- التعميم المفصل- الذي وجهه الإمام الصادق لجمهوره، وامرهم بمطالعتها ومدارستها، والنظر فيها اثر كل صلاة، بينما لا نجد رسائل من الوكلاء للقواعد التابعة لهم قياديا.

وسوف نجد في نهاية الفصل بعد استعراض الرسائل على اختلاف انواعها انها تتميز بصفات مشتركة، كونها صادرة من مشكاة رسالية واحدة، أو مستضيئة منها.

والتسليم..). عن مجمع الرجال/ ج ٤-ص١٦٨.

[165] / المحمودي : محمد بن احمد بن حماد المروزي، من أصحاب الإمام عليه السلام بلغ من علاقته ومعرفته بائمته ان الفضل بن هاشم الهروي يروي : ذكرنا كثرة ما يحج المحمودي، فسألته عن مبلغ حجاته فلم يخبرني، وقال : رزقت خيرا كثيرا، و الحمد لله، قلت له : فتحج عن نفسك او عن غيرك ؟! فقال : عن غيري، بعد حجة الاسلام احج عن رسول الله صلى الله عليه وآله واجعل ما جازاني الله عليه لاولياء الله، و اهب ما اثاب على ذلك للمؤمنين والمؤمنات، فقلت ما تقول في حجك ؟ فقال : أقول اللهم اني اهللت لرسولك محمد صلى الله عليه وآله وجعلت جزائي منك ومنه لاوليائك الطاهرين عليه السلام ووهبت ثوابي عنهم لعبادك المؤمنين والمؤمنات بكتابك وسنة نبيك. عن مجمع الرجال/ ج ٥- ١٣٣.

[166] / الدهقان : محمد بن صالح بن محمد الهمداني من ثقاة العسكري ومن وكلاء الحجة عجل الله فرجه / المصدر السابق ٥/ ٢٣٥.

١/ رسالة المفضل :
أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله. اتقوا الله وقولوا قولا معروفا. وابتغوا رضوان الله واخشوا سخطه. وحافظوا على سنة الله ولا تتعدوا حدود الله. وراقبوا الله في جميع اموركم. وارضوا بقضائه فيما لكم وعليكم.
ألا وعليكم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
ألا ومن أحسن اليكم فزيدوه إحسانا واعفوا عمن أساء اليكم. وافعلوا بالناس ما تحبوه أن يفعلوه بكم.
ألا وخالطوهم بأحسن ما تقدرون عليه إنكم أحرى أن لا تجعلوا عليكم سبيلا. عليكم بالفقه في دين الله والورع عن محارمه وحسن الصحابة لمن صحبكم برا كان أو فاجرا.
ألا وعليكم بالورع الشديد، فإن ملاك الدين الورع. صلوا الصلوات لمواقيتها وأدوا الفرائض على حدودها.
ألا ولا تقصروا فيما فرض الله عليكم وبما يرضى عنكم، فإني سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : " تفقهوا في دين الله ولا تكونوا اعرابا،فإنه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة ". وعليكم بالقصد في الغنى والفقر. واستعينوا ببعض الدنيا على الآخرة، فإني سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : " استعينوا ببعض هذه على هذه ولا تكونوا كلا على الناس ". عليكم بالبر بجميع من خالطتموه. وحسن الصنيع إليه.
ألا وإياكم والبغي، فإن أبا عبد الله عليه السلام كان يقول : " إن أسرع الشر عقوبة البغي ". أدوا ما افترض الله عليكم من الصلاة والصوم وسائر فرائض الله و ادوا الزكاة المفروضة إلى أهلها فإن أبا عبد الله عليه السلام قال : " يا مفضل قل لأصحابك : يضعون الزكاة في اهلها واني ضامن لما ذهب لهم ". عليكم بولاية آل محمد صلى الله عليه وآله. أصلحوا ذات بينكم ولا يغتب بعضكم بعضا. تزاوروا وتحابوا وليحسن بعضكم إلى بعض. وتلاقوا وتحدثوا و لا يبطنن بعضكم عن بعض واياكم والتصارم وإياكم والهجران فإني سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (والله لا يفترق رجلان من شيعتنا على الهجران إلا برئت من أحدهما ولعنته واكثر ما أفعل ذلك بكليهما، فقال له معتب [١٦٧] : جعلت فداك هذا الظالم فما بال المظلوم ؟ قال : لأنه لا يدعو أخاه إلى صلته، سمعت أبي وهو يقول : إذا تنازع اثنان من شيعتنا ففارق أحدهما الآخر فليرجع المظلوم إلى صاحبه حتى يقول له : يا اخي انا الظالم حتى ينقطع الهجران فيما بينهما، ان الله تبارك وتعالى حكم عدل يأخذ للمظلوم من الظالم) لا تحقروا ولا تجفوا فقراء شيعة آلمحمد عليه السلام وألطفوهم واعطوهم من الحق الذي جعله الله لهم في أموالكم واحسنوا اليهم. لا تأكلوا الناس بآل محمد، فاني سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : " افترق الناس فينا على ثلاث فرق : فرقة أحبونا انتظار قائمنا ليصيبوا من دنيانا، فقالوا وحفظوا كلامنا وقصروا عن فعلنا، فسيحشرهم الله إلى النار. وفرقة احبونا وسمعوا كلامنا ولم يقصروا عن فعلنا،

---

[167] / . معتب- بضم الميم وفتح العين وتشديد التاء المكسورة- هو مولى أبي عبدالله عليه السلام بل من خواص اصحابه وايضا من أصحاب الإمام السابع عليه السلام ، ثقة وقد روي عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال : موالي عشرة خيرهم معتب

ليستأكلوا الناس بنا فيملأ الله بطونهم نارا يسلط عليهم الجوع والعطش.
وفرقة أحبونا وحفظوا قولنا وأطاعوا امرنا و لم يخالفوا فعلنا فاولئك منا ونحن منهم ولا تدعوا صلة آل محمد عليه السلام من أموالكم : من كان غنيا فبقدر غناه ومن كان فقيرا فبقدر فقره، فمن أراد أن يقضي الله له أهم الحوائج إليه فليصل آل محمد وشيعتهم بأحوج ما يكون إليه من ماله. لا تغضبوا من الحق إذا قيل لكم. ولا تبغضوا أهل الحق إذا صدعوكم به،فإن المؤمن لا يغضب من الحق إذا صدع به . [١٦٨]

لو تأملنا في النص المتقدم نجد ان الفهرس العام له كالتالي :

١/ التذكير بالمنطلقات الدينية الاساسية :

تقوى الله، والسعي إلى رضوان الله واجتناب سخطه ثم التمسك بسنته ومراعاة حدوده، ومراقبته سبحانه في جميع الامور، والرضا بقضائه سواء كان لهم أو عليهم- في الظاهر-.

ونتوقف هنا قليلاً لنبين ضرورة التذكير بالمنطلقات الاساسية لاننا سنلتقي هذه المسألة في عموم الرسائل.

من الواضح ان الناس يتحركون في جهادهم وعملهم من منطلقات شتى، فالبعض منهم يحركه الدين و الآخر يحركه الطموح، وغيرهم يحركه الواقع السياسي السيئ، منهم من يتحرك بدوافع دينية خالصة، ومنهم من يتحرك بدوافع دنيوية بحتة. وكما يحصل هذا الامر في شخصيات متعددة،يحصل احيانا في شخصية واحدة فقد ينطلق من عدة منطلقات بعضها ديني والآخر دنيوي، بنسب مختلفة، بين من يتحرك من منطلق ديني بنسبة ١٠% ودنيوي بنسبة ٢٠%، و.. وهكذا..

فائدة التذكير بالمنطلقات الاسلامية انها لحسم الصراع في نفس الانسان لصالح الخط الذي يذكر به.

إضافة إلى ذلك فإن الإنسان قد ينطلق بدافع معين، إلا ان ظروف الصراع و اغراءات الدنيا، وضغط النفس، و غير ذلك من التحديات تغير هذا المنطلق وتحل مكانه منطلقا جديدا لا ينسجم معسابقه، من هنا فإن الرسائل التي نلاحظ إنها تبدأ بالتذكير والتأكيد على ان المنطلق هو الله سبحانه والهدف السعي إلى رضوانه واجتناب سخطه تجعل الطريق يمر طبيعيا عبر التمسك بسنته ومراعاة حدوده، ومراقبته في جميع الامور والافعال، و اخيرا الرضا بقضاء الله أنى كانت جهة ذلك القضاء وآثاره الخارجية.

٢/ العلاقة الايجابية مع المجتمع :

تبتلى التجمعات (المسيسة) باشكالية الانعزال والانسحاب عن المجتمع الكبير في حالة كونها اقلية، أو الاصطدام والمواجهة في حالة كونها اكثرية او فئة كبيرة، ويبدو ان مجتمع الكوفة في ذلك، وحيث كان اتباع أهل البيت عليهم السلام يشكلون النسبة الغالبة فيه. كانوا يعيشون الحالة الثانية، فكان البعض يحولون موقفهم السياسي من النظام الاموي- والعباسي فيما بعد- والذي يتمثل في شخص الحاكم للكوفة، إلى

---

[168] / تحف العقول/ ٣٨٥.

موقف اجتماعي مضاد لمن لا يسير على منهجأهل البيت عليهم السلام ، فلا يحضرون مجالسهم، ولا يشاركون قي تشييع جنائزهم، وهكذا..

لذلك نجد في وصية المفضل لاتباع الأئمة عليهم السلام ، يتم التركيز على العلاقة الايجابية الفعالة في المجتمع، ففي نفس الوقت الذي يأمر فيه بالامربالمعروف والنهي عن المنكر كأصل ثابت في العلاقة الايجابية مع المجتمع، إلا انه يأمرهم ايضا بحسن المخالطة وان يكون ذلك بأحسن ما يقدرون عليه. وفي هذا الامر اضافة إلى الكسب الاجتماعي لفئات جديدة من الناس، هناك نقطة اخرى هامة هي التحفظ الامني وعدم الانكشاف امام الآخرين، ذلك ان مصاحبة الاخرين والتعامل معهم ابرارا كانوا أو فجارا يمنع (فرز) المؤمنين في المجتمع. وسوف نجد في وصية الإمام الصادق عليه السلام لجمهور اتباعه تفصيلات اكثر في هذا الشأن، بينما في وصية المفضل نلتقي بهذه التوجيهات :

(.. ألا وعليكم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ألا ومن احسن اليكم فزيدوه احسانا واعفوا عمن اساء اليكم وافعلوا بالناس ما تحبون ان يفعلوه بكم، ألا وخالطوهمبأحسن ما تقدرون عليه وانكم احرى انلا تجعلوا عليكم سبيلا..)

٣/ تنمية الشخصية النموذجية :

(.. ألا وعليكم بالورع الشديد، فإن ملاك الدين الورع، صلوا الصلاة لمواقيتها و ادوا الفرائض على حدودها..

ألا ولا تقصروا فيما فرض الله عليكم وبما يرضى عنكم فاني سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (تفقهوا في دين الله ولا تكونوا اعراباً فإنه من لميتفقه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة) وعليكم بالقصد في الغنى والفقر، واستعينوا ببعض الدنيا على الاخرة فاني سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (استعينوا ببعض هذه على هذه ولا تكونوا كلا على الناس).

تهدف هذه الكلمات إلى تقديم النموذج المثالي الذي يكون عليه الفرد التابع لأهل البيت عليهم السلام ذلك ان هناك آثاراً جانبية سيئة للانتماء والعلم، والجهاد ان لم يتم التنبه لها فتكت بصاحبها، إذ يظن البعض ان كونه (محبا) لمحمد وآله صلوات الله عليهم سوف يغنيه عن الورع، او ان كونه مجاهدا يسقط عنه ضرورة المسارعة إلى اداء الصلاة في مواقيتها، والقيام بالفرائض على حدودها.

و اذا كان اشتباه البعض انهم يهتمون بالظاهر والقشر ويهملون الجوهر فإن الاشتباه الآخر هو الاهتمام بالجوهر واهمال الظاهر، فالخشوع في الصلاةوهو جوهر، ملازم لكيفية الصلاة وادائها، فإذا فقدت هذه الكيفية أو تم تجاهلا فإن الجوهر ايضا يتأثر.. لذلك ينبه النص المتقدم إلى ضرورة ان يكون الفرد المنتمي إلى قواعد أهل البيت على درجة عالية من (الورع الشديد) وان يلتزم بمواقيت الصلاة و اداء الفرائض، فلا تشغله اعماله (الجهادية أو غيرها) عن الالتزام باداء الصلاةفي وقتها والمسارعة اليها حين حلوله. ولا يقبل منه

الاعتذار بان تأخيره للصلاة كان بسبب انشغاله بالاعمال، ذلك ان العمل المؤدى في وقت الصلاة يفتقد البركة.

كما و ان تيار الوعي ينبغي ان يكون هو الاقوى في داخل هذا التجمع والتفقه هو العلامة البارزة في افراده.

٤/توجيهات في حفظ الوحدة الداخلية للتجمع :

يهتم المفضل في وصيته لجماهير الموالين لأهل البيت عليهم السلام بتعميق خط الوحدة الداخلية والقضاء على مسببات التصدع الداخلي.

فاصلاح ذات البين، واجتناب الغيبة يؤدي إلى نزع فتيل الخلافاتو الصراعات بين ابناء التجمع الواحد، كما انه يوصي فوق ذلك بضرورة التزاور والتواصل، والانفتاح في الحديث ضمن الحدود المقبولة " اصلحوا ذات بينكم ولا يغتب بعضكم بعضا، تزاوروا وتحابوا وليحسن بعضكم إلى بعض وتلاقوا وتحدثوا ولا يبطنن بعضكم عن بعض.. "

٥/ الدعوة إلى العلاقة المبدئية مع أهل البيت عليهم السلام :

يهوى البعض من الناس ان يجعل دينه حسب اتجاه الريح، فإذا مالت يميناً مال كذلك، أو مالت يساراً تياسر، وبالرغم من انالعلاقة مع أهل البيت عليهم السلام هي عادة تجلب الاذى للمنتمي نظراً لكونه في موقع يغضب السلطات إلا انها في مجالات كثيرة تصبح مادة للاستئكال وللارتزاق، ذلك ان من يحمل علوم أهل البيت عليه السلام السلام لا شك انه يحصل على موقع مرموق بين اتباعهم واحياناً بين سائر الناس، لان العلم الصحيح هو ما لديهم عليه السلام ، لذلك يرى بعض الناس ان يلتحق بقافلة اتباعهم دون انيكون معهم مخلصاً لنيته، ودون ان يطبق وصاياهم، و اوامرهم.

لذلك يوصي المفضل قواعد أهل البيت عليهم السلام خصوصاً وهو في الكوفة وهي عاصمة هؤلاء الاتباع، وحيث لا يتميز من ينتمي لهم لأجل الله، ممن ينتمي لأجلاجاه، بان لا يستأكلوا باسم آل محمد صلوات الله عليهم، وان يقوا علاقتهم بهم ضمن اطار القيم والمبادىء لا تأكلوا الناس بآل محمد،فإني سمعت أبا عبد الله عليه السلام ، يقول : " افترق الناس فينا على ثلاث فرق : فرقة احبونا انتظار قائمنا ليصيبوا من دنيانا، فقالوا وحفظوا كلامنا وقصروا عن فعلنا فسيحشرهم الله إلى النار، وفرقة احبونا وسمعوا كلامنا و لم يقصروا عن فعلنا ليستأكلوا الناسبنا فيملأ الله بطونهم ناراً يسلط عليهم الجوع والعطش، وفرقة احبونا وحفظوا قولنا واطاعوا امرنا و لم يخالفوا فعلنا فأولئك منا ونحن منهم "، فهو يقسم انواع الانتماء، والمنتمين إلى ثلاثةانواع :

– فئة من الناس تنتظر ان تحصل على الغنيمة عندما يقوم الثائرون من أهل البيت، فهم مع الشعار الثوري الذي يطرحه أهل البيت، ومع الثقافة والافكار الصادرة عنهم، لكنهم غير ملتزمين بها عملياً،

ومقصرين عن الفعل وان حفظوا القول، إلا انهميتربصون بالغنيمة وينتمون لاجلها.

– فئة اخرى يعرفون الشعار ويفهمون الثقافة، ويمارسون ايضاً العمل والسلوك على نفس المنهج، ولكنهم في كل ذلك يقصدون الشهرة والسمعة والارتزاق باسم الانتماء إلى أهل البيت، ويريدون اشباع بطونهم عبر هذا الطريق.

– فئة ثالثةملتزمة بمنهج أهل البيت شعاراً وثقافة وسلوكاً ولا غرض لهم إلا التقرب إلى الله، وهؤلاء هم المنتمون الحقيقيون (فأولئك منا ونحن منهم).

تعميم قيادي للقواعد

وصية الإمام الصادق لعموم اتباعه

في بداية خبر هذه الوصية – التعميم – جاءت العبارة التالية :

إن الإمام الصادق عليه السلام كتب بهذه الرسالة إلى اصحابه وامرهم بمدارستها والنظر فيها وتعاهدها والعمل بها فكانوا يضعونها في مساجد بيوتهم فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها[١٦٩].

و لم يرد في سند وصية أخرى – حسب علمنا – مثل هذه التوجيهات، ولعل اختيار فترة ما بعد الصلاة لقراءة هذه الوصية و تدراسها والنظر فيها، يجعلها جزءاً من الاعمال العبادية ويعطيها صفة قداسة تجعل قارئ هذه الوصية يشعر وهو يلتزم بمضامينها وكانه في حالة صلاة دائمة، وطاعة عبادية مستمرة.

يضاف إلى ذلك ما فيها من التركيز على قيمة الجماعة (الناجية) و (العصابة المرحومة ، المفلحة) و (المفضلة على من سواها) حسب تعبيرات هذه الوصية وفيه توجيه إلى أهمية التكتل والانتماء لهذه الجماعة .. ويلاحظ ان مثل هذه الاوسمة والتشريف، ينفع افراد هذا التجمع في مواجهة الظروف السيئة التي يفرضها الواقع الخارجي من ضغط حكومات الجور، أو عداء فئات المجتمع الاخرى، يدعو العناصر المنتمية لادامة عملها الاصلاحي والتغييري.

فلنكن مع الوصية مع (فهرسة) مختصرةلمواضيعها.

١/ في البداية يتحدث الإمام الصادق عليه السلام في البداية عن ضرورة مجاملة أهل الباطل اجتماعياً مع الثبات المبدئي على الحق.

" أما بعد فاسألوا الله ربكم العافية، وعليكم بالدعة والوقار والسكينة، وعليكم بالحياء والتنزه عما تنزه عنه الصالحون قبلكم، وعليكم بمجاملة أهل الباطل تحملوا الضيم منهم، واياكم ومماظتهم، دينوا فيما بينكم وبينهم إذا انتم جالستموهم وخالطتموهم ونازعتموهم الكلام، فإنه لا بد لكم من مجالستهم ومخالطتهم ومنازعتهم الكلام بالتقية التي امركم الله ان تأخذوا بها فيما بينكم وبينهم، فإذا ابتليتم بذلك منهم فانهم

[169] / بحار الانوار ٧٥/ ٢١٠

سيؤذونكم وتعرفون في وجوههم المنكر ولولا ان الله تعالى يدفعهم عنكم لسطوا بكم وما في صدورهم من العداوة والبغضاء اكثر مما يبدون لكم، مجالسكم ومجالسهم واحدة و ارواحكم و ارواحهم مختلفة لا تأتلف، لا تحبونهم ابداً ولا يحبونكم، غير ان الله تعالى اكرمكم بالحق وبصركموه و لم يجعلهم من أهله فتجاملونهم وتصبرون عليهم ولا مجاملة لهم ولا صبر لهم على شيء وحيلهم ووسوا س بعضهم إلى بعض فان اعداء الله اناستطاعوا صدوكم عن الحق، يعصمكم الله من ذلك ".

ويبين فيها انه بالرغم من مجاورة أهل الباطل لاهل الحق إلا ان اختلاف العقائد والمواقف والقلوب يجعل كلا من الطرفين لا يحب الاخر ولا ينسجم معه، ولو استطاع أهل الباطل ان يفتكوا بأهل الحق لفعلوا ذلك الا ان الله سبحانه (يدافع عن الذين امنوا) لذلك لابد من ان يتوسل أهل الحق بتكتيك التقية مع أهل الباطل. ولان أحد اعمدة التقية المحافظة على اللسان وضبطه، لذلك لا بد ان يكف أهل الحق لسانهم إلا من الخير.

فاتقوا الله وكفوا السنتكم إلا من خير واياكم ان تذلقوا ألسنتكم بقول الزور والبهتان والاثم والعدوان، فانكم ان كففتم ألسنتكم عما يكرهه الله مما نهاكم عنه كان خيراً لكم عند ربكم، من ان تذلقوا ألسنتكم به فإن ذلق اللسان فيما يكرهه الله وفيما ينهى عنه مرداة للعبد عند الله ومقت من الله وصمم وبكم وعمي يورثه الله اياه يوم القيامة فتصيروا كما قال الله (**صم بكم عمي فهم لا يعقلون**) يعني لا ينطقون (**ولا يؤذن لهم فيعتذرون**).

٢ / وإذا كان لا بد من (اشغال) اللسان بعمل او تحريكه، فليكن جهة ذلك الأمور العبادية من تهليل أو تسبيح أو تحمد أو دعاء.

" واياكم وما نهاكم الله عنه ان تركبوه وعليكم بالصمت إلا فيما ينفعكم الله به من امر اخرتكم ويأجركم عليه، واكثروا من التهليل والتقديس والتسبيح والثناء على الله والتضرع إليه والرغبة فيما عنده من الخير الذي لا يقدر قدره ولا يبلغ كنهه أحد، فاشغلوا ألسنتكم عما نهى الله عنه من اقاويل الباطل التي تعقب أهلها خلوداً في النار من مات عليها و لم يتب إلى الله و لم يترع عنها وعليكم بالدعاء فإن المسلمين لم يدركوا نجاح الحوائج عند ربهم بأفضل من الدعاء والرغبة إليه والتضرع إلى الله والمسألة له، فارغبوا فيما رغبكم الله فيه واجيبوا الله إلى ما دعاكم إليه لتفلحوا وتنجحوا من عذاب الله، واياكم ان تشره انفسكم إلى شيء مما حرم الله عليكم فإن من انتهك ما حرم الله عليه هاهنا في الدنيا حال الله بينه وبين الجنة ونعيمها و لذاتها وكرامتها القائمة الدائمة لاهل الجنة ابد الابدين "

٣/ ولأنّ للقدوات دوراً مهماً ، فإن من الضروري أن يؤكد هذا التجمع على نموذج العبد الصالح المطيع لله ، وان يقبح نموذج الفرد العاصي ، إذ ان هذا النموذج بما يملك من نعم دينوية من الممكن ان يسحر عيون الناس وان ينسيهم ذكر الله ويوجههم إلى الدنيا ، ألم يقل بعض الناظرين إلى زينة قارون (**يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم**) ؟ . لذلك لا بد من تقبيح النموذج العاصي السيء وطرده، وطرد مثاله من

التجمع المؤمن.

" واعلموا أنه بئس الحظ الخطر لمن خاطر الله بترك طاعة الله و ركوب معصيته، فاختار ان ينتهك محارم الله في لذات دنيا منقطعة زائلة عن اهلها على خلود نعيم في الجنة ولذاها وكرامة اهلها، ويل لأولئك، ما أخيب حظهم وأخسر كرهم، وأسوأ حالهم عند ربهم يوم القيامة، استجيروا الله ان يجيركم مثالهم أبداً، وأن يبتيلكم بما ابتلاهم به، ولا قوة لنا ولكم إلا به "

في المقابل فإن النموذج الحسن و(العصابة الناجية) لا يتحقق إلا بعد معاناة، ذلك ان الصعود في الدرجات، لا بد أن يرافقه الاستعداد لتحمل البلاء والصبر عليه. ولذلك فإن الإمام عليه السلام في هذه الفقرة (يبشر)المؤمنين بأن لن يتم لهم أمرهم الذي بدؤوا فيه حتى يدخل عليهم كما دخل على الصالحين قبلهم من البلاء والأذى، وهو بذلك يصادر التأثير السلبي للبلاء بالتوجيه إلى الصبر، وإلى الاستمرار في المسيرة التي بدأها الأنبياء عليه السلام وأوصيائهم.

" فاتقوا الله أيتها العصابة الناجية أن اتم الله لكم ما أعطاكم به فإنه لا يتم الامر حتىيدخل عليكم مثل الذي دخل على الصالحين قبلكم وحتى تبتلوا في انفسكم واموالكم وحتى تسمعوا من اعداء الله أذى كثيرا فتصبروا وتعركوا بجنوبكم وحتى يستذلوكم ويبغضوكم، وحتى يحملوا عليكم الضيم فتحملوه منهم، تلتمسون بذلك وجه الله والدار الاخرة، وحتى تكظموا الغيظ الشديد في الأذى في الله (جل وعز) يجترمونه إليكم، وحتى يكذبوكم بالحق ويعادوكم فيه، ويبغضوكم عليه، فتصبروا على ذلك منهم، ومصداق ذلك كله في كتاب الله الذي أنزله جبرئيل عليه السلام على نبيكم، سمعتم قول الله عز وجل لنبيكم صلى الله عليه وآله : (**فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم**) ثم قال : وان يكذبوك (**فقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا و أوذوا**) فقد كذب نبي الله والرسل من قبله وأوذوا مع التكذيب بالحق فإن سركم امر الله فيهم الذي خلقهم له في الاصل – اصل الخلق- من الكفر الذي سبق في علم الله ان يخلقهم له في الاصل ، ومن الذين سماهم الله في كتابه في قوله (**وجعلنا منهم ائمة يدعون إلى النار**) فتدبروا هذا واعقلوه ولا تجهلوه ، فانه من يجهل هذا واشباهه مما افترض الله عليه في كتابه مما امر الله به ونهى عنه ترك دين الله وركب معاصيه ، فاستوجب سخط الله فاكبه الله على وجهه في النار"

٤/ ونظراً لان سلامة المنهج الفكري ، تعني سلامة العمل لذلك ينبه الإمام الصادق عليه السلام إلى الاخطاء الشائعة آنئذ في منهج فهم القرآن والتي تؤدي –دون شك- إلى مجانبة العمل به ، فيرى ان العمل بالرأي في مقابل الأحاديث ، أو العمل بالقياس ، باعتبار بروزه كطريقة (اجتهادية) آنئذ ، يرى الإمام ان هذا المنهج لا يؤدي إلى معرفة القرآن .

وكما انه لم يكن في حياة الرسول صلى الله عليه وآله ، من حق أحد من المسلمين ان يعمل برأيه ومقابيسه في مقابل النصوص والايات فكذلك لا يجوز بعد حياة الرسول لاحد من المسلمين ذلك .

ايتها العصابة المرحومة المفلحة ان الله اتم لكم ما اتاكم من الخير ، واعلموا انه ليس من علم الله ولا من امره ان يأخذ من خلق الله في دينه بهوى ورأي ولا مقاييس قد انزل الله القرآن وجعل فيه تبيان كل شيء ، وجعل للقرآن ولتعلم القرآن أهلاً لا يسع أهل القرآن الذين آتاهم الله علمه ان يأخذوا فيه بهوى ولا رأي ولا مقاييس، اغناهم الله عن ذلك بما آتاهم من علمه وخصهم به ووضعه عندهم كرامة من الله اكرمهم بها وهم أهل الذكر الذين امر الله هذه الامة بسؤالهم، وهم الذين من سألهم وقد سبق في علم الله ان يصدقهم ويتبع اثرهم ارشدوه واعطوه من علم القرآن ما يهتدي به إلى الله بإذنه والى جميع سبل الحق وهم الذين لا يرغب عنهم وعن مسألتهم وعن علمهم الذي اكرمهم الله به وجعله عندهم إلا من سبق عليه في علم الله الشقاء في اصل الخلق تحت الاظلة فأولئك الذين يرغبون عن سؤال أهل الذكر والذين آتاهم الله علم القرآن ووضعه عندهم وامر بسؤالهم وأولئك الذين يأخذون بأهوائهم وآرائهم ومقاييسهم حتى دخلهم الشيطان لانهم جعلوا أهل الايمان في علم القرآن عند الله كافرين ، وجعلوا أهل الضلالة في علم القرآن عند الله مؤمنين، وحتى جعلوا ما احل الله في كثير من الامر حراماً، وجعلوا ماحرم الله في كثير من الامر حلالا، فذلك اصل ثمرة اهوائهم، وقد عهد اليهم رسول الله صلى الله عليه وآله قبل موته فقالوا : نحن بعدما قبض الله عز وجل رسوله يسعنا ان نأخذ بما اجتمع عليه رأي الناس بعدما قبض الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وآله وبعد عهده الذي عهده الينا وامرنا به مخالفاً لله ولرسوله صلى الله عليه وآله فما احد اجرأ على الله ولا أبين ضلالة ممن اخذ بذلك، وزعم ان ذلك يسعه والله ان لله على خلقه ان يطيعوه ويتبعوا أمره في حياة محمد صلى الله عليه وآله وبعد موته، هل يستطيع أولئك اعداء الله ان يزعموا ان احداً ممن اسلم مع محمد صلى الله عليه وآله اخذ بقوله ورأيه ومقاييسه فان قال : نعم فقد كذب على الله وضل ضلالاً بعيداً، وان قال : لا لم يكن لاحد ان يأخذ برأيه وهواه ومقاييسه فقد اقر بالحجة على نفسه وهو ممن يزعم ان الله يطاع ويتبع امره بعد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قال الله- وقوله الحق- : (**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين**).

وذلك لتعلموا ان الله يطاع ويتبع امره في حياة محمد صلى الله عليه وآله وبعد قبض الله محمداً صلى الله عليه وآله وكما لم يكن لأحد من الناس مع محمد صلى الله عليه وآله ان يأخذ بهواه ولا رأيه ولا مقاييسه خلافاً لأمر محمد صلى الله عليه وآله فكذلك لم يكن لأحد من الناس بعد محمد صلى الله عليه وآله ان يأخذ بهواه ولا رأيه ولا مقاييسه.

ه/ مرة اخرى يوجه الإمام عليه السلام إلى الاكثار من الدعاء إلى الله سبحانه وذكره في كل ساعة من ساعات الليل والنهار، ولذكر المؤمن لله اثران، احدهما ذكر الله لعبده المؤمن الذكر، وطوبى لمن يذكرهم الله، ويا بؤس من (**نسو الله فنسيهم**)، والاخر ان ذكر الله يعتبر خط دفاع متقدم تجاه المعاصي والذنوب.

" اكثروا من ان تدعوا الله فإن الله يحب من عباده المؤمنين ان يدعوه، وقد وعد الله عباده المؤمنين بالاستجابة، والله مصيّر دعاء المؤمنين يوم القيامة لهم عملا يزيدهم به في الجنة فاكثروا ذكر الله ما استطعتم في كل ساعة من ساعات الليل والنهار، فإن الله امر بكثرة الذكر له، والله ذاكر لمن ذكره من المؤمنين.

واعلموا ان الله لم يذكره أحد من عباده المؤمنين إلا ذكره بخير فاعطوا الله من انفسكم الاجتهاد في طاعته فإن الله لا يدرك شيء من الخير عنده إلا بطاعته واجتناب محارمه التي حرم الله في ظاهر القرآن وباطنه فإن الله تبارك وتعالى قال في كتابه- وقوله الحق- (**وذروا ظاهر الاثم وباطنه**) واعلموا ان ما امر الله به ان تجتنبوه فقد حرمه، واتبعوا آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسنته، فخذوا بها، ولا تتبعوا اهواءكم وآراءكم فتضلوا فإن اضل الناس عند الله من اتبع هواه ورأيه بغير هدى من الله واحسنوا إلى أنفسكم ما استطعتم (فإن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ".

٦/ ثم يحذر من استفزاز الاعداء لأن ذلك يدعوهم إلى سب المقدسات واهانتها وسب الله موضحاً المعنى في ذلك، بأنه يعني سب الاعداء للمؤمنين، ولذلك ينبغي ان يحذر المؤمنون من الدخول في عملية التشاتم الظاهري مع أهل الباطل، وجاملوا الناس ولا تحملوهم على رقابكم، تجمعوا مع ذلك طاعةربكم واياكم وسب اعداء الله حيث يسمعونكم فيسبوا الله عدوا بغير علم، وقد ينبغي لكم ان تعلموا حد سبهم لله كيف هو ؟ انه من سب اولياء الله فقد انتهك سب الله ، ومن اظلم عند الله ممن استسب لله ولاوليائه فمهلاً مهلاً فاتبعوا امر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٧/ وإذا كان الإمام قد وجه فيما سبق إلى الاكثار من الذكر والدعاء، فلا يعني ذلك أن يبتدع المرء من عنده طريقة متطرفة في العبادة والدعاء، ذلك ان العبادة- بدورها- محكومة بالاثار والسنن والروايات الصحيحة، وان العمل- وان قل- ضمن هذا الاطار، افضل من العمل الكثير ضمن اطار البدعة والهوى، وان الاطار الصحيح للعبادة لا يدرك إلا التوجه إلى آثار رسول الله صلى الله عليه وآله، وسنته، وطريقة أهل بيته الهداة.

" ايتها العصابة الحافظ الله لهم امرهم عليكم بآثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسنته وآثار الأئمة الهداةمن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله من بعده وسنتهم، فإنه من اخذ بذلك فقد اهتدى، ومن ترك ذلك ورغب عنه ضلّ، لأنهم هم الذين امر الله بطاعتهم وولايتهم، وقد قال ابونا رسول الله صلى الله عليه وآله : المداومة على العمل في اتباع الاثار والسنن وان قل ارضى لله وانفع عنده في العاقبة من الاجتهاد في البدع واتباع الاهواء إلا ان اتباع الاهواء واتباع البدع بغير هدى من الله ضلال وكل ضلالة بدعة وكل بدعة في النار، ولن ينال شيء من الخير عند الله إلا بطاعته والصبر والرضا لأن الصبر والرضا من طاعة الله، واعلموا انه لن يؤمن عبد من عبيده حتى يرضى عن الله فيما صنع الله إليه وصنع به على ما احب وكره، ولن يصنع الله بمن صبر ورضى عن الله إلا ما هو اهله وهو خير له مما احب وكره.

٨/ ومرة اخرى يذكر الإمام بضرورة الحفاظ على مواقيت الصلاة خصوصاً الصلاة الوسطى ويقرن ذلك بحب المساكين المسلمين حق المحبة، واجتناب تحقيرهم، وذلك لأن القيمة الاساسية في هذا التجمع التقوى، وليس المال، فمن يملك التقوى يحترم، ومن يفقد المال لا يحقر.

وعليكم بالمحافظة على الصلوات و الصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين كما امر الله به المؤمنين في كتابه من قبلكم واياكم وعليكم بحب المساكين المسلمين فإنه من حقرهم وتكبر عليهم فقد زل عن دين الله، والله له حاقر ماقت ، وقد قال ابونا رسول الله صلى الله عليه وآله :" امرني ربي بحب المساكين المسلمين منهم " واعلموا ان من حقر احداً من المسلمين ألقى الله عليه المقت منه والمحقرة حتى يمقته الناس، والله له اشد مقتاً، فاتقوا الله في اخوانكم المسلمين المساكين فإن لهم عليكم حقاً ان تحبوهم ، فإن الله امر رسوله صلى الله عليه وآله بحبهم فمن لم يحب من امر الله بحبه فقد صى الله ورسوله ، ومن عصى الله ورسوله ومات على ذلك مات وهو من الغاوين.

٩/ ثم يحذر الإمام عليه السلام من عدد من الامراض الأخلاقية : منها التحذير من الكبرياء والتجبر، ومنها البغي على الآخرين ، ومنها، اعانة الظالم على المظلوم، واعسار المسلم واحراجه.

كما يؤكد الإمام في وصيته على ضرورة التعجيل في حقوق الله سبحانه وعدم تأخيرها.

" واياكم والعظمة والكبر فإن الكبر رداء الله عز وجل فمن نازع الله رداءه قصمه الله وأذله يوم القيامة. وإياكم ان يبغي بعضكم على بعض فإنها ليست من خصال الصالحين فإنه من بغى صير الله بغيه على نفسه، وصارت نصرة الله لمن بغى عليه، ومن نصره الله غلب واصاب الظفر من الله، واياكم ان يحسد بعضكم بعضاً فإن الكفر اصله الحسد، واياكم ان تعينوا على مسلم مظلوم فيدعوا الله عليكم ويستجاب له فيكم، فإن ابانا رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول : " ان دعوة المسلم المظلوم مستجابة " وليعن بعضكم بعضا، فإن ابانا رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول : " ان معاونة المسلم خير واعظم اجرا من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام " واياكم واعسار أحد من اخوانكم المسلمين ان تعسروه بالشيء يكون لكم قبله وهو معسر،فإن ابانا رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول : " ليس للمسلم ان يعسر مسلما، ومن انظر معسرا اظله الله يوم لاظل إلا ظله ". واياكم ايتها العصابة المرحومة المفضلة على من سواها وحبس حقوق الله قبلكم يوما بعد يوم، وساعة بعد ساعة، فإنه من عجل حقوق الله قبله كان الله اقدر على التعجيل له إلى مضاعفة الخير في العاجل والاجل، وانه من أخر من حقوق الله قبله كان الله اقدر على تأخير رزقه، ومن حبس الله رزقه لم يقدر ان يرزق نفسه فادوا إلى الله حق ما رزقكم يطيب الله لكم بقيته، وينجز لكم ما وعدكم من مضاعفته لكم الاضعاف الكثيرة التي لا يعلم عددها ولا كنه فضله إلا الله رب العالمين ".

١٠/ ويحذر الإمام من مشكلة توجد لدى بعض الافراد وتسبب احراجات للقيادة وتلجؤها إلى اتخاذ مواقف غير طبيعية. ذلك انه يحدث ان يأتي افراد فينقلون- كذبا- للقيادة ان فلانا عمل كذا، وقال كذا، من

الاعمال والاقوال المخالفة، وذلك في محضر عام من الناس، وهنا لا بدان يبين الإمام موقفه ذلك ان الإمام ان سكت- والحال هذه- عن ما نقل، فقد يحسب هذا السكوت تأييدا وتقريرا لصحة تلك الاقوال والافعال، وان تكلم ضد هذه الافعال والاقوال فقد يستفيد منها البعض في اسقاط الاشخاص المكذوب عليهم، والغالب ان الإمام يتبرأ من تلك الاعمال والاقوال، لكيلا يراها الحاضرون صحيحة وسليمة.

من هنا يحذر الإمام عليه السلام اصحابه من هذه المشكلة لئلا يصبح منهم (محرجي الإمام).

" اتقوا الله ايتها العصابة وان استطعتم الا يكون منكم محرج الإمام، فإن محرج الإمام هو الذي يسعى بأهل الصلاح من اتباع الإمام، المسلمين لفضله الصابرين على أداء حقه، العارفين بحرمته، واعلموا انه من نزل بذلك المترل عند الإمام فهو محرج الإمام فإذا فعل ذلك عند الإمام احرج الإمام إلى ان يلعن أهل الصلاح من اتباعه من المسلمين لفضله، الصابرين على اداء حقه، العارفين بحرمته فإذا لعنهم لاحراج اعداء الله الإمام صارت لعنته رحمة من الله عليهم وصارت اللعنة من الله ومن ملائكته ورسله على أولئك ".

١١/ ويشرح العلاقة القائمة بين الولاية لأولياء الله، وبين الطاعة لاوامر الله، فبين ان الاولى هي مقدمة الطريق، إلا الها بدون الطاعة لأوامر الله لا تصح ولا تكفي وهكذا يتابع الإمام توصياته، واوامره في هذه الرسالة التعميم لجمهور اتباعه، لكي تتحول هذه الوصايا إلى برنامج عمل يسير عليه أولئك الاتباع.

واعلموا ايتها العصابة ان السنة من الله قد جرت في الصالحين قبل، وقال من سره ان يلقى الله وهو مؤمن (حقاً) فليتول الله ورسوله والذين آمنوا وليبرء إلى الله من عدوهم، ويسلم لما انتهى إليه من فضلهم لأن فضلهم لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا من دون ذلك، ألم تسمعوا ما ذكر الله من فضل اتباع الأئمة الهداة وهم المؤمنون قال (**أولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا**) فهذا وجه من وجوه فضل اتباع الأئمة فكيف بهم وفضلهم، ومن سره ان يتم الله له ايمانه حتى يكون مؤمناًحقاً فليف لله بشروطه التي اشترطها على المؤمنين فإنه قد اشترط مع ولايته ولاية رسوله وولاية ائمة المؤمنين اقام الصلاة وايتاء الزكاة واقراض الله قرضاً حسناً واجتناب الفواحش ما ظهـــر منها وما بطن، فلم يبق شيء مما فسر مما حرم الله إلا وقد دخل في جملة قوله. فمن دان الله فيما بينه وبين الله مخلصاً لله ولم يرخص لنفسه في ترك شيء من هذا فهو عند الله في حزبه الغالبين، وهو من المؤمنين حقاً.

١٢/ علامة الايمان تجنب الاصرار.

"واياكم والاصرار على شيء مما حرم الله في ظهر القرآن وبطنه وقد قال الله تعالى (**ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون**) يعني المؤمنين قبلكم إذا نسوا شيئاً مما اشترط الله في كتابه عرفوا الهم قد عصوا في تركهم ذلك الشيء فاستغفروا ولم يعودوا إلى تركه فذلك معنى قول الله عز وجل : (**ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون**).

واعلموا انه إنما امر وهى ليطاع فيما امر به ولينتهى عما هى عنه، فمن اتبع امره فقد اطاعه وقد ادرك

كل شيء من الخيرعنده، ومن لم ينته عما نهى الله عنه فقد عصاه، فإن مات على معصيته اكبه الله على وجهه في النار".

١٣/ وفي نفس الوقت الذي يوصي فيه الإمام بضرورة التولي لاولياء الله وقادتهم أهل البيت عليهم السلام ويعتبر ذلك شرطاً في سلامة الطريق الذي يسلكه الانسان فإنه يرفض التفسير الخاطيء الذي يؤمن به البعض من اتكائهم المطلق على الحب المجرد، وترك الطاعات والواجبات اعتماداً على ذلك فيرى ان الشفيع الحقيقي هو طاعة الانسان لله سبحانه.

"واعلموا انه ليس بين الله وبين أحد من خلقه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا من دون ذلك من خلقه كلهم إلا طاعتهم له، فاجتهدوا في طاعة الله ان سركم ان تكونوا مؤمنين حقاً حقاً، ولا قوة إلا بالله.

وعليكم بطاعة ربكم ما استطعتم فان الله ربكم.

واعلموا ان الإسلام هو التسليم والتسليم هو الإسلام، فمن سلم فقد اسلم، ومن لم يسلم فلا اسلام له، ومن سره ان يبلغ إلى نفسه في الاحسان فليطع الله فإنه من اطاع الله فقد ابلغ إلى نفسه في الاحسان، واياكم ومعاصي الله ان تركبوها فانه من انتهك معاصي الله فركبها فقد ابلغ في الاساءة إلى نفسه وليس بين الاحسان والاساءة منزلة، فلأهل الاحسان عند ربهم الجنة، ولأهل الاساءة عند ربهم النار، فاعملوابطاعة الله واجتنبوا معاصيه، اعلموا انه ليس يغني عنكم من الله أحد من خلقه شيئا، لا ملك مقرّب ولا نبي مرسل ولا من دون ذلك، فمن سره ان تنفعه شفاعة الشافعين عندالله فليطلب إلى الله ان يرضى عنه.

واعلموا أن احداً من خلق الله لم يصب رضى الله إلا بطاعته وطاعة رسوله وطاعة ولاة امره من آل محمد صلى الله عليه وآله ومعصيتهم من معصية الله ولم ينكر لهم فضلاً عظم او صغر".

١٤/ ثم يحذر الإمام من محاولات قوى الباطل استقطاب أهل الحق إلى جانبهم ذلك انهم يسعون لكسب الانصار اليهم، وهم اقرب شيء حسداً لأهل الحق لأنهم يرونهم في طريق الله بينما يودون لو كانوا معهم سواء في طريق الغواية والهوى.

"واعلموا ان المنكرين هم المكذبون وان المكذبين هم المنافقون وان الله قال للمنافقين- وقوله الحق- : (**ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً**) ولا يفرقن أحد منكم الزم الله قلبه طاعته وخشيته من أحد من الناس اخرجه الله من صفة الحق، ولم يجعله من اهلها فإن من لم يجعله الله من أهل صفة الحق فاولئك هم شياطين الانس والجن وان لشياطين الانس حيلة ومكراً وخدايع ووسوسة بعضهم إلى بعض يريدون ان استطاعوا ان يردوا أهل الحق عما اكرمهم الله به من النظر في دين الله الذي لم يجعل الله شياطين الانس من اهله ارادة ان يستوي اعداء الله واهل الحق في الشك والانكار والتكذيب فيكونون سواءكما وصف الله تعالى في كتابه من قوله : (**ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء**) ثم نهى الله أهل النصر بالحق ان يتخذوا من اعداء الله ولياً ولا نصيراً فلا يهولنكم ولا يردنكم عن النصر بالحق الذي خصكم الله به من حيلة

شياطين الانس ومكرهم من اموركم تدفعون انتم السيئة بالتي هي احسن فيما بينكم وبينهم تلتمسون بذلك وجه ربكم بطاعته وهم خير عندهم، لا يحل لكم ان تظهروهم على أصول دين الله فانهم ان سمعوا منكم فيه شيئاً عادوكم عليه، ورفعوه عليكم، وجهدوا على هلاككم، واستقبلوكم بما تكرهون، ولم يكن لكم النصفة منهم في دول الفجار، فاعرفوا منزلتكم فيما بينكم وبين أهل الباطل فانه لا ينبغي لأهل الحق ان ينزلوا انفسهم منزلة أهل الباطل لان الله لم يجعل أهل الحق عنده بمنزلة أهل الباطل، ألم يعرفوا وجه قول الله في كتابه إذ يقول : (**ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار**) اكرموا انفسكم عن أهل الباطل ولا تجعلوا الله تبارك وتعالى- وله المثل الاعلى- وامامكم ودينكم الذي تدينون به عرضة لأهل الباطل فتغضبوا الله عليكم فتهلكوا ".

١٥/ وإذا كان من الطبيعي ان تفرز فئات المجتمع عن بعضها البعض، لاختلاف المصالح، أو العقائد فإن اهم صفة مائزة لتجمع المؤمنين هي ان مواقفهم الاجتماعية في جوهرها تابعة للقضية العقيدية، فهو يحب هذه الفئة (في الله) لأنها تتفق معه في طريق الله، ويكره تلك الفئة لأنها لا تتفق معه فهكذا ادب الله قادة المؤمنين، ووصف اتباعهم بأنهم لا يؤذون من حاد الله ورسوله مهما كانت صلة القرابة والانسجام الاجتماعي بينهم.

" فمهلاً مهلاً يا أهل الصلاح لا تتركوا امر الله و امر من امركم بطاعته فيغير الله ما بكم من نعمة، احبوا في الله من وصف صفتكم، وابغضوا في الله من خالفكم، وابذلوا مودتكم و نصيحتكم (لمن وصف صفتكم) ولا تبتذلوها لمن رغب عن صفتكم وعاداكم عليها وبغا لكم الغوائل هذا ادبنا ادب الله فخذوا به وتفهموه واعقلوه ولا تنبذوه وراء ظهوركم، ما وافق هداكم اخذتم به وما وافق هواكم طرحتموه ولم تأخذوا به. واياكم والتجبر على الله،واعلموا ان عبداً لم يبتل بالتجبر على الله إلا تجبر علىدين الله، فاستقيموا لله ولا ترتدوا على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين اجارنا الله واياكم من التجبر على الله، ولا قوة لنا ولكم إلا بالله.

سلوا الله العافية واطلبوها إليه ولا حول ولا قوة إلا بالله، صبروا النفس على البلاء في الدنيا فإن تتابع البلاء فيها والشدة في طاعة الله و ولايته و ولاية من امر بولايته خير عاقبة عند الله في الآخرة من ملك الدنيا وان طال تتابع نعيمها وزهرتها وغضارة عيشها في معصية الله وولاية من نهى الله عن ولايته وطاعته فإن الله امر بولاية الأئمة الذين سماهم الله في كتابه في قوله : (**وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا**) وهم الذين امر الله بولايتهم و طاعتهم، والذين نهى الله عن ولايتهم وطاعتهم وهم أئمة الضلالة الذين قضى الله ان يكون لهمدول في الدنيا على اولياء الله الأئمة من آل محمد يعملونفي دولتهم بمعصية الله ومعصية رسوله ليحق عليهم كلمة العذاب، وليتم ان تكونوا مع نبي الله محمد صلى الله عليه وآله والرسل من قبله، فتدبروا ما قص الله عليكم في كتابه مما ابتلى به انبياءه واتباعهم المؤمنين، ثم سلوا الله ان يعطيكم الصبر على البلاء في السراء والضراء والشدة والرخاء مثل الذي اعطاهم، واياكم و مماظة أهل الباطل وعليكم بهدى الصالحين ووقارهم وسكينتهم

وحلمهم وتخشعهم وورعهم من محارم الله وصدقهم ووفائهم واجتهادهم لله في العمل بطاعته، فإنكم ان لم تفعلوا ذلك لم تترلوا عند ربكم مترلة الصالحين قبلكم.

واعلموا ان الله إذا اراد بعبد خيرا شرح صدره للاسلام فإذا اعطاه ذلك انطق لسانه بالحق وعقد قلبه عليه فعمل به، فإذا جمع الله له ذلك تم له اسلامه وكان عند الله ان مات على ذلك الحال من المسلمين حقا، وإذا لم يرد الله العالى بعبد خيرا وكله إلى نفسه، وكان صدره ضيقا حرجا فإن جرى على لسانه حق لم يعقد قلبه عليه، وإذا لم يعقد قلبه عليه لم يعطه الله العمل به، فإذا اجتمع ذلك عليه حتى يموت وهو على تلك الحال كان عند الله من المنافقين، وصار ما جرى على لسانه من الحق الذي لم يعطه الله ان يعقد قلبه عليه و لم يعطه العمل به حجة عليه، فاتقوا الله وسلوه ان يشرح صدوركم للاسلام وان يجعل ألسنتكم تنطق بالحق حتى يتوفاكم وانتم على ذلك وان يجعل منقلبكم منقلب الصالحين قبلكم، ولا قوة إلا بالله، والحمد لله رب العالمين.

من سره ان يعلم ان الله يحبه فليعمل بطاعة الله وليتبعنا، ألم يستمع قول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله : (**قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم**) والله لا يطيع الله عبدا ابداً إلا ادخل الله عليه في طاعته اتباعنا، ولا والله لا يتبعنا عبد ابدا إلا احبه الله، ولا والله لا يدع أحد اتباعنا ابدا إلاابغضنا، ولا والله لا يبغضنا أحد ابداً إلا عصى الله، ومن مات عاصيا لله اخزاه الله وأكبه على وجهه في النار، والحمد لله رب العالمين ".

واخيرا.. كلمات إلى

أ- القادة ..

في نهاية المطاف وبعد ان كنا مع التوجيهات الرسالية التي قام بها أهل البيت عليهم السلام مع وكلائهم حينا، ومع مسيرة الوكلاء الرساليين حينا اخر، ومع الامراض التي تعتري سلامة المسيرة بالنسبة للقيادات الفرعية حينا ثالثا، ينبغي لنا ان نستنتج من مجمل تلك التوجيهات والحوادث برنامجاً تنتفع به الامة، ويمكن لنا ان نوجه من هذه الصفحات كلمات إلى القادة سواء كانوا مراجع دين او قادة حركات مستفيدين في هذه الكلمات من ما مر من كلمات أهل البيت عليهم السلام :

ا/ انتخاب الوكيل :

هناك عدد من (التقاليد) في اختيار الوكيل توجد في صفوف القادة، وهذه (التقاليد) هي مصدر الخطأ والبلاء، فمتى ما تغيرت هذه التقاليد والاعراف امكن لنا ان نتوقع انتخاباً سليماً صحيحاً، يعتمد على كفاءة المرشح للوكالة، وحاجة الامة في تلك المرحلة لهذه الكفاءة.

فمن تلك التقاليد الخاطئة : اعتماد (الاستصحاب) كأصل كاشف عن الحقيقة في حالات انتخاب الوكيل. اذ يأتي القائد فيرى مجموعة الوكلاء قد توزعت على المناطق والمسؤوليات- تبعاً لخطة من سبقه- ودون ان يكلف نفسه عناء البحث عن صلاحية كل وكيل لمنطقته ومسؤوليته، تراه يستصحب بقاء هذا

الوكيل، ويُمضي استمراره في مسؤوليته.

وبالرغم من اننا لا نعتقد انه يجب التغيير مع كل قائد جديد لمجرد حب التغيير (وممارسة) القيادة، الا انه ليس من الصحيح ان تكون فكرة (ابقاء ما كان على ما كان) استراتيجية غير قابلة للنقاش. وان الله سائلٌ القائد عن الفرد الصالح لم لم ينتخبه كما يسأله عن الوكيل السيء لم ابقاه ؟!

لقد وجدنا أمير المؤمنين عليه السلام ، دفع من اجل تغيير الوكلاء الفاسدين، وعدم انتخاب وكلاء غير صالحين، دفعرأس حكمه ثمنا لهذه المسألة، وخاض عدة حروب في هذا المضمار، وكان يمكنه ان يرى (استصحاب) بقاء الولاة الذين عينهم الخلفاء السابقون له، الا انه رفض ذلك رفضاً باتاً. وبالرغم من ان هناك بعض الفوارق بين المثالين الا اننا نستطيع ان نستفيد من فكرة الإمام في طريقة التعامل.

ان اعتبار الوكيل للمرجع او القائد السابق، وكيلا للمرجع او القائد الجديد بصورة اوتوماتيكية، وعدم إجالة النظر في المسألة نهائياً، مخالف للحكمة، خصوصاً ان مقاييس القادة في انتخاب الوكلاء تختلف من شخص لآخر.

ومن التقاليد الخاطئة ايضا في عملية انتخاب الوكيل اعتماد كبر السن، كقيمة اساسية ترشح فرداً للوكالة لبياض شعر لحيته، وتسقط اخر كفوءا من ذلك لكونه لايزال شاباً صغيراً اي لم يبلغ الخمسين من العمر!!

لقد احتج بعضهم على أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو أليق الخلق لخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، احتجوا لتنحيته بأنه صغير السن، وقد كان في ذلك الوقت فوق الثلاثين من العمر. ولعل تركيبة المجتمع العربي آنئذ وما كان فيه من مخلفات الحالة القبلية التي تعطي الاعتبار الاول لكبر السن، جعلت هذا الامر قانوناً حاكماً في تاريخ الامة، لذلك نرى هذه العقلية في هذا الموضع وقبله في رفض (كبار القوم) للانخراط تحت قيادة اسامة بن زيد القائد العسكري ذي الثمانية عشر عاماً،والمعين من قبل الرسول صلى الله عليه وآله بالرغم من تكرار اوامر الرسول الالتحاق بجيش اسامة.

لا شك ان تقدم العمر بالمرء يكسبه تجربة وحكمة في العادة، الا ان (كبر السن) بذاته وهو امر خارج عن ارادة الانسان، لا يصلح ان يكون اساساً يتقدم به هذا المرء ويتأخر به ذاك، نعم..الحكمة وتراكم التجربة لدى المرء هما احدى مقومات ادارته الجيدة، غير اننا نجد شيوخاً طاعنين في السن لكنهم في عقول الاطفال وشباباً في عقول الشيوخ.

وهذا لا يتناقض مع ضرورة توقير الشيوخ واحترامهم، وتكريم الكبار في المجتمع، الا ان توكيل الكبير لانه كبير، لا لأنه مدير، واعطاء الزمام للشيخ لأنه متقدم في السن لا لانه قادر على القيادة.. امر يعيد المجتمع إلى الخلف..

ومن التقاليد الخاطئة في انتخاب الوكيل، الدخول على الخط من الابواب الخلفية. عبر الحواشي

و(الاطرافيه)، فبمقدار ما يملك هذا الوكيل من (مؤهلات) قرابة ببعض الحاشية، او صداقة للبعض الاخر، او هدايا لغيرهم، فانه يكون قد وفر في نفسه المقومات اللازمة ليكون وكيلاً عن المرجع الديني او القائد، وهذا مما يؤسفله.

فانت تجد (من قبيل الصدفة) تماما ان وكيلا يرشح لمنطقة او عمل، فإذا بأخيه بعد سنة او أقل، يرشح- ومن قبيل الصدفة ايضاً- لمنطقة اخرى، وهكذا تتوسع امبراطورية الاقرباء الوكلاء، سنة بعد اخرى.. وكل ذلك مصادفة!! وكأن القائد قد وقع على كنز مخبوء فبدأ استثماره.. غير ان القضية ان الابواب الخلفية للحواشي كانت تفتح في الظلام، وفيها كانت تتم المحادثات والاتفاقات، واحيانا المؤامرات على نصب هذا وعزل ذاك، وتبديل فلان، وتصعيد علان.

من الطبيعي ان يكون الفرد كلما قرب،عرف اكثر الا ان ذلك يبقى ضمن حدود معينة يضاف إليه ان امكانية معرفة الشخص وقدراته ليست مسألة متعذرة.

ولا ننسى اخيرا ان من التقاليدالخاطئة ترشيح من كان اكثر تظاهرا في التأييد، واكثر شتما للاخرين، واكثر تعصبا لشخص القائد او المرجع.. ان هذا الامر يدغدغ دودن شك مشاعر الانسان، الا انه يجر على الامة ويلات، ولقد ثبت ان هذا النوع من المتظاهرين بالتأييد للشخص هم اقل تأييدا للعمل والبرنامج، بل انهم سيتظاهرون بالتأييد- وبنفس القوة- لقائد آخر متى ما انتهى عطاء الاول!!

يجب ان تخرج عملية الانتخاب للوكلاء وقيادات الفروع من هذه التقاليد بالرغم من اننا لا نرى انها حاكمة في كل مكان ومع كل القادة- إلى افق جديد وسليم من الانتخاب يقوم على اساس النظر لى الشخص المرشح، ومقدار كفاءاته الشخصية في الادارة والمعرفة والقدرة على تطبيق البرامج المنوطة به، ثم امكانية انسجامه مع فئات المجتمع، واخيرا امكانية تطبيقه للبرنامج الذي يريد المرجع او القائد تنفيذه في الامة- كما سيأتي-.

٢/ برنامج عمل للأمة :

يرى بعض المراقبين السياسيين ان الرئيس الذي ينتخب في امريكا للمرة الاولى لا يستطيع ان يعمل في فترة ولايته التي تمتد لفترة (٤) سنوات، لا يستطيع ان يعمل شيئاً مهماً ذلك انه في السنتين الاوليين يبقى مطالباً بتسديد الديون المادية (والمعنوية) لممولي حملته الانتخابية من التجار والشركات الكبرى، بينما يستعد في السنتين الاخيرتين لخوض المعركة الانتخابية الجديدة.

اذا كان هذا صحيحاً فانه يصدق بعض الشيء في الوضع القيادي في امتنا الاسلامية فالقائد او المرجع يكون في سني شبابه منشغلاً بتدريب نفسه على الملكات الفكرية والفقهية حتى اذا اصبح المتصدر في سدة القيادة، واخرجت الارض له (أخماسها) ألفيته بلا برنامج على مستوى الامة، باستثناء الاجابة على المسائل الفقهية وغيرها. هذا غير بعض القادة النوابغ الذين حملوا معهم برنامج عمل للامة من قبل وصولهم إلى الموقع

القيادي الاول، واستطاعوا بعد وصولهم تطبيق هذا البرنامج او بعضه.. واذا استثنينا هذه القلة النادرة لوجدنا الصوره تفتقر إلى اللون المشرق- مع الاسف-.

من الضروري ان يسأل القائد نفسه اولاً : ما هو برنامج عمله للامة خلال عشر سنوات او عشرين سنة او اقل او اكثر ؟! ما هي اولويات خطته ؟! هل يرى الامة محتاجة إلى الثقافة الدينية ؟! أم الوعي السياسي ؟! أم هما معاً ؟! ثم في مجال العمل هل تفتقر الامة إلى المؤسسات ؟! أم إلى الثورة والتغيير ؟! أم إلى ماذا ؟!

وكذلك ينبغي ان تسأل الامة من القائد هذه الاسئلة لتنظر إلى اين تبحر سفينتها ؟!

ان مما يعتصر القلب حزناً وألماً ان تجد هذا الاستعداد الرائع لدى ابناء الامة شبابها وكبارها، كفاءاتها وتجارها، وتجد تلك الاستجابة الدينية من قبلهم لقائدهم الديني، بينما لا يستطيع هذا القائد ان يحرك تلك الكفاءات العلمية والمالية وغيرها.. ولو كان يمتلك خطة عمل، وبرنامج اصلاح وتغيير في الامة لأمكن بتلك الكفاءات عمل الكثير!!

ان من الحق ان يتساءل ابناء الامة عن المسافة التي قطعتها سفينتها قبل وصول هذا الربان- القائد، وبعد وصوله ؟! واي المراحل التي مرت بها، وماذا حققت ؟!

ولو نظرنا في حياة أهل البيت عليهم السلام ، لوجدناهم أصحاب رسالة وبرنامج للأمة وكانوا يسيرون ويكيفون حياتهم تبعاً لحاجة تلك الرسالة والبرنامج.

فرسول الله صلى الله عليه وآله لم يغمض عينيه الكريمتين الا وقد اكمل رسالته وكان وهو وحيد يحمل تلك الرسالة ويدعو إلى برنامج اصلاح النفس واسقاط الاصنام البشرية والحجرية والانطلاق إلى عبادة الله حيث السمو الروحي والتقدم العلمي، ومن اجل هذا البرنامج جاهد واوذي وهاجر وخاض الحروب حتى حقق الله له ذلك.

وهكذا كان حال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقد كان صاحب رسالة تصحيح الوضع الاسلامي وتنقيته من شوائب الانحراف بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وبناء المجتمع الاسلامي على اسس توحيدية خالصة، وخطب وتحدث وحارب من اجل هذا البرنامج حتى فضخ رأسه في محراب عبادته.. وهكذا الحال بالنسبة للإمام الحسن والحسين وسائر الأئمة عليهم السلام ، ومن بعدهم العلماء الكبار والقادة الرواد الذين تمددوا على اريكة الخلود في وعي الامة، واصبحت الامة تعرف تأريخها بمراحل حياتهم وبأعمالهم الكبرى.

وقد لا يقع على القائد من عبء تلك الرسالة- او البرنامج- غير التفكير والتخطيط، بينما يقوم الوكلاء ومن ورائهم المجتمع بتنفيذ هذا البرنامج.

٣ /نظام للمتابعة، والمراقبة والمحاسبة :

من الظواهر غير السليمة ما بعد انتخاب الوكيل، انه يترك واجتهاده في طريقة العمل وفي حجمه ايضا.

لذلك تجد بين الوكلاء، النشط منهم وعديم الفاعلية. وفي لك تبعا لتكوين شخصيته، بل قد تجدمن يدخل قناعاته الخاصة (وصراعاته الشخصية احيانا) في ضمن عمله الديني، فاذا به فارس تلك الصراعات، تحت راية (هل من مبارز) ويستفيد في تلك الصراعات من وجود اعتبار ديني، كونه وكيلاً للمرجع او للقائد.

ان ترك الوكيل دون متابعة، من قبل المركز، ودون مراقبة، وبعدها دون محاسبة يفسح المجال امام نمو الامراض الاخلاقية الخطيرة، التي بيّنا جانباً منها.. وكلها محسوبة في الاخير على القائد اوالمرجع الذي ينتخب اشخاصاً هكذا فلا يتابعهم ولا يحاسبهم.

لقد مر علينا– عزيزي القارىء– في الصفحات السابقة كيف كانت رسائل أهل البيت عليهم السلام لوكلائهم عنيفة ساخنة حين يصل اليهم اخبار عن تجاوزات الوكيل. ونورد هنا بعض النصوص عن أمير المؤمنين عليه السلام :

فمن كتاب له إلى الاشعث بن قيس وكان عامله على اذربيجان : وان عملك ليس لك بطعمة ولكنه في عنقك امانة، وانت مسترعى لمن فوقك، ليس لك ان تفتات في رعية ولا تخاطر الا بوثيقة وفي يديك مال من مال الله عزّ وجلّ وانت من خزانه حتى تسلمه اليّ ولعلي ألاّ اكون شر ولاتك لك[١٧٠].

ومن كتاب له إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني عامله على اردشيرخرة، وقد بلغه ان مصقلة كان يقسم فيء المسلمين في اقاربه واعراب قومه، فكتب له كتاباً جاء فيه (.. فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لئن كان ذلك حقا لتجدن لك عليّ هوانا ولتخفن عندى ميزاناً، فلا تستهن بحق.ربك ولا تصلح دنياك بمحق دينك فتكون من الاخسرين اعمالا ..) [١٧١].

ان نظام التقارير– الشفوية والمكتوبة– وفرض ذلك على الوكلاء من قبل القائد أو المرجع سواء كانت بشكل شهري او دوري– حسب المناطق وطبيعة الاعمال– ووجود جهاز يعد ذلك لدى القيادة، يقوم بمتابعة تلك التقارير، كأن يجيب على الاسئلة الواردة، ويتابع الحاجات المطلوبة، ويخطط لاقتراحات جديدة هو امر ضروري لتقدم العمل، اما ما هوموجود– للاسف– من بقاء علاقة الوكيل مع المرجع في اطار المسائل الشرعية غير الموجودة في الرسالة العملية للمرجع او في تحول الوكيل إلى واسطة بنكية، ييأخذخمس الاتباع ثم يحوله إلى القائد او المرجع،، من دون ان يفكر في تدوير هذا المال– أو قسم منه--. داخل المجتمع بما يخدم اهداف القيادة ورسالتها، وبما ينفع الناس.. بقاء العلاقة ضمن هذا الاطار يضر الوكيل والقيادة على حد سواء.

كما انه لا بد من ايجاد قناة يتم من خلالها تبادل اوجه الرأي والنظر حول مختلف المسائل بين القيادة والوكلاء، وان نظام المؤتمرات– المفقود للاسف في مجتمعاتنا الدينية– يمكن ان يؤمن هذه الحاجة، اننا نرىان عالم اليوم قائم في الوقت الحاضر، على تنمية المعلومات عبر تبادلها، ففي كل يوم تجد مؤتمراً، وفي كل قضية

---

170 / نهج البلاغة الكتاب ٥.

171 / نهج البلاغة الكتاب ٤٣.

تسمع عن ندوة، يشترك فيها ذوو الاختصاص والخبرة، وتتلاقح فيها الافكار حتى تصل إلى الصواب.

يجب الخروج من الحالة الفردية، والتوجه الشخصي، إلى الاجتهاد الجمعي القائم على الاستفادة من عقول الاخرين وافكارهم للوصول إلى النتائج الاقرب للواقع، والانسب للنجاح.

كذلك ينبغي الاستفادة من القنوات الاخرى للتعرف على طريقة عمل الوكيل ومدى انسجامه مع من يقودهم، خصوصا من أهل الرأي والمعروفين بالصلاح، وذلك من غير طريق الوكيل المعين، اذ يستفيد بعض الوكلاء من اشخاص (صنائع) لهم في تثبيت موقع الوكيل لدى القائد او المرجع عبر المدح والثناء، يعملون على اساس (تبادل المصالح) فهو يمدحه امام القائد، او من يوصل خبراً للمرجع، ويقبض الثمن فيما بعد.

في مجال المتابعة لو تتبعنا مسيرة رسالة الإمام العسكري عليه السلام لاسحاق بن اسماعيل النيسابوري لرأينا ان حامل الرسالة هو مسؤول عن ايصالها وعن متابعة تنفيذها كذلك فانها تعين اسحاق ايضا مسؤولاً عن متابعة الوكيل المعين حديثاً في نيسابور وهو ابراهيم بن عبده، لتنفيذ اوامر تلك الرسالة والتأكيد على قضايا الرسالة السابقة لها والمرسلة مع شخص آخر هو محمد بن موسى النيسابوري- يراجع تفصيل الرسالة في مكانه-.

ب/.. والى الوكلاء

١/ فكر : في تمثل ؟

أيها الوكيل.. فكر وانت تمارس حياتك الشخصية، وعلاقاتك الاجتماعية، ودورك الاسلامي، في هذا السؤال جيدا : من تمثل ؟! وماذا يعني هذا التمثيل امام الناس ؟!

انك تمثل القائد.. تمثل المرجع وبالتالي فانت تمثل قمة الوجود الاسلامي في نظر الناس، وحملك لهذه الصفة يفرض عليك واجبات معينة، تماما كما يوفر لك حقوقاً لا تتوفر لغيرك، بل لك وانت مجرد عن هذه الصفة.

انت في نظر الناس تمثل الاسلام، واذا اتيح للاسلام ان يتجسد في اشخاص، فان الناس ينتظرون ان تكون احدهم، لذلك يغدو (الحسن من كل أحد حسن ومنك احسن والقبيح من كل احدقبيح ومنك اقبح) لموقعك المتميز.

اعمالك تتحول في نظر الناس إلى سنة، وسيرتك إلى قاعدة، واقوالك إلى ادلة، ان كانت حسنة فنتيجتها حسنة اوكانتسيئة فكذلك.

من هنا مدح أهل البيت عليهم السلام الوكلاء الصالحين الرساليين مدحاً بالغاً، لانهم تحولوا إلى (مدارس) في الفضل والتقوى والعلم، واصبح كل واحد منهم قائداً لمجموعة كبيرة من المؤمنين ومعلماً لهم، بينما طردوا ولعنوا الخائنين والمنحرفين ايما لعن لانهم تحولوا إلى مستنقعات تجمع حولها اكوام ذوي الاهواء واتباع الشهوات.

بين ان يكون الوكيل من شرار خلق الله وبين ان يكون من القرى الظاهرة التي توصل للقرىالمباركة..
فعن محمد بن صالح الهمداني قال : كتبت إلى صاحب الزمان عليه السلام : ان أهل بيتي يؤذونني ويقرعوني بالحديث الذي روي عن آبائك عليه السلام ، انهم قالوا : خدامنا وقوامنا شرار خلق الله، فكتب : ويحكمما تقرؤون ما قال الله تعالى : (**وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة**) فنحن والله القرى التي بارك فيها وانتم القرى الظاهرة [١٧٢].

لذلك يبقى من الضروري جداً ان يفكر الوكيل بعمق إلى مدى انطباق اعماله وآثاره مع ما يمثله من ثقافة اسلامية حقة، ومن يمثله من قيادة رشيدة.

٢/ طريقك إلى التكامل :

قال أمير المؤمنين عليه السلام : (الولايات مضامير الرجال) وكما يتخذ بعض الناس الوكالة مطية هواهم، ومركب شهواتهم، فتراهم يشعرون ان الولاية، والزعامة، هي نهاية مطامحهم، وذاتهم نهاية همتهم.

فان هناك آخر ينيرون الولاية، والوكالة، أحد الميادين التي يدخلونهم لاكمال شخصياتهم بالتجربة العملية، وتطبيق قدراتهم النظرية في الادارة، والاخلاق.

بين نموذج يرى ان منصبه قميص ألبسه الله اياه، وان ما تحت يديه من مال يعتبر ملكاً شخصياً له، لا يعاقبه فيه أحد، فيوزع كيف يشاء، ويهبما يشاء لمن يشاء، وبين نموذج سلمان المحمدي، الذي سعت إليه امارة المدائن، فيما دخل المدائن راكباً بغلة لم يعرفه أحد، وعندما جهزوا له قصر الامارة، ذهب ليسكن في كوخ من سعف النخل ان وقف فيه ضرب سقفه رأسه، وكان كل متاعه مطهـــرته وآنية طعامه.

(واعلم ان عملك ليس لك بطعمة)، لا تتصور وانت وكيل عن القيادة الشرعية انك قد فتحت متجراً، تستثمر دينك، ورأسمال اخلاقك فيه، لتربح المال او الدنيا الشهرة فبئس المتجر هو، وبئس الخاسر هذا التاجر.

٣/ كن جسر الاصلاح :

قد يمتلك الانسان موقفاً سلبياً تجاه شخص معين او تجاه فئة من الناس، قبل تسلمه هذا المقام، فاذا اصبح وكيلاً عن القيادة فيجب ان يتخلى عن هذا الموقف، ويتبنى موقف قيادته في تقريب الاشخاص والفئات. وان يستفيد من موقعه الجديد في اصلاح علاقاته مع سائر الفئات، وفي اصلاح علاقات الفئات ببعضها البعض.

وما يقوم به بعض الناس من تحويل مقام الوكالة، إلى سيف قاطع يسلطه على رقاب من لا يتفقون معه، فيهتكهم ويظلمهم، ويسود صحيفتهم لدى القيادة، فهو خلاف الورع والتقوى.

وقد رأينا كيف أساء بعض الوكلاء استخدام الثقة التي منحت لهم من قبل القائد او المرجع، فاذا بهم يتحولون من وكلاء إلى ملاكمين، يضربون هذا بتقرير ويصرعون ذاك، تارة بالنقاط واخرى بفتوى قاضية!!

---

[172] / الغيبة ص ٢٠٩.

وكيف تحولوا بذلك إلى جسر للفتنة والمشاكل وابطال في الاثارة الاجتماعية وربما لو امتلكوا قدرة تمكنهم من البطش المادي- اضافة إلى المعنوي- لصنعوا كما صنع غيرهم ممن ملكوا زمام الامور فبطشوا بأعدائهم، فاذا جاء في زمن بني امية خالد بن عبدالله القسري فانه ينكل بالقبائل غير اليمنية من ثقيفة وغيرهم،واذا جاء بعده يوسف بن عمر الثقفي فالاية تنعكس وهكذا..

ان عواقب استخدام الموقع في الصراعات الشخصية، وربما الانتقام لقضايا سابقة، يفقد هذا الموقع قدسيته، يحفز الاخرين للانتقام حين تجري الرياح بما لا تشتهي سفن الوكيل. بينما يستطيع الوكيل ان يصبح جسراً للاصلاح، فاذا كانت هناك فئات تتعارض مع القيادة، او كان هناك موقف سلبي من القيادة تجاه جماعة، فانه يستطيع ان يسعى في الاصلاح، فيقرب وجهات النظر ويلين المواقف من الطرفين، ويتوسل بكل ما ينتهي إلى الإصلاح واخيرا ينجح.

٤/كن حامل رسالة :

سوف يكفيك غيرك مهمة التصفيق، والتأييد.. فكثير من الناس لم يخلقوا الا ليصفقوا وليس لديهم من كفاءة غير فن التأييد.. ويستطيعون بهذه (الميزات) إن يسبقوا غيرهم، وليس لديهم مانع ان يسوقوا الكلام لأي شخص ما دام ينيلهم مما لديه.

هؤلاء هم الذين يلتفون حول القادة كالحشائش الطفيلية التي تلتف بالنبتة المثمرة، فتؤذيها واحيانا ترديها.. وهؤلاء هم الذين يشكلون- غالباً- الحواشي، ولانهم لا عمل لديهم، ولا رسالة تهمهم لذلك تجدهم دائما متحلقين حول القائد، او في بيت المرجع، قليل غناؤهم، كثير عناؤهم، وبينما ينشغل الاخرون بانجاز الاعمال، ويصرفون عمرهم لرسالتهم، تجد هؤلاء يتقنون التملق ولا يهمهم شخص المتملق إليه، اذ يسوقون نفس هذه الكلمات لغيره عندما تتغير الظروف.. هؤلاء مع الاسف كثير، وسيكونون اقدر من كل أحد على التأييد.

بينما أصحاب الرسالة، وحاملو همّ الدين والامة، قليلون، ولكن على جهدهم تقوم الامة برغم قلتهم، لتكن أيها الوكيل من هذا النوع، وتحاول ان تتحمل مسؤولية التغيير والاصلاح في مجتمعك الذي تقوده، وان تشكل قناة جري من خلالها الاخبار والافكار المناسبة والاقتراحات العملية للقائد او المرجع.

لتشكل (النسغ الصاعد) للقيادة حاملاً معه رسالة الامة إليه وحاجاتها، واقتراحات حل مشاكلها.. وبالرغم من ان الانسان بطبيعته يحب ان يُمدح، اكثر مما يحب ان يُكلف، ويرغب في ان تُؤيد خطواته اكثر مما يرغب في نقد هادف، او معارضة لاقتراحاته.. والقائد او المرجع بطبيعته الانسانية لا يخرج عن هذا الامر الا من عصمه الله ونصره على نفسه. بالرغم من كل ذلك الا ان الوكيل الرسالي الذي يهدف تغيير المجتمع باتجاه الدين يرى كل تلك العقبات مسائل بسيطة يمكن التغلب عليها.

بل ان الوكيل الرسالي الناصح يعرف ولو بعد حين، فيكرم ويستجاب له.

لذلك كن حامل رسالة، ودافع عنها، ووجه اليها، فان استجيب لآرائك فذاك الذي تحب، وان لم تتم الاستجابة فقد اعذرت إلى الله والى عباده في تحمل المسؤولية الملقاة على عاتقك.

فوزي آل سيف

"المصادر"

١- القرآن الكريم.

٢- نهج البلاغة/ تحقيق صبحي الصالح- دار الكتاب اللبناني- بيروت.

٣- الاحتجاج./ الشيخ الطبرسي.

٤- اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)/ شيخ الطائفة الطوسي- جامعة مشهد ١٩٦٩.

٥- الاختصاص/ الشيخ المفيد- جامعة المدرسين في الحوزة العلمية- قم.

٦- اعلام الورى باعلام الهدى.

٧- بناء القادة في منهج أهل البيت/ للمؤلف- مؤسسة الوفاء- بيروت ١٤٠٦ هـ.

٨- تاريخ الغيبةالصغرى/ السيد محمد الصدر- دار التعارف- بيروت.

٩- تحف العقول عن آل الرسول/ ابن شعبة الحراني- مؤسسة الاعلمي- بيروت ١٩٨٤ م.

١٠- تنقيح المقال في علم الرجال/ العلامة الشيخ عبدالله المامقاني- المطبعة المرتضوية- النجف ١٣٥٠ هـ

١١- جامع السعادات/ الشيخ النراقي- مؤسسة الاعلمي- بيروت. بلا تاريخ.

١٢- سفينة البحار/ الشيخ عباس القمي- مكتبة سنائي- قم. بلا تاريخ.

١٣- شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد المعتزلي - دار احياء الكتب العربية- القاهرة ١٩٦٢ م.

١٤- عوالم العلوم- حياة الإمام موسى بن جعفر-/ الشيخ عبدالله البحراني- مدرسةالامام المهدي ١٤٠٩ هـ.

١٥- الغدير في الكتاب والسنة والادب/ الشيخ عبد الحسين الاميني- دار الكتاب العربي ١٩٨٣م.

١٦- الغيبة/ لشيخ الطائفة الطوسي- مكتبةنينوى الحديثة- طهران.

١٧- كمال الدين وتمام النعمة/ الشيخ الصدوق- جامعة المدرسين في الحوزة العلمية- قم.

١٨- منتهى الآمال/ الشيخ عباس القمي- مؤسسة حسيني- طهران.

١٩- ميزان الحكمة/ محمدي ري شهري- مكتب الاعلام الاسلامي- قم ١٤٠٤ هـ.

٢٠- مجمع الرجال/ الشيخ عناية الله القهبائي- مؤسسة اسماعيليان قم